مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الرابع، السنة الثانية، رجب ١٤٣٩هـ، أبريل ٢٠١٨م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العَدَدُ الرَّابِعُ، رَجَب ١٤٣٩هـ أَبْرِيل ٢٠١٨م



مجلة تدبر
٣٦٥ ص، ١٧× ٢٤ سم
رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨
بتاريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨
ردمد: ٧٦٤٢- ١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام
بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات
جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:
رئيس التحرير

Info@tadabburmag.sa
+966503072333
@tadabburmag
http://www.tadabburmag.sa

إخراج فني: همت العزب

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة تدبر

دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

- **المرجعية:** مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.

الرؤية:

أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- **تشجيع** البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- **نشر** البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- **تحقيق التواصل العلمي** بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.
- **فتح آفاق جديدة** للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.

مجالات النشر في المجلة

أولًا: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم:

١. التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

٢. تعليم تدبر القرآن الكريم.

٣. الاستنباط من القرآن الكريم.

٤. المقاصد القرآنية.

٥. الإعجاز القرآني.

٦. البلاغة القرآنية.

٧. الموضوعات القرآنية.

ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

ثالثًا: مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجال تدبر القرآن الكريم، الذي تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أي الفئات التالية:

- البحوث الأصيلة.
- المراجعات العلمية.
- مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية.

ثانيًا: إرشادات للباحثين لتقديم بحوثهم:

١. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة مقاس (١٧×٢٤) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٥) صفحة.

٢. هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.

٣. يستخدم خط (adwa-assalaf) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

٤. يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمستخلص والجداول والأشكال.

٥. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي (غير مسوَّد).

٦. توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًا، وتضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.

٧. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية).

٨. لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

٩. يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

١٠. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

....

عناصر البحث

يَنظِمُ الباحثُ بحثَه وفقَ مُقتضَيات (مَنهَج البَحثِ العِلميّ) كالتّالي:

١- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٢- تبيين الدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها.

٣- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)، بحيث تكون مترابطة.

٤- عرض فكرة محددة في كل قسم (مبحث) تكون جزءًا من الفكرة المركزية للبحث.

٥- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).

٧- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].

۞ يُوَثِّقُ البَاحِثُ المَرَاجِعَ فِي نِهَايَةِ البَحْثِ حَسَبَ النِّظَامِ التَّالِي:

١ - إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق - إن وجد-، فبيان الطبعة، فمدينة النشر، فاسم الناشر، فسنة النشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

٢- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير / دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

٣- إذا كان المرجع (مقالاً من دورية): («عنوان المقال»، فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عفان بن مسلم الصفار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م(٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥ - ٨٥.

٤- **هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات** إن لم يوجد لها أي بيان في بيانات المرجع، وهي كالتالي:

بدون اسم الناشر: (د. ن).

بدون رقم الطبعة: (د. ط).

بدون تاريخ النشر: (د. ت).

- **إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة** يُعد تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

- **لهيئة تحرير المجلة** حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.

- **يطلع الباحث على خلاصة تقارير المُحكّمين** ليعدل بحثه وفقها، ويبين رأيه فيما لا يؤخذ به من أقوالهم، وتحسم الهيئة الخلاف بينهما.

- **في حال (قبول البحث للنشر)** يتم إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار) للباحث.

- **للباحث بعد نشر عمله في المجلة** أن ينشره مرة أخرى بعد مضي ستة أشهر من صدورها، على أن يشير إلى نشره في المجلة.

- **إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة** يُعد قبولًا من الباحث بـ(شروط النشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

❁ **الآراء الواردة في البحوث المنشورة** تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

❁ **نظام التوثيق المعتمد في المجلة** بالنسبة للمراجع الأجنبية هو نظام (جامعة شيكاغو).

❁ **في حال (نشر البحث)** يمنح الباحث خمس نسخ من عدد المجلة التي تم نشر بحثه فيها.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

مجلة تدبر

المحتويات

مجلة تدبر



افتتاحية العدد

مجلة تدبر

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإنَّ أجلَّ ما صرفت فيه الأعمار، وقضيت فيه الأيام، الاشتغال بكتاب الله جل جلاله قراءة وحفظًا، وتعلمًا وتعليمًا، وتدبرًا وفهمًا، واستنباطًا وتفسيرًا، فهو الحجة البالغة والصراط المستقيم، ولذلك توافرت همم الأمة جميعها أولها وآخرها على العناية به، وتعظيمه وإجلاله، وحفظه في الصدور، وتدوينه في السطور، والتفهم لمعانيه، والنظر في مبانيه، واستنباط أحكامه، والتخلق بأخلاقه، والقيام بتعليمه، وتدبره، والعمل به، والنهوض لإصلاح الحياة في شتى جوانبها على ضوء هديه.

وألفوا في ذلك مؤلفات جليلة لتبقى للأمة مرجعًا، وللناس مآلًا ومصدرًا، تحفظ فيها أقوال السابقين، وفهوم السلف الأولين، في بيان الكتاب الكريم، لئلا تزيغ بالناس الأهواء، وتضطرب بهم الأفكار، وتزلّهم الفتن، وتضلّهم الاختلافات.

ومن فضل الله تعالى ومَنِّه أنْ هيأ لهذه الأمة في كل عصر ومصر وسائل شتى في نشر علوم القرآن وأحكامه وهداياته، ومن الوسائل في عصرنا الحاضر

المجـلات العلمية المحكمة المتخصصة في الدراسـات القرآنية، والتي تحفز الباحثين للنظر في القرآن العظيم واسـتخراج كنوزه ودراسة مسائله وعلومه في كافة المجالات.

ومـن بين هذه المجلات تتقدم هذه المجلة العلمية المتخصصة في تدبر القـرآن الكريم (مجلة تدبر)، وهي تختـم عامها الثاني بعددها الرابع، والحمد الله، ونرجو الله أن تكون موفقة بموضوعاتها ومجالاتها المتنوعة، التي تشمل: الدراسـات والبحوث، وتحقيق المخطوطات، وملخصات الرسـائل العلمية المتميـزة، وتقاريـر المؤتمرات والملتقيـات العلمية، والبرامـج المعنيَّة بتدبر القـرآن الكريـم ومتعلقاتـه. وقـد لقيت بحمـد الله قبولاً حسـنًا مـن الباحثين والمتخصصين في الدراسات القرآنية.

ونحن ندعو الباحثين إلى إغناء المجلة بالجديد من البحوث في مسـائل التدبـر وقضايـاه التي لاتـزال بحاجة للمزيد مـن النظر والتحليل، والدراسـة والتأطير، ليتميز تدبر القرآن والتأثر به، ويستقيم مساره، وتتبيّن مجالاته، ويؤتي ثماره، وتعود حضارة أهله قائمة على سوقها، منافسةً حضارات الأمم الماديّة.

ولنـا أمـلٌ بأن يتحقـق ذلك بشـكل أفضل؛ بتظافـر جهـود الباحثين مع الفاحصين وأعضـاء هيئة التحرير في اختيار الموضوعـات وتقويمها للأفضل بـإذن الله؛ فـإنّ المجلة منهـم ولهم، وبعـون الله ثم بجهودهم ترتقي ويسـتمر العطاء، وبنوعيته يتحقق التميز والارتقاء.

وأدعو الله أن يجزي هيئة تحرير المجلة واللجنة الاستشارية خيرًا وبركةً؛ لما يبذلونه من جهودٍ حثيثةٍ للارتقاء بالمجلة وأبحاثها.

ولله الحمد والشكر ابتداءً وانتهاءً على التوفيق والسداد.

ثم الشكر لكل من أسـهم ودعم بفكره أو مالـه أو جهده، والله لا يضيع أجر المحسنين.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. مُحَمَد بن عَبْدِ العَزِيز العْوَاجِي

مجلة تدبر



أولًا: البُحُوث

مجلة تدبر



البحث الأول

وَسَائِلُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

لُبْنَى بِنْت خَالِد بن مُحَمَّد العَرْفَج

باحثة بمرحلة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

حاصلة على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بأطروحتها: بتحقيق كتاب: (الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي، من أول تفسير الآية الواحدة والثمانين من سورة التوبة، حتى نهاية تفسير الآية الرابعة والعشرين من سورة يونس).

النتاج العلمي:

بحث آراء أحمد بن جعفر الدينوري (ت: ٢٨٩هـ) وأقواله في الوقف والابتداء – جمعًا ودراسة – مجلة تبيان للدراسات القرآنية (العدد: ٣٠) ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

البريد الإلكتروني: lubnakma@hotmail.com

مجلة تدبر

مستخلص البحث

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوءِ على مفهوم تزكية النفس، وبيان مكانتها بين مقاصد القرآن الكريم، ويكشف عن ثمراتها، ويُعنَى بذكر وسائلِ تزكية النفس الواردةِ في القرآن الكريم، ويربطَها بمقاصده وَفق المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي.

ويستعرض البحث في خاتمته أهمَّ النتائج، ومنها:

أولًا: عِظَمُ مكانة التزكية وموقعها بين مقاصد القرآن الكلية؛ حيث كانت من مقاصد بعثة الأنبياء والرسل، مرتبطة بها.

ثانيًا: تعددُ ثمراتها ونفعها على العبد في دينه ودنياه وآخرته.

ثالثًا: تتلخص وسائل تزكية النفس كما وردت -صريحة- في القرآن الكريم في تسع وسائل، وهي:

أ- توحيد الله ﷻ.
ب- الاستجابة لأحكام الله.
ج- الصلاة والذكر.
د- تلاوة القرآن وتدبره، وتعلم الحكمة وتفهمها.
هـ- التوبة.
و- بذل الصدقات.
ز- عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.
ح- عدم الثناء على النفس وتبرئتها.
ط- عدم اتباع خطوات الشيطان.

ثم خُتم البحث بكشَّافين اثنين يُعينان القارئ على بُغيته.

الكلمات المفتاحية: التزكية، تزكية النفس، أدب النفس، تربية النفس، وسائل التربية، أمراض القلوب.

مجلة تدبر

المقدمة

الحمـد للهِ منـزلِ الكتـاب، والصلاةُ والسـلام على معلِّـم الآداب، نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه ما جاد السحاب،

أما بعدُ:

فقد خلق الله ﷻ العباد، ولم يتركْهم هملًا، وشرَّع لهم في دينهم وأنفسهم ما يُكملُ فِطَرهم، ويرقى بأرواحهم، وأبان لهم طريقَ الرشاد، وجعل في محكم تشريعه مقاصدَ عظيمة، تكفُل للمرء -إن حفِظها- قيامَ مصالح دينه ودنياه معًا.

ولَمَّا كانت نفس المرء أغلى ما يملِك، وكان صلاحُها فلاحًا، وفسادُها خسارًا، وحياتُها دون تزكية كحياة البهائم؛ جعَل الله تزكيةَ النفس وتطهيرَها أحدَ المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية، وأقام عليها جملةً من الأحكام والآداب؛ فتحًا لأبواب الخير، وسدًّا لأبواب الشر والفساد، وشرَّع في تزكيتها وسائلَ مخصوصة؛ سالكًا بها منهجًا قويمًا لا اعوجاجَ فيه ولا حياد.

ولـمَّا كان أمر تزكية النفس مما غاب أو قلَّ الحديثُ عنه، في عصر طغت فيه المادةُ، وتسابق كثيرٌ من الناس بالانشغال بإتراف أجسامهم وإهمالِ تزكية أرواحهم؛ كانت الحاجةُ إلى معرفة الوسائل التي تتحصلُ بها تزكيةَ النفسِ وتُوصِل إلى الله شديدةً؛ واختارت الباحثةُ هذا الموضوعَ؛ رغبة في التذكير بأهمية تزكية النفس، والتنويه بأنه منهج قرآني ينبغي الالتفات إليه، والعمل بمقتضاه؛ خاصة لمن كانت له عنايةٌ بنفسه، وطلبَ لها من الأسباب والوسائل ما يصلُ بها إلى طريق الرشاد، ويبلغُ بها غايتَه.

مشكلة البحث:

على الرغم من أهمية موضوع التزكية في القرآن الكريم وتنوُّع الدراسات حولها، إلا أن الباحثة لم تجد مَن قصد دراسة تزكية النفس في القرآن الكريم أو وسائلها بصفتها مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم وعلاقتها بمقاصد القرآن الأخرى، ومن هنا رأت الباحثة الكتابة في هذا الموضوع؛ للإجابة عن الأسئلةِ الآتية:

ما مفهوم تزكية النفس؟ وما مكانتها في القرآن الكريم؟ وما الوسائل التي تتزكَّى بها النفس مما دل عليها القرآن الكريم في تزكية النفس؟ وما ثمراتها؟ وهل تُحقِّق التزكية مقاصد قرآنية؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عناية القرآن الكريم بتزكية النفس، ومكانتها بين مقاصده الكبرى.

٢- أهمية التزكية في إصلاح الفرد والمجتمع والغفلة عن تطبيقها أو الحديث عنها.

٣- شدة الحاجة إلى التزكِّي قولًا وعملًا.

٤- التطلع إلى سد حاجة المكتبة الإسلامية في هذا الموضوع، ودراسته دراسة موضوعية، مبينة علاقته بالمقاصد القرآنية.

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم التزكية وفق الرؤية القرآنية.

٢- الكشف عن قيمة تزكية النفس ومكانتها بوصفها مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم.

٣- بيان ثمرات تزكية النفس كما وردت في القرآن.

٤- التعرُّف على وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن الكريم.

٥- ربط وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن بالمقاصد القرآنية.

٦- بثُّ قيمة تزكية النفس وتفعيلها في حياة المسلمين أفرادًا وجماعات.

حدود البحث:

يقتصِر البحث على دراسة وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن الكريم صراحةً دراسة موضوعية وعلاقتها بمقاصد القرآن الكريم، دون دراسة ما يتعلَّق بتزكيتها ضمنًا أو بالمال (الزكاة الواجبة).

الدراسات السابقة:

تنوَّعت الدراسات المتعلقة بالتزكية تنوُّعًا متفاوتًا، فبعضها خُصَّ بالتزكية عند عالِم من العلماء، أو بالقصص القرآني، أو على المستوى الصحي والطبي، أو في المجال الفلسفي، أو في المجال التربوي، أو في المجال الدعوي، أو غير ذلك، وغالب ما عُنْوِن بدراسة التزكية دراسة موضوعية -في تخصُّص الدراسات القرآنية- جاء مقيَّدًا بمجال مما سبق ذِكْرُه أو غيره، غير أنه يمكن أن يُقال: إن دراسة واحدة منها جاءت بعنوان عام، وهو: **(تزكية النفس في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية)**، لكن اتجاه مضمون البحث كان تربويًّا، وقد أشار الباحث إلى هذا الاتجاه في مقدمته.

وهي رسالة قُدِّمت لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز الحاجي، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان، للعام الجامعي ٢٠١٤م.

وعلى الرغم من تنوُّع الدراسات حول تزكية النفس -كما سبق بيان ذلك- إلا أنه لم يُبْحَث في وسائل تزكية النفس في القرآن وعلاقتها بمقاصد القرآن الأخرى خاصة؛ ولذا وقع الاختيار عليه لأهميته.

منهج البحث وإجراءاته:

يسيرُ هذا البحثُ وفقَ منهجين أساسيين:

المنهج الأول: الاستقرائي: وذلك بتتبُّع الآيات التي صرَّحت بذِكْر وسائل التزكية، واستخراج تفسيرها من كتب التفسير، وتعضيدها بآثار من السنة الشريفة، وانتقاء الهدايات القرآنية من كلام أهل العلم وكتبهم.

المنهج الثاني: التحليلي الاستنباطي: وذلك بإبراز المقاصد القرآنية، وربطها بوسائل تزكية النفس القرآنية، وتوضيحها، واستنباط الهدايات منها.

خطة البحث:

تتكوَّن خطة البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: واحتوت على مشكلة البحث، وأهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم التزكية ومكانتها وثمراتها: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التزكية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مكانة التزكية وثمراتها.

المبحث الثاني: وسائل تزكية النفس العقدية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الله عز وجل.

المطلب الثاني: الاتّعاظ بأحكام الله وتطبيقها.

المبحث الثالث: وسائل تزكية النفس التعبدية: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصلاة والذِّكْر.

المطلب الثاني: تلاوة القرآن وتدبُّره، وتعلُّم الحكمة وتفهُّمها.

المطلب الثالث: التوبة.

المطلب الرابع: بَذْل الصدقات.

المبحث الرابع: وسائل تزكية النفس الأخلاقية: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.

المطلب الثاني: عدم الثناء على النفس وتبرئتها.

المطلب الثالث: عدم اتباع خطوات الشيطان.

الخاتمة، وفيها أهمُّ النتائج.

ثم خُتِم البحث بكشاف للموضوعات وثبت للمصادر.

واللهَ أسأل التوفيق والسداد والرشاد، هو حسبي ونعم الوكيل، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم التزكية ومكانتها وثمراتها

المطلب الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح:

➢ **التزكية في اللغة**: النَّمَاء والزيادة والطهارة.

قـالَ ابنُ فـارسٍ[١]: «والأصلُ في ذلك كلـه راجع إلى هذيـن المعنيين، وهما: النَّمَاء والطهارة»[٢].

وقد تعدَّدت استعمالاتُهما في العربيةِ على معانٍ عدةٍ؛ فمن ذلك:

أولًا: الطهارة والتطهير، ومنها:

١- **تزكيةُ الشَّـاهِد**: أي: تطهيـرُه من عوارِض القَـدْح، أَو تَقْوِيتُه وتأْييده بِذِكْـر أَوْصَافـه الدَّالَّة على عدالتِه[٣]. وكـذا قيل: زكَاة المـال؛ أي: تطهيره[٤]، وسُميت زكاة؛ لأنها طهارة[٥]، والفعل منها: زكَّى يُزَكِّي تَزْكِيَةً[٦].

٢- **المدح**: يُقال: زكَّى نفسَه تزكيةً؛ أي: مَدَحَها، وزكَّى الرجلُ نفسَه؛ إذا وصفَها وأَثْنَى عليها[٧].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزويني. اللغوي. توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمئة. ومن مصنفاتـه: (كتاب المجمل في اللغة)، و(كتـاب مقاييس اللغة)، و(كتاب الانتصـار لثعلب). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (١/ ٣٥٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).

(٣) تاج العروس، للزبيدي (١/ ٩١- المقصد العاشر).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).

(٦) تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).

(٧) ينظر: لسـان العرب، لابن منظـور (٢١/ ١٨٤٩)، (ز ك ا). تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٣)، (ز ك و).

٣- **الصلاح**: يُقال: زَكا الرجلُ يَزْكُو إذا صَلُح، والزكاةُ: الصلاح، وقيل: العمل الصالح[(١)].

٤- **صفوة الشيء**: قيل: الزكاة: صفوة الشيء[(٢)].

ثانيًا: الزيادة والنماء، ومنها:

١- **النمو والبركة**: يُقال: زَكَا الزرعُ يَزْكُو، وأَزْكَاه الله -تعالى- تَزْكِيةً؛ أي: أَنْمَاه وجعل فيه برَكة[(٣)].

٢- **الزيادة والسِّمَن**: فكلُّ شيءٍ يزداد ويَسْمَن فهو يَزْكُو زكَاءً[(٤)]، ومنه سُمِّيَتْ زكاة المال؛ لأنها مما يُرْجَى به زَكَاءُ المالِ، وهو زيادته ونَمَاؤُه[(٥)].

➢ **التزكيةُ في الاصطلاح**: تعدَّدَتْ عباراتُ أهل العلمِ في تعريف التزكيةِ اصطلاحًا تعدُّدًا يُفيد معنًى متقاربًا[(٦)]، ولعل من أجمعها أن يُقال: هي إنماءُ النفسِ بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم؛ باكتساب الفضائلِ، وتطهيرها باجتناب الرذائلِ[(٧)].

ويمكن أن يُضاف إليها: بأن يكون ذلك وفقَ الوسائل الشرعية المقرَّرة في الكتاب والسنة، تعبُّدًا لله وإخلاصًا، وتأسِّيًا بالنبي ﷺ واقتداءً.

(١) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٠)، (ز ك و).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٧/ ١٢٦)، (ز ك و).
(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٠)، (ز ك و).
(٤) تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).
(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).
(٦) ينظر مثلاً: الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤). المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٣/ ١٣٢).
(٧) ينظر: التعريفات، للجرجاني (١٨٩). التوقيف على مهمات التعريف للحدادي (٩٦، ٢٨٦).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، وهي في المعنى الاصطلاحي أَخَصُّ؛ فهي في المعنى اللغوي عموم التطهيرِ والإنماء، وفي المعنى الاصطلاحِي تطهيرُ النفسِ خاصة؛ وذلك بنفِيها عن كل نقيصة ورذيلة، وتنميتِها بالزيادةِ في وجوه الخيرِ والبِّر والفضيلة.

المطلب الثاني: التزكية في القرآن الكريم:

إن المتأمل في آياتِ القرآن الكريم مكِّيِّها ومدنيِّها يجد كثرةً لافتةً في الاهتمامِ بتزكية النفس ضمنًا أو تصريحًا، فلا يكاد يُقلِّب عينيه إلا وجد أمرًا يُعِينه على الخير، أو نهيًا يَكُفُّه عن الشر، أو تذكِرةً تَسُوقه إلى عِبرةٍ وموعظة، أو قصةً تَهدِيه إلى أُسوةٍ وقدوة؛ تحصيلًا للتزكية، وإرشادًا لسلوكِ طريقِها، وتحقيقًا لكثير من مقاصد القرآن الكريم من خلالِها.

ومما يدل على ذلك: وُرُود مادة (ز ك ا) صراحةً في القرآن الكريم في سبعة عشر اشتقاقًا، في تسعٍ وخمسين آية، تناول البحث منها اثنتين وعشرين آية، سوى الكثرة الكاثِرة من الألفاظ المتقاربة والمعاني المضمَّنة التي أبانت عن أهمية التزكية ومكانتها، وكشفت عن وسائلها وثمراتها.

وقد وردَت التزكية في القرآن على وجوه عدة، منها[1]:

أولًا: أداء الزكاة الشرعية: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أي: زكاة المال المفروضة.

(١) ينظر: الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان (٧٠). الوجوه والنظائر، لهارون بن موسى (٨٦). الوجوه والنظائر، للدامغاني: (٢٤٩- ٢٥٠). المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (١٣٤- ١٣٥). المعجم الاشتقاقي المؤصل، لمحمد حسن جبل (٩٠٨).

ثانيًا: الصلاح والصيانة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، «أي: تُصلحهم بها»(١).

ثالثًا: الحلال: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]، أي: طيِّبًا حلالًا، لا يُسْتوخَم عُقباه(٢).

رابعًا: الصدقة: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

خامسًا: الثناء والمدح وتبرئة النفس: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، أي: لا تنسبوها إلى الزكاء: تظاهُرًا بالصلاح وزيادة الإيمان تمدُّحًا وتفاخرًا(٣).

سادسًا: التوحيد والشهادة: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٧]، أي: لا يُوحِّد فيتطهَّر من الكفر ويُسْلِم(٤).

سابعًا: الطهارة من الذنوب والمعاصي والأخلاق الرذيلة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

وخلاصة الأمر: إن عموم مفهوم التزكية في القرآن الكريم -بتعدُّد أوجهه واشتقاقاته- لم يخرج عن المعنى اللُّغوي المتضمن معنى التطهير أو الإصلاح، والإنماء والزيادة.

---

(١) الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان: (٧٠). الوجوه والنظائر، لهارون بن موسى: (٨٦).
(٢) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٤٥).
(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، لمحمد حسن جبل (٩٠٨).
(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ١٠٧). الوجوه والنظائر، للدامغاني (٢٥٠).

وهـو ما يُطلِق عليه بعض العلماء: (التخليـة والتحلية)[1]؛ حيث جاءت الآيات متضمِّنة وسائل التطهير والتنقية، ووسائل الزيادة في وجوه الخيرِ والبرِّ؛ متمِّمةً جوانب تزكية النفس من جميع وجوهها.

وتزكيةُ الإنسانِ نفسَه في القرآن الكريم على ضربين[2]:

الضـرب الأول: التزكيـة بالفعل، وهـو محمود، وإليه قُصِـد بقولِه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

الضـرب الثـاني: التزكية بالقول، وهو مذموم، وقد نهى الله -تعالى- عنه بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].

وسيأتي بيان ما يتعلق بذلك -إن شاء الله تعالى- في المبحث الرابع في موضعه[3].

المطلب الثالث: مكانة التزكية وثمراتها:

تتبـوَّأ التزكية مكانة عَلِيَّة في القرآن الكريم؛ فهي من أعظم مقاصد القرآن الكريـم وأسـماها، وقد قرنهـا الله ﷻ بتعليم الكتـاب والحكمـة [4] في غير ما موضـعٍ مـن كتابه الكريم، ففي معرض الامتنان يقـول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[5] [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) ينظـر مثـلاً: تراث أبي الحسـن الحرالـي المراكشـي (١/ ١١٥). التحريـر والتنوير، لابن عاشـور (١/ ٤٧٧).

(٢) ذكرهما الراغب الأصفهاني في (المفردات)، ينظر: (٣٨١).

(٣) ينظر: (٦٩)، من هذا البحث.

(٤) والمراد بها: السنة، ينظر: جامع البيان، للطبري (٦/ ٢١٢).

(٥) ونظائرها في القرآن: آية (١٢٩) من سورة البقرة، وآية (١٥١) من السورة نفسها، وآية (٢) من سورة الجمعة.

فقـد جـاءت التزكيـة مقترنة بالكتـاب والحكمـة؛ في إشـارة إلى جلال مكانتهـا، وأنهـا إحدى المهـام المنوطة بالنبـي ﷺ المذكـورة في الآيات؛ من تلاوةٍ للآيات، وتعليمٍ للكتابِ والحكمة، وتزكيةٍ لنفوس الأمة.

وفي إظهـارِ شـرفِ التزكية وطهارة الأخلاق، وأنهـا لا تُنال إلا بمجاهدة -لكون النفس أميل شـيء إلى الدنس، فلا تنقاد إلى أحسـن تقويم إلا باجتهاد عظيـم-؛ قدَّمها على تعليم الكتاب والحكمـة في بعض مواضع القرآن الكريم -كما في هذا الموضع- ليُقْبِل التَالِي والسَّامِع على ما جاء من العِلم في الكتاب والحكمـة، ويتزكَّى بما أتى فيهمـا[1]، وللإيذان بأن كل واحدةٍ من هذه الأمور الثلاثة نعمةٌ جليلةٌ على حيالِها، مستوجبةٌ للشكرِ[2].

وفي بيانِ عظيمِ مَقام التزكية أقسـم الله ﷻ في القرآن الكريم بأطول قَسَـمٍ فيه، فأقسـم بأحد عشر قَسَمًا متواليًا على أن فلاح العبد بتزكية نفسه، وخسارَه وخيبته بتدسـية نفسـه، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] إلى أن قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

وقد كان مِن دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ آتِ نَفْسِـي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»[3].

ولَـمَّا كانت تزكيةُ النفس بهـذه المثابة؛ من المنزلـة الرفيعة، والخِصَال الحميـدة التي يتنافس فيها أولوا الألباب، وكانت طُهْرَةً للنفسِ مِن دَنَسِ الكفر

(١) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢/ ١٦٢)، (١٦/ ٣٥).
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (١/ ٢٨٦).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٨٨-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل/ ح٢٧٢٢).

والطغيان، إلى نور الإيمان والعمل الصالح[1]؛ نوَّع القرآنُ الكريم في بيان وسائلها وطُرُقِها في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ ترغيبًا للإقبال، وتأكيدًا للامتثال؛ في دلالةٍ واضحة على أنه ينبغي على المسلم أن يعتنيَ عناية خاصة بتزكية نفسه وتهذيبها، وأن يَسلُكَ في ذلك كلَّ الوسائل والسُّبل التي شرعها الله -تبارك وتعالى- وأرشد إليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ لينالَ مقصوده، ويبلُغَ غايتَه[2].

وإنما قصد القرآنُ إلى التزكية، وجعلها من أهم مقاصده وأسماها؛ لقصد تطهير النفوس بما يصيرُ الإنسان مستحقًّا بها في الدنيا للأوصاف المحمودة، وفي الآخرة للأجر والمثوبة[3].

وإن من أكثر البواعث على الاجتهاد في العمل، والجدِّ في الطاعة؛ الدوافعَ والثمراتِ المترتبةَ عليها، ولهذا جاء القرآنُ الكريم والسنة الشريفة بنصوص وافرة في بيان ثمرات التزكية؛ تنشيطًا للنفس بأن تُسارع إلى ما فيه مرضاةُ ربها، ودفعًا لها لأن تنقادَ وتنزجرَ.

ومن أهم ثمرات تزكية النفس ما يلي:

١- تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة:

يقول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

[الشمس: ٩- ١٠]

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٩٠٩).
(٢) وبيانها فحوى المباحث التالية، وهي لب البحث وأساسه، ينظر: (٤٥)، من هذا البحث.
(٣) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١).

قال الغزالي[(١)]: «فلا يصلح لِمُلكِ الآخرة ونعيمها ولا القُرب من ربِّ العالمين إلا قلبٌ سليمٌ، صار طاهرًا بطولِ التزكيةِ والتطهير»[(٢)].

يقول الله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]؛ أي: نجا من العقاب ونجح وأدرك طُلْبَتَه مَن بَذَل استطاعته وجهده في تزكية نفسه وتطهيرها عن كل ما لا ينبغي من الكفر والمعاصي والأخلاق الرديئة، وتكثَّر من التقوى واستزاد من الخير والبِّر والفضيلة[(٣)].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨]، أي: إنَّ تزكيته لنفسه عائدة منفعتها عليه، فإن زكَّاها وطهَّرها؛ نال الفوز والفلاح.

٢- بلوغ مقام الهداية إلى الحق ونيل فضل الله -تعالى- ورحمته:

يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

[الجمعة: ٢]

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي. الفقيه. توفي سنة خمس وخمسمئة. ومن مصنفاته: (إحياء علوم الدين)، و(كتاب الأربعين)، و(القسطاس). ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١١/ ٦٢- ٦٣).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٤٤).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٣١٨). مفاتيح الغيب، للرازي (٣١/ ١٣٦- ١٣٧). التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٢٨٧- ٢٨٨).

وفي هـذا حـثٌّ على تزكيـة النفـسِ بالابتعاد جَهْد المسـتطاع عـن المعصية وارتكاب الأوزار والآثام، والسعي إلى تحقيق الإيمان والتوبة النصوح؛ لينال تزكية الله له بتوفيقه وهدايته إلى الحق والعمل الصالح، وقبوله منه تفضُّلًا منه ورحمة(١).

٣- قبول التوبة:

يقـول ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٣- ١٠٤].

يقـول ابن تيميـة(٢): «وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ دليلٌ على أن عمل الحسـنات يُطهِّر النفس ويزكِّيها من الذنوب السـالفة، فإنه قال هذا بعد قولـه: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية وما بعدهـا، فالتوبة والعمل الصالح يحصـل بهمـا التطهيـر والتزكية، ولهذا قال في سـياق قوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠- ٣١] فأمرهم جميعًا بالتوبة في سياق ما ذكره من الأمر بِغَضِّ البصر وحِفْظ الفَرْج»(٣).

فلما جعل سبحانه قبول التوبة عَقِبَ الأمر بِبَذْلِ الصدقة في سياق التزكية والتطهير دلَّ على أنَّ مِن ثمرات التزكية قبولَ توبة العبد إن صَدَقَ فيها.

---

(١) ينظر: تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٨٨).

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، أبو العباس الحراني الحنبلي. شيخ الإسلام. توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية)، و(الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح)، و(جواب الرسالة الصفدية). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٧/ ١١، ١٦- ١٧).

(٣) تزكية النفس، لابن تيمية: (٥٢- ٥٣).

٤- نيل رضا الله ومحبته:

يقول الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٨- ٢١].

فإنه إذا زكَّى نفسه بالأعمال الصالحة التي يترتب عليها رضا الله رضي عنه الله ﷻ، وإذا رضي عنه أحبَّه وأرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾، وقد رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَرب، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ: كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»(١).

٥- النجاة من النار:

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧- ١٨].

يقول الله ﷻ: سيُوَقَّى صِلِيَّ النارِ التي تلظَّى التقيُّ الذي يُعطي مالَه في الدنيا في حقوقِ الله التي ألزَمه إياها؛ ليتطهرَ ويتزكَّى -بإعطائه ذلك- من ذنوبه؛ مبتغيًا به وجهَ الله -تعالى-(٢).

٦- دخول الجنة وبلوغ درجاتها العلى والخلود فيها:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ١٠٥-كتاب الرقاق/ باب التواضع/ ح٦٥٠٢).
(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٤٧٨). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٣٣١).

ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥- ٧٦].

فمـا جاء في القرآن؛ من حصول المغفرة والرضا والمحبة عن المؤمنين، وأنواع النعيم والتفضُّل والإحسان عليهم، فهو دَاخِلٌ في ثمرات التزكية؛ بدلالة سياق هذه الآية، وذلك أنه -تعالى- جعل مَن آمَن وعمل الصالحات في زُمْرَة مَن تزكَّى.

المبحث الثاني

وسائل تزكية النفس العقدية

إن مِـن أجَـلِّ نِعَمِ الله على عباده أن أرْشَـدَهم إلى ما فيه زكَاءُ نفوسـهم، وصلاح حالهم، وسعادة عاقبتهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وقد أرشـد القـرآنُ الكريم إلى وسـائلَ مُعِينـةٍ في تزكية النفس؛ ليسـعى الإنسان في تحصيلها، ومجاهدة نفسه على ذلك، ومِن أهمها:

۞ المطلب الأول: توحيد الله ﷻ:

مِـن أعظمِ ما تُزَكَّى به النفـوس، وتُطَهَّر به القلـوب، وتترقَّى به العقول؛ توحيد الله ﷻ، فلأجله شُرِّعَت الرسالات، ونُزِّلت الكتب، فهو دعوة النبي ﷺ، ودعوة الأنبياء عليهم السلام مِن قَبْله.

يقـول الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّنَ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰـبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

قولـه: ﴿وَيُزَكِّيهِـمْ﴾؛ أي: يجعلهـم أزكياء القلـوب والنفـوس بالتوحيد والإيمان، ويُطَهِّرهم من ضلالات الجاهلية وأرجاسـها من دَنَسِ الكفر والشـرك والعصيان، ويُعَلِّمهم ما تَكْمُل به نفوسهم وتتهذَّب؛ ليُقَوِّي بها دواعيهم إلى اتِّبَاعها والعمل بها؛ ليصيروا بها أزكياء أنقياء أتقياء، راشدين مَهْدِيِّين قولًا وعملًا[1].

(١) ينظـر: جامع البيـان، للطبري (٢٢/ ٦٢٧). مفاتيـح الغيب، للـرازي (٤/ ٧٤)، (٣٠/ ٣). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠/ ٤٥٢). تفسير المراغي، للمراغي (٢٨/ ٩٥).

ومن الإشـارات القرآنيـة على أن التوحيد من مقاصد بِعْثَةِ الرسـل عليهم السلام وأنـه أهـمُّ وأوّل ما يدعون إليه، ما جاء في قصة دعوة موسـى عليه السلام فرعونَ إلى التوحيد والتطهُّرِ من الشـركِ، يقول الله -تعالى-: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعـات: ١٨- ١٩]، أي: أدعوك إلى التوحيد لتتطهَّر من الشرك، فتعبد الله وتخشاه[١].

ومِـن توحيـد الله -جلَّ وعلا- تمحيـضُ القصد له -جـلَّ جلاله- رغبةً ورهبـةً، والإعراض عن تطلُّب مدح الناس وحُبِّ الـمَحْمَدَةِ منهم؛ ولهذا كان جزاءُ مَن لم يُخلِص عمله لله عز وجل إبطالَ عمله، وجَعْلَه كله يوم القيامة هباءً منثورًا؛ يقـول الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦]، وقال سـبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

وعـن أبي أمامـة[٢] رضي الله عنه: «جاءَ رجلٌ إلى رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم فقـال: أرأيتَ رجلًا غزَا يلتمسُ الأجرَ والذكرَ؛ ما لَه؟». فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا شَـيْءَ لَهُ**»، فأعادهـا ثلاثَ مَرَّاتٍ، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**لا شَـيْءَ لَهُ**»، ثم قـال: «**إنَّ اللهَ عز وجل لا يَقْبَلُ مِن العَمَلِ إلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وابتُغِي بِهِ وَجْهُهُ**»[٣].

(١) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (١٥١٢).

(٢) أسـعد بن سـهل بن حنيف، أبو أمامة الأنصاري. صحابي جليل، سـمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم باسـم جده لأمه أسعد بن زرارة، وكنَّاه بكنيته، ودعا له وبرَّك عليه، توفي سنة مئة. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٦/ ١٦).

(٣) أخرجه النسـائي في سـننه: (٦/ ٢٥-كتاب الجهاد/ باب من غزا يلتمس الأجر والذكر/ ح٣١٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١/ ١٠٦-ح٨).

قال المحاسبي(1): «أَحْبَطَ أعمالهم وهم لا يشعرون؛ لأنهم تعجَّلوا ثواب أعمالهم من المخلوقين في الدنيا»(2).

يقول ابن رجب(3): «ما نظرَ المُرائي إلى الخلقِ بعملِه إلا لجهلِه بعظمةِ الخالقِ»(4).

ومِن كمال توحيده -جل وعلا- كمالُ التوكُّل عليه، والإنابة إليه، وحُسْن الظن به.

يقول ابن تيمية: «ما رَجَا أحدٌ مخلوقًا أو توكَّل عليه إلا خاب ظَنُّهُ فيه؛ فإنه مُشْرِك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»(5).

فإذا توكَّل المسلم على ربه حقَّ توكُّلِه؛ فلا مَطْمَعَ فيه لعدو؛ فقد جعل سبحانه مِن جزاء التوكُّل عليه كفايته، وفَرَجَهُ، ورزقه من حيث لا يحتسب المتوكِّل، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وهذا لا يكون إلا لمن كَمُل توكلُه؛ فكَمُل توحيده وإيمانه ويقينه(6).

(١) الحارث بن أسد، أبو عبد الله المحاسبي الصوفي. توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين. ومن مصنفاته: (كتاب آداب النفوس)، و(كتاب التوهم)، و(كتاب فهم القرآن ومعانيه). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١١/ ١٩٨).

(٢) ينظر: آداب النفوس، للمحاسبي (٥٦).

(٣) عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، أبو الفرج الحنبلي، توفي سنة خمس وتسعين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (شرح الترمذي)، و(شرح علل الترمذي)، و(طبقات الحنابلة). ينظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (٥٤٠).

(٤) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب (٣٩).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ٢٥٧).

(٦) ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن القاسم: (١/ ٢٥٢).

وإنما كان التوحيد والإيمان مما تزكو به النفوس والقلوب؛ لِمَا تضمَّنه من نفي ألوهية ما سوى الحق -تبارك وتعالى- من القلب، وذلك طهارته، وإثبات ألوهيته سبحانه هو أصل كل زكاة ونَمَاء؛ فأصل ما تزكوا به النفوس وأكملها توحيد الله ﷻ وإخلاص الدين له سبحانه، يقول ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[1].

فجعل ﷺ أسعد الناس حظًّا بشفاعته يوم القيامة مَن أخلص التوحيد لله ﷻ، وليس هذا إلا لعظيم مقام التوحيد والإيمان؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وفي آية أخرى قال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فالتوحيد هو المقصد الأعظم الذي تنتظم عنده مقاصد القرآن كلها، وعليه دارت آيات الكتاب الكريم.

يقول ابن القيم[2] رحمه الله: «إنَّ كلَّ آيةٍ في القرآن فهي متضمِّنةٌ للتوحيدِ، شاهدةٌ به، داعيةٌ إليه»[3].

ومما يحسُن التنبيه عليه أنه قد ينقض كمالَ التوحيد أمورٌ يفعلها بعض الناس دون إدراك إلى أن فيها منافاة لكمال توحيد الله ﷻ، ومما شاع من هذا

(١) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٤٩). الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤). *والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ٣١-كتاب العلم/ باب الحرص على الحديث/ ح٩٩).

(٢) محمد بن أبي بكر ابن القيم، الزُّرعي الحنبلي. توفي سنة واحد وخمسين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (مفتاح دار السعادة)، و(زاد المعاد)، و(جلاء الأفهام). ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، للحاجي خليفة (٣/ ٦١- ٦٢).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤١٧).

في العصر الحاضر عدمُ التوكُّل على الله ﷻ في جميع أمور الحياة، وتعليق بعض ما يتصرَّف فيه المرء أو يصيبه على عين فلان، أو تسلُّط فلان، أو واسطة فلان، وهو تعليق على سببٍ غير صحيح، والله ﷻ قد جعل التوكُّل عليه شرطًا في الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]؛ فلا ينبغي أن يُعوِّل أحدٌ في تصرفاته وعمله على أحدٍ، بل يُوكِل أمره كله لله ﷻ.

المطلب الثاني: الاستجابة لأحكام الله:

خلَقَ الله ﷻ النفس تُحب الحق وتريده وتطلبه، وإذا تعرَّضَت للكفر والهوى والمعاصي فسَدَت كما يَفسُد الزرع بما يَنبُت فيه مِن الدغل؛ فجعل تزكيتها بالاتِّعاظ بأحكامه وشرائعه والعمل بها، ولهذا قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠][(١)].

فمِن الآداب المشروعة والوسائل الـمُتَّبَعَة لتزكية النفس وتطهيرها ما جاء في مخاطبة أولياء المرأة بالأمر بالتسليم لأمر الله ﷻ، والاتِّعاظ بأحكامه في الزَّجْر عن عَضْل مَوْلِيَّتِهِ إن رغِبت مراجعةَ زوجها بعد تراضيهما بعد انقضاء العدة -وإن وجد في نفسه حرجًا ومشقة- يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)] [البقرة: ٢٣٢].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ١٨٨). أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ٥١١).

(٢) وذلك أن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه زوَّجَ أختَه رجلاً منَ المسلمينَ علَى عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فكانت عندَه ما كانت، ثمَّ طلَّقَها تطليقةً لم يراجعها حتَّى انقضتِ العدَّةُ، فَهويَها وَهويتهُ، ثمَّ خطبَها معَ الخطَّابِ فقالَ لَه: «يا لُكعُ! أكرمتُك بِها وزوَّجتُكَها فطلَّقتَها، واللهِ لا ترجعُ إليك أبدًا؛ آخرُ ما عليكَ»؛ فعَلِمَ اللهُ

قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾؛ أي: هذا الذي نهيناكم عنه يَأْتَمِر به ويتَّعظ به، ويتأدَّب بأدب الله له ويستسلم لأوامره: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[1].

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: اتباعكم شَرْعَ الله ﷻ في رد الـمَوْلِيَّات إلى أزواجهن، والوقوف عند حدود الله وأحكامه، وتَرْك الحَمِيَّة والإباء في ذلك؛ خيرٌ وأفضل مِن فُرْقَتِهِنَّ أزواجَهن، وأشد تنميةً وتكثيرًا وتنقيةً وتطهيرًا وصلاحًا لقلوبكم من الرِّيبَة ودَنَس الآثام، فإن ذلك أقطعُ لأسباب العداوات والإحَنِ والأحقاد، بخلاف العَضْل الذي قصدتم منه قطع العَوْد إلى الخصومة[2].

وَوَجْهُ كَوْنِ الاتِّعاظ بأحكام الله وتطبيقها وسيلةً من وسائل تزكية النفس؛ أنه إذا اتَّعظت النفس بأحكام الله أطاعت الله ورسوله، فزادت الأعمال وزاد الإيمان، ونَمَت الأخلاق والآداب، فكلما كانت النفس أشدَّ اتِّعاظًا وتطبيقًا لأحكام الله كان ذلك أزكى لها وأطهر؛ لأن الأعمال الصالحة تُطَهِّر النفس من أرجاس المعاصي، وتزيدها إيمانًا ورِفعَةً ودرجة[3].

حاجتَه إليها وحاجتَها إلى بعلِها، فأنزلَ اللهُ -تبارَك وتعالى-: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلمَّا سمعَها معقلٌ قالَ: «سمعًا لربِّي وطاعةً»، ثمَّ دعاهُ فقالَ: «**أزوِّجُك وأُكرمُك**». أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٢١٦-ح٢٩٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/ ١٩٦- ١٩٧/ ح٢٩٨١).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٣٢).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٤/ ١٩٨). مفاتيح الغيب، للرازي (٦/ ١٢١). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٣٢). التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١/ ٢٧٥). التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٤٢٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، لابن عثيمين: (٣/ ١٣٧، ١٤١).

وهي بهذا تُحقِّق مقصد التوحيد من المقاصد القرآنية الكبرى؛ إذ هي من مكمِّلات التوحيد ومتعلِّقاته؛ لأن الله ﷻ كثيرًا ما يبتدئ الآيات المتعلقة بالآداب والأحكام بخطاب المؤمنين -وهم أهل التوحيد- ويختم بعضها بشرط التوحيد كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فقرَّر ذلك تأكيدًا وتحقيقًا[١].

ومن الآداب المشروعة لتزكية النفس وتطهيرها أيضًا التأدُّب بآداب الاستئذان وأحكامه، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨]؛ أي: إنْ رَدُّوكم أو قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها: ارجعوا، فارجعوا، ولا تُلِحُّوا في إطلاق الإِذْن، ولا تمتنعوا عن الرجوع؛ فإن صاحب البيت لم يمنعكم حقًّا واجبًا لكم، فإن شاء أَذِنَ أو مَنَع، فقد يكون عدم الإِذْن إلى أنه في أمرٍ لا يُحبُّ أن تَطَّلِعوا عليه منه؛ فالبيوت سترٌ لأهلها، فلا يأخذ أحدَكم الكِبْرُ والاشمئزاز والغضب من الرجوع[٢].

ولذلك قال: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم عنها إذا لم يُؤْذَن لكم بالدخول فيها خيرٌ لكم وأفضل، وأطهر لكم عند الله في أمرِ دينكم ودنياكم، وأَنْمَى لمروءتكم وأكرم؛ لأنها لا تصح اللَّجَاجَة؛ فإن ذلك يكون خِسَّةً بكم، ولا يَلِيقُ ذلك بكرامة الكريم[٣].

---

(١) ينظر: دراسة في مقاصد القرآن الكريم، للقصرواي (٥١، ٥٣).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٨٧). زاد المسير، لابن الجوزي (٩٩٣). تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٩٥). تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٦٥). التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٣/ ١٢٦١).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٩٩٣). تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٩٥). زهرة التفاسير، لأبي زهرة (١٠/ ٥١٧٧).

ثـم قال محذِّرًا مَن تُحدِّثهم أنفسـهم بانتهاك حُرُمَات الله، أو لا يأتمرون بهـذا الأمر الـذي أمرهم الله بـه، وأدَّبهم بأدبه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾؛ أي: يعلـم ما فيه خيركم وطُهْرُكم وسُـمُوُّكم، والفاضل مـن أموركم، والأَلْيَق بكُرَمَائِكم، وما يُبْعِد المنافرة بين جماعتكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجيبوا لأمـره؛ فإنه ذو عِلْم محيط بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركـم إذا قيـل لكم ذلـك، وتَرْك رجوعكـم عنها، وطاعتكـم الله فيما أمركم ونهاكـم في ذلك وغيره من أمـره ونهيه، مُحْصٍ جميعَه عليكـم حتى يجازيكم على جميع ذلك[١].

وكان بعض أهل العلم يتمنى إذا اسـتأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا لـه: ارجـع؛ ليرجع، فيحصـل له فضل الرجـوع المذكور في قولـه: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾؛ لأن الله ﷻ ما قال إنه أزكى، إلا لأن للمُمْتَثِل به خيرًا وأَجْرًا[٢].

وفي هـذا أدبٌ عظيم وهو تعليم الصراحة بالحق دون المواربة ما لم يكن فيه أذى، وتعليم قَبُول الحق؛ لأنه أَطْمَن لنفسِ قَابِله، ولو اعتاد الناس التصارُح بالحق بينهم، وسلمت صدورهم بذلك؛ لزالت عنهم ظُنُون السوء بأنفسهم[٣].

ثم أعقب حُكْم الاسـتئذان ببيان أدبٍ آخر فيه تزكيةٌ وطهارةٌ للنفسِ مما تقتضيه المجالسة بعد الدخول، وهو ألَّا يكون الداخل إلى البيت مُحَدِّقًا بِبَصَرِهِ

(١) ينظـر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٢٤٧). التفسـير القرآني للقرآن، للخطيـب (٣/ ١٢٦١). زهرة التفاسير، لأبي زهرة (١٠/ ٥١٧٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ١٩٩). أضواء البيان، للشنقيطي (٦/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٠).

إلـى مـا يحرُم النظر إليه، يقول الله ﷻ: ﴿قُـلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُـوٓاْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النـور: ٣٠]؛ أي: يَكُفُّوا مِن نَظرِهم إلى ما نهاهـم الله عـن النظر إليه، ويحفظـوا فروجهم أن يراها مَـن لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم[١].

يقـول ابـن تيمية: «فجعل سـبحانه غَضَّ البصر وحِفْـظَ الفرج هو أقوى تزكية للنفس»[٢].

ورَغَّب في ذلك أشـد الترغيب بتعليله بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر العالي العظيـم مِن كلٍّ مِن الغَضّ والحفظ الذي أُمِروا به أَطْهَرُ لهم، وأنمى لأعمالهم عند الله وأفضل[٣].

وفي هـذا الأمر بالغَضِّ أدبٌ شـرعيٌّ عظيمٌ في مباعـدة النفس عن التطلُّع إلـى مـا قد يُوقِعُهَـا في الحرام، أو يُكَلِّفُها صبرًا شـديدًا عليهـا؛ لأن ذلك أزكى لصاحبهـا، وأطهر لقلبـه، وأنقى لدينه، وأنمـى لعمله، وأبعد مـن دَنَسِ الآثام عنه، وبه يسـتحق الثناء والمدح، ولذلك خصَّ تعالى الخطاب للمؤمنين؛ لِمَا أراده مِـن تزكيتهم بذلك؛ لأن به تُـورَث حلاوة الإيمان ولذَّته، التي هي أحلى وأطيـب وألَذُّ مما صَرَفَ بصره عنـه وتَرَكَهُ لله -تعالى-، فإن مَن تَرَكَ شـيئًا لله عَوَّضَهُ الله ﷻ خيرًا منه[٤].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٢٥٤). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٣).
(٢) العبودية، لابن تيمية (٩١).
(٣) ينظـر: جامـع البيـان، للطـبري (١٧/ ٢٥٤). نظـم الـدرر، للبقاعـي (١٣/ ٢٥٤). تيسـير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٦٦).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٣/ ٢٠٦). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٢٢٦). تفسير

وجملـة الآداب والأحـكام المذكورة إنما حُـدِّدَت بكيفيـات معلومة، وآدابٍ محتومـة؛ حتـى لا يُفرط الناس فيها أو في بعضهـا باختلاف مراتبهم في الأدب والأنفة، واختلاف أوهامهم في عدم المؤاخذة أو في شدَّتها[1].

ومما قد وقـع التفريط فيه في الواقع المعاصر -للأسـف- إطلاق النظر دون تحرُّزٍ وتحفُّظ، والتسـاهُل في تناقُل الوسـائط المرئية في وسـائل التواصل الاجتماعي مع احتوائها على المحرَّم من المنظور والمسـموع دون أي اعتبار لقيمة العفة وغضِّ البصر، والله المستعان.

....

القـرآن العظيم، لابن كثيـر (٦/ ٤٣). التحرير والتنوير، لابن عاشـور (١٨/ ١٩٦). إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٤٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٣- ٢٠٤).

المبحث الثالث

وسائل تزكية النفس التعبدية

المطلب الأول: الصلاة والذكر:

يقول الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾(1) [الأعلى: ١٤- ١٥]؛ أي: قد أَنْجَحَ وفاز وأدرك طِلْبَته مَن زكَّى نفسه وطَهَّرها من الكفر والمعاصي والأخلاق الدنيئة، وعَمِلَ بما أمره الله به، فذكَر ربه، وصلَّى، وأدَّى فرائضه، وتقرَّب إليه بالنوافل(2).

وإنما قدَّم التزكية ههنا على ذِكْر الله وعلى الصلاة؛ لأنها أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تَطَهَّرَت النفس؛ أشرقت فيها أنوار الهداية فعَلِمَت منافعها، وأكثَرت من الإقبال عليها بتزكيتها وارتياضِها على قبول الخير والاجتهاد فيه، واجتناب الشر والوقوع فيه(3).

وخُصَّت الصلاةُ وذِكْرُ الله ﷻ بالذِّكْر في الآية؛ لأن ذكر الله أكبر من كل شيء، ولأن الصلاة أول الأمر بعد الشهادتين، وهي عمود الدين، والصلة بين العبد وربه، وقد كان من شأن الأنبياء عليهم السلام تعظيم مقام الصلاة، وأَمْر أهليهم بها، وبهذا خاطَب الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وكان من حاله ﷺ أنه إذا نُودِيَ للصلاة -وهو في مهنة أهله- تَرَكَ ما بيده

(١) ومن نظائره في القرآن: الآية (١٨) من سورة فاطر.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٣١٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٢٨٨).

وخرج إلى الصلاة[1]، وكان ﷺ يقول: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[2].

ومن الدلائل القرآنية والحديثية الدالَّة على أن الصلاة من وسائل تزكية النفس في الزيادة من الخير والفضيلة، والامتناع عن دروب الشر والرذيلة، وفي تكفير السيئات، وعُلُوِّ الدرجات، قولُ الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٣-٤].

وقوله ﷺ: «**أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**». قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قال: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**»[3].

ولا عَمَلٌ يَزَعُ النفسَ عن الشرِّ ويُحبِّب إليها الخير ويُرَغِّبها فيه -بعد الصلاة- مثل ذِكْر الله ﷻ؛ فبه يتذكَّر العبد كمال الله المطلَق، وعِلْمَهُ وحكمته، وفضلَه ورحمته، وبه يتقرَّب إلى ربه[4].

يقول النبي ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيرِ أَعْمَالِكُم، وَأَزكَاهَا عِندَ مَلِيكِكُم، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم، وَخَيرٌ لَكُم مِن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيرٌ لَكُم مِن**

(١) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: (١/ ١٣٦-كتاب الأذان/ باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج/ ح٦٧٦).

(٢) أخرجه النسائي في سننه: (٧/ ٦١-كتاب عشرة النساء/ باب حب النساء/ ح٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: (١/ ٥٩٩-ح٣١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (١/ ٤٦٢- كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات/ ح٦٦٧).

(٤) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٥/ ٣٨٦).

أَن تلقَوا عدوَّكُم؛ فَتَضرِبُوا أَعْنَاقَهم، وَيَضرِبُوا أَعْنَاقَكُم؟». قالوا: بلى. قال: «ذِكرُ الله»[(١)].

ولذلك جاء الأمر الإلهي في القرآن الكريم مخاطبًا المؤمنين أن يُكْثِرُوا من ذِكْر الله ﷻ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فبالذِّكْر تنشرح الصدور، وتطمئن القلوب، وتَأْنَسُ بِذِكْر علام الغيوب، يقول الله ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وخليقٌ بها ذلك. قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[(٢)].

يقول ابن تيمية: «الذِّكْرُ للقلبِ كالماءِ للسَّمَك، فكيف يكون حال السمك إذا أُخْرِجَ من الماء؟»[(٣)].

واللافت للنظر اقتران الصلاة بالذِّكْر في غير ما موضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١]، وقوله: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٣٢٠-أبواب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الذكر-باب منه/ ح٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/ ٢٠٤-ح١٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ٨٦-كتاب الدعوات/ باب فضل ذكر الله ﷻ/ ح٦٤٠٧).

(٣) الوابل الصيب، لابن القيم (٤٢).

﴿ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

والمتأمِّل لهذه الآيات يُدْرِك عظيم منزلة الصلاة والذِّكْر، وأنهما مما يُعِين المرء على تزكية نفسه، وأنه لا ينبغي أن يتأخَّر المسلم عن إقامة الصلاة بحقها، وألَّا يَفْتُرَ عن ذِكْر الله في كافة أحواله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾؛ فعلى أي حالٍ كنتم إلا ذكرتم الله فيها، فلا غفلة، ولا عبث؛ ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ من كل شيء.

يقول ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قالوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ. قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»(١).

ولهذا كانت هذه الوسيلةُ سبيلًا لتحقيق المقصد القرآني من النهي عن الفحشاء والمنكر، بما هو أعظم منهما؛ وهو ذكر الله ﷻ، والإخبات إليه سبحانه، وتعظيمه وإجلاله؛ ليفيض القلبُ طمأنينة، ويسلو من همومه وأحزانه، ويجلو الران عنه بغفران الذنوب، وطرد الشياطين، والابتعاد عن أسباب استحقاق العذاب، وطمس أنوار البصيرة.

فصلاح القلب، وقُرَّةُ العين، وسعادة الدنيا، والفوز في الآخرة، والفلاح كله مَنُوطٌ بهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٦٢-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على ذكر -الله تعالى-/ ح٢٦٧٦).

والناس في هذا بين مُسْتَقِلٍّ ومُسْتَكْثِرٍ، فمَن شغَلَ نفسه بالصلاة والذِّكْر فقد أنجح وأفلح، وعد بذلك ربنا، وهو سبحانه لا يُخلف وعده، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]، نسأل الله من فضله.

المطلب الثاني: تلاوة القرآن وتدبره، وتعلُّم الحكمة وتفهمها:

تلاوة القرآن وتدبُّره من أعلى وسائل تزكية النفس رُتبةً، وأشرفِها مقامًا، وأعظمِها أجرًا وثوابًا، وقد امتنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على عباده بما أنعم به عليهم من بعثة الرسول ﷺ إليهم، يتلو عليهم آياتِه مبيِّناتٍ ويُزكِّيهم، فقال مذكِّرًا بها عباده المؤمنين: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

يقول مُمْتَنًّا ومذكِّرًا: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ التي تُرشدكم إلى الحق، وتهديكم إلى سبيل الرشاد، ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾؛ أي: يُطهِّركم من رذائل الأخلاق ودَنَسِ النفوس، ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾: القرآن والسنة، ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾، ووجه المِنَّة في ذلك أنه يهديهم إلى الحق مصحوبًا بالدليل والبرهان(١).

ولقد ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ مَن لم يَعرف قدر هذه النعمةِ، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، يعني بنعمة الله: محمدًا ﷺ؛ ولهذا نَدَبَ الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٦٤). تفسير المراغي، للمراغي (٢/ ١٨).

ومقابلتها بِذِكْرِه وشُكْرِه، فقال: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢][1].

وسبيل شُكْرها باستدامة قراءة القرآن تدبُّرًا وتفكُّرًا، وعملًا بأمره ونهيه، وباتباع سنة النبي ﷺ، والتأسي بهديه، فإن دوام النعمة والفضل بدوام الشكر، يقول الله ﷺ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد ندب الله ﷻ عباده إلى تدبُّر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فإن كل مَن تدبَّره أوجب له تدبُّرُه علمًا ضروريًّا ويقينًا جازمًا أنه حقٌّ وصِدْقٌ[2].

يقول ابن تيمية: «ومَن أصغى إلى كلامِ الله وكلامِ رسولِه بعقلِه، وتدبرَّه بقلبِه، وَجَد فيه من الفَهم والحلاوةِ والبركة والمنفعة ما لا يجدُه في شيءٍ من الكلامِ لا منظومِه ولا منثوره»[3].

فهذه الوسيلة تحققُ المقصدَ القرآني من الاتباع والتذكر، وتحصيلِ الهداية، وتحقيقِ التوحيد، وتهذيبِ الأخلاق، وإدراك الرحمة؛ ولهذا كانت تلاوةُ القرآن وتدبُّره، وتعلُّم السنة وتفهُّمُها مِن أعظم وسائل تزكية النفس؛ لأن الكتابَ والسنة هما مَوْرِد التشريع، ولِمَا لتلاوة القرآن من الأجر العظيم والفضل الجزيل، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٠].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٦٥).
(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤٣٧).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/ ٢٧٠).

ويقـول النبـي ﷺ: «مَن قَرَأَ حَرْفًا مِن كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَـنَةٌ، وَالحَسَـنَةُ بِعَشْـرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: ﴿ الٓمٓ ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِن أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»[١].

فخليـقٌ بالعاقل اللبيب أن يسـتثمر وقته بما يُزكِّي نفسَـه ويُطَهِّرها، وبما يكـون سـببًا لزيادة الأجر، وصـلاح الأمر؛ بالإكثـار من تلاوة القـرآن وتدبرُّه والعمل بما فيه، والاسترشـاد بالسـنة وتَفهُّمِها والعملِ بمقتضاها؛ لِيَبْلُغ تزكيةَ نفسِه طُهْرةً ونماءً، ومن الكريم قَبُولًا ورضًا.

المطلب الثالث: التوبة:

إنَّ مِن سـعة فضل الله ورحمته، وعظيم إحسـانه وكرامته، أنْ جعل باب التوبـة لعبـاده مفتوحًا، فلـم يُغْلِقْهُ دونهم، وأرشـدهم بنور وحيه إلى سـبيلها؛ لتَطْهُر أنفسهم، وتتزكَّى مِن دَرَن الذنوب والمعاصي.

فإنَّ مَن تاب مِن الذنوب وأقبل على الأعمال الصالحة استراحت نفسه، وزكَا قلبه؛ لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وتُطَهِّر النفس من أوضارِ الذنوب والآثام، وتَمْحُو أثرها -إن صَدَق التائب وقُبِلت توبته- فلا تُبقِي من أثرها شـيئًا، يقول النبـي ﷺ: «إنَّ المؤمِـنَ إذا أذْنَـبَ كانَت نُكْتَةٌ سَـوداءُ في قلبِهِ، فـإن تابَ ونَزَعَ واسْتَغفر صُقِلَ قَلْبُهُ»[٢].

ولهـذا لا ينبغـي أن تحـولَ كثرةُ الذنوب بين الإنسـان وبيـن التوبة؛ فلا

(١) أخرجه الترمذي في سـننه: (٥/ ٢٥-أبواب فضائل القرآن/ باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر/ ح٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/ ١٦١-ح١٤١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٢/ ١٤١٨-كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب/ ح٤٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: (٩/ ٢٤٤-ح٤٢٤٤).

يستغرق فيها، ولا أن يُؤيِّس عبادَ الله من التوبة بتعظيم ذنوبه أو تكثيرِها، فيصُدَّهم عن سلوك طريقها؛ فإن الله ﷻ يغفرُها له مهما عَظُمت، فعن أبي طويل[(١)] رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: (أرأيتَ رَجُلاً عمِلَ الذنوبَ كلَّها فلَم يَترُكْ منها شيئًا، وهُوَ فِي ذَلِكَ لَم يَترُكْ حَاجَّةً ولا دَاجّةً[(٢)] إلا أتَاهَا، فَهل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟).

قال: «**فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟**».

قال: (أمَّا أنا فأشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأنَّك رسولُ اللهِ).

قال: «**نَعَمْ، تَفْعَلُ الخَيْراتِ، وتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ؛ فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَك خَيْراتٍ كلَّهُنَّ**».

قال: (وغَدَراتي وفَجَراتي؟).

قال: «**نَعَمْ**».

قال: (اللهُ أكبَر)، فما زال يُكَبِّرُ حتى تَوارى[(٣)].

وفي هذا عَاتَبَ الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ حين أعرض عن الأعمى لَـمَّا أراد أن يُزكِّيَ نفسَه بالتوبة وتطهير الذنوب فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[(٤)] [عبس: ١-٣]؛ أي: وما يُدريك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عَبَسْتَ في وجهه يتزكّى ويتطهَّر من ذنوبه، بما يستدعِي منك

---

(١) شَطَب الممدود، أبو طويل الكندي. صحابي جليل. لم تُثبت كتب الترجمة له تاريخ وفاة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٢/ ٦٣٣).

(٢) الحاجَّة: الحاجَة الصغيرة، الداجَّة: الحاجة الكبيرة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (د ج ج).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٧/ ٣٧٥- ٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣/ ٢٢٨-ح٣١٦٤).

(٤) ومن نظائرها في القرآن الكريم: الآية (٧) من السورة نفسها.

تعليمه إياه من القـرآن والدِّين، فيزداد طهارةً في دينه، وتزول ظُلْمَة الجهل عنه وأوضـار الآثـام، ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ٤]، أي: يَعْتَبِر، فينفعه الاعتبار والاتِّعاظ(١).

ولا شك أن هذه الوسيلةَ تُحقق المقصدَ الأعظم من مقاصدِ القرآن الكريم؛ وهو تحصيل الهداية، ونيل محبة الله -جلَّ جلاله-؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وبها يكون الفلاح؛ بقَبول التوبة، وحصولِ العفو والمغفرة والرحمة، وصْرفِ العذاب ودفعِه، ودخولِ الجنة.

فالمتأمل للآيات الحاثَّة على التوبة في القرآن الكريم -وهي كثيرة- يرى تعليقها بالفَلَاح، وبتكفير السـيئات، ودخول الجنَّات، ومِن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ثم قال بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

وإنما كانت بهذه المنزلة الرفيعة من تكفير السـيئات ونَيْل الدرجات؛ لأنها مِن أعظم ما تتزكَّى به النفوس، وتُمْحَى بها الذنوب، ويُنال بها رضا علَّام الغيوب.

ومما غفل عنه الناس اليوم هَدْيُ النبي ﷺ في التوبة؛ بالاستغفار والتوبة في المجلـس الواحـد أكثر من مئة مـرة(٢)، حيـث أُتْرِعَت أحاديـثُ المجالسِ

(١) ينظـر: جامع البيان، للطـبري (٢٤/ ١٠٥- ١٠٦). الجامع لأحكام القـرآن، للقرطبي (٢٢/ ٧٢). تفسير المراغي، للمراغي (٣٠/ ٣٩).

(٢) كمـا رُوي عـن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (إنَّا كُنَّا لنَعُدُّ لرسـولِ الله ﷺ في المجلـس الواحِدِ مئة مرَّة: «رَبِّ اغفِر لي وَتُب عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم»)، رواه أبو داود في سننه: (٢/ ٦٢٧-ح١٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٥/ ٢٤٨-ح١٣٥٧)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.

بالأمـور الدنيويـة، وقـلَّ فيهـا الذِّكْـر والمواعظ الإيمانيـة، ولعـل التذكير في المجالس والاجتماعات بِعِظَمِ شـأن التوبة، وبيـان أثرها ومقاصدها، وأن الله -تعالـى- أوجب المغفرة للتائبين؛ لعله يَعْظُم معنى التوبة في النفوس، وتُشَـدُّ العزائم على بلوغ الغاية في التطهُّر والزكاء والهداية.

المطلب الرابع: بذل الصدقات:

إن مِن أشرف وسائل تزكية النفس التي تُكَفَّر بها الخطيئات، ويُتَقرَّب بها إلى ربِّ البريَّات، ويَرفع اللهُ بها الدرجات؛ بَذْلَ الصدقات.

يقول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِـنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: تُطهِّرهم من دَنَسِ ذنوبهم، وتُكَفِّر سـيئاتهم، وتُنَمِّيهم، وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص[(١)].

وفي هذا حضٌّ للمؤمنين عامة، وللمذنبين خاصة على البذل والإحسـان في سـبيل الله؛ فإن إنفاق المال في سـبيل الله هو عَدْلُ الجهاد بالنفس، فالصدقة طُهْـرةٌ للمتصـدِّق، وتزكيةٌ له من الأوضـار والآثام التي تَعْلَق بـه[(٢)]، وهي من صور الإحسان إلى الناس.

يقول ابن تيمية: «والإحسان إلى الناس مِن أعظم ما تَزكُو به النفس، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]»[(٣)].

ومِن شـرفها أن الله جعلها سـببًا في النجاة من النار، فقـال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْـقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧-١٨]، فهـي مُزَكِّيَةٌ ومُطَهِّرَةٌ لمن

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١١/ ٦٥٩).
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٢/ ٨٨٧).
(٣) الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤).

قصد بها وجه الله طالبًا زكاةَ نفسه وتطهيرها؛ فإنه إذا خَلَا عَمَلُ الإنسان من ذنوبٍ يستحق عليها العقاب بما بَذَلَ في تزكية نفسه من الأسباب؛ غفر الله له برحمته وواسع فضله، فنُجِّيَ من النار، وأُدْخِل الجنة.

ومِن شرفها وفضلها أيضًا أن الله ﷻ عظَّم شأنها، حتى وصفها بوصفٍ قلَّ أن يَصِف به غيرها، فقال سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فوصف الصدقة بأنها قرض، والله أغنى الأغنياء، لا تنفعه طاعة عباده، ولا تضرُّه معصيتهم، ولا غِنًى فوق غنى الله ﷻ، ومع ذلك وَصَف المتصدِّقَ بأنه يُقْرِض الله ﷻ؛ استدعاءً إلى أعمال البرِّ، والإنفاق في سبيل الخير بألطفِ الكلام وأبلغه، وتأكيدًا لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضًا إلا والعِوض مستحق به، ففي هذا دلالة على عظيم فضل الصدقة، وأن الله يرفع بها من الدرجات بالحسنات، ويُكَفِّر بها من الخطيئات والسيئات(١).

يقول النبي ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»**(٢).

وهذه دعوةُ مَلَكٍ لا تُرَدُّ؛ فنزولهما بإذن الله، ومقالتهما كذلك، فكيف لا يُستجاب لهما؟! فالله ﷻ ما أنزلهما وقوَّلهما إلا ليُسْتَجَاب لهما -بفضله-، بل إن هذا مُشَاهَد محسوس؛ فإن المنفِق دائمًا مرزوق، والممسِك محروم، ومصداقه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩](٣).

(١) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (١/ ٥٤٧). شرح كتاب زاد المستقنع، للشنقيطي: (٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢/ ١١٥-كتاب الزكاة/ باب قول الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]، «اللهمَّ أعطِ منفق مال خلفًا»/ ح١٤٤٢).

(٣) ينظر: الكوثر الجاري، للكوراني (٣/ ٤٣٩- ٤٤٠). شرح كتاب زاد المستقنع، للشنقيطي: (٧٢٢).

فمَن أراد طهارةَ نفسِه من الأخلاق الرذيلة؛ من البخل والشُّحِّ وغيرها، وطهارتَها من الذنوب والآثام، وأراد إنماءَها بما يكونُ سببًا لزيادته في أوجه البِرِّ والخيرات، ونَيْلِ النفعِ والبركات، وأراد توفيقًا إلى الإحسان والطاعات، ومضاعفة الأجور والحسنات، وتخلُّقًا بأخلاق الأنبياء؛ برحمة الضعفاء، ومواساة الفقراء؛ فليستكثر من بذل الصدقات؛ تحقيقًا للمقصد القرآني.

المبحث الرابع

وسائل تزكية النفس الأخلاقية

المطلب الأول: عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا:

يقول الله ﷻ في معرض الذم للذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد ﷺ بالخسيس من الرشوة يعطونها، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويُغيِّرون معانيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾(1) [البقرة: ١٧٤]؛ أي: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يُورِدُهُم النار بِأَكْلِهِم، ولا يكلِّمهم الله ﷻ يوم القيامة بما يُحِبُّون ويَشتهون(2)؛ لأنه غضبان عليهم؛ لأنهم كتموا عن العباد ما يُزكِّيهم فاستحقوا الغضب، ثم قال: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: ولا يُطَهِّرُهم من دَنَسِ ذنوبهم وكُفْرِهم، ولا يُثْنِي عليهم، ولا يُنَمِّي أعمالهم، بل يُعذِّبهم عذابًا أليمًا مُوجِعًا؛ لِمَا أوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم عنهم ما يُقِيمهم على المحجة السهلة(3).

ولَمَّا كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب دلَّت الآيات على

(١) ومن نظائره في القرآن: الآية (٧٧) من سورة آل عمران.

(٢) فأما بما يسوءهم، ويكرهون فإنه سيكلمهم؛ لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨]، ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٦٧).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٦٦-٦٧). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٨٤). نظم الدرر، للبقاعي (٢/ ٣٥٢).

تحريـم كتمـان الحق، ووقوع الوعيد في حق كل مَن كَتَمَ شـيئًا من العلم أو بابًا من الدين يجب إظهاره[1].

وإنما وصف تعالى في الآية مَن قام بكتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا وعظَّم في الوعيد عليه؛ تعظيمًا لهذا الذنب[2]، وجعل جُرمَهم هذا سـببًا موجبًا لعدم تزكيتهم؛ لأنهم لـمَّا كتموا عن العباد ما يُزكيهم؛ جازاهم بنظير فعلهم بألَّا يُزكيهم عدلًا منه عز وجل، مع ما يستحقونه من العذاب الأليم، والحال الوخيم.

ووجْهُ كَوْنِ عدم كتمان الحق والاشـتراء به ثمنًا قليلًا وسـيلةً من وسائل تزكية النفس أنه في اجتناب ما يُوجِب عدمَ التزكية سـلوكٌ لطريق التزكية نفسه؛ وهـذا هـو المقصد القـرآني من هذه الوسـيلة؛ ولهـذا امتـدح الله عز وجل وجازَى بالحسنات في مقابل ذلك مَن سَمِع الحقَّ ولم يكتمه، وأيَّدَه بما عنده من العلم، كمـا في قولـه تعالـى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٣- ٥٤]، ولا شـك أن مضاعفة الثواب ههنـا دليلُ تزكيته تعالى لهم، والله أعلم.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٥/ ٣٠).

(٢) ينظر: المرجع نفسه.

۞ المطلب الثاني: عدم الثناء على النفس وتبرئتها[1]:

مِن الوسائل الـمُعِينَة على تزكيةِ النفس وتطهيرها من سوء الأخلاق والأقوال والأفعال عدم تبرئتها ومدحِها والثناء عليها؛ فإن مِن أعظم ما يُفْسد العمل الصالح ويُهلِك صاحبه تزكيته لنفسه بالثناء عليها، وتبرئتها من العيوب والنقائص.

وفي سياق الذمِّ يقول الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ [النساء: ٤٩]؛ أي: يُثْنُونَ عليها، ويُبَرِّئُونَهَا من الذنوب ويطهِّرونها، ويَدَّعون أنهم أزكياء بَرَرَةٌ عند الله؛ يُزكُّون أنفسهم بأمرٍ لم يَبْلُغوه[2].

فليس الـمُزكِّي مَن زكَّى نفسه، ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٩]، فيُطَهِّره ويبرِّئه من الذنوب بتوفيقه لاجتناب ما يَكرهه من معاصيه إلى ما يرضاه من طاعته من حُسن الأفعال والأقوال، فلا عِبْرَةَ بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له، ولهذا قال: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٥٠]،

(١) ويُستثنى من ذلك ما كان لمصلحة كما جاء في قصة يوسف عليه السلام في مدحه لنفسه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، قال النووي: «اعلم أن ذكرَ محاسن نفسه ضربان: مذموم؛ ومحبوب، فالمذمومُ: أن يذكرَه للافتخار وإظهار الارتفاع والتميّز على الأقران وشبه ذلك. والمحبوبُ: أن يكونَ فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف، أو ناهيًا عن منكر، أو ناصحًا أو مشيرًا بمصلحة، أو معلمًا، أو مؤدبًا، أو واعظًا... فيذكر محاسنَه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقربَ إلى قَبول قوله واعتماد ما يذكُره، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك.

وقد جاء في هذا المعنى ما لا يحصى من النصوص، كقول النبيّ ﷺ:...«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»... وقال يوسف ﷺ: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقال شعيب ﷺ: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]... وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «واللهِ لقد أخذتُ مِن فِي رَسُولِ الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولقد علمَ أصحابُ رسول الله ﷺ أني مِنْ أعلمهم بكتاب الله تعالى، وما أنا بخيرهم، ولو أعلم أن أحدًا أعلمُ منّي لرحلتُ إليه»... ونظائر هذا كثيرة لا تنحصر، وكلُّها محمولة على ما ذكرنا، وبالله التوفيق»، ينظر: الأذكار، للنووي: (١/ ٢٣٨- ٢٣٩).
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ١٧٨٢-كتاب الفضائل/ باب تفضيل نبينا ﷺ/ ح٢٢٧٨).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٧/ ١٢٤). تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٥٩- ٦٠).

أي: إن تزكية النفس، والغرور بما عندها مما آتاها الله من فضله مما يُبطِّىء عن نافعِ العمل الذي يُثاب عليه الناس، وكفى بهذا إثمًا ظاهرًا؛ لأنه لا أَثَرَ له مِن حق، ولا سِمَة عليه من صواب، وما مصدر هذه الدعوى إلا الغرور والجهل والإعجاب بالنفس والعمل، وكفى بذلك شرًّا مستطيرًا[1].

ولقد زَجَرَ الله ﷻ عن تزكية المرء نفسَه وتبرئته إياها، فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]؛ أي: لا تمدحوا أنفسكم ولا تُثْنُوا عليها، ولا تشهدوا لها بأنها زَكِيَّةٌ بريئة من الذنوب والمعاصي، أو تشهدوا لها بزكاة العمل وزيادة الخير؛ فإن ذلك أَبْعَدُ من الرياء، وأقرب إلى الخشوع، واشكروا لله على فَضْلِهِ ومغفرته؛ ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] ممن أَخْلَصَ منكم العمل، وخاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه[2].

فدلَّ الكتابُ والسنةُ على المنعِ من تزكيةِ الإنسان نفسَه[3]، كما جاء في صحيح مسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء[4] قال: (سَمَّيْتُ ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينبُ بنتُ أبي سَلَمَة[5]: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ بَرَّة

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٧/ ١٢٤). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٠٧-٤٠٨). تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٦١).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٧٠- ٧١). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٤٩). تفسير المراغي، للمراغي (٢٧/ ٦٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٠٨).

(٤) محمد بن عمرو بن عطاء، أبو عبد الله القرشي العامري. من التابعين. توفي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٣٠٩).

(٥) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد، القُرشية المخزومية، ربيبة النبي ﷺ، وأمها أم سلمة أم المؤمنين. توفيت عام ثلاثة وسبعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٦/ ١٣١). تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٨١٤).

فقال رسـول الله ﷺ: «**لا تُزَكُّوا أَنْفُسَـكُم، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِّرِ مِنكُم**» فقالوا: بِمَ نسمِّيها؟ فقال: «**سَمُّوهَا زَيْنَبَ**»)[١].

ولقد اتفق العقلاء على اسـتهجان تزكية المرء نفسَـه بالقول ولو حقًّا[٢]، وقد قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه[٣].

ويدخـلُ في ذلك تزكيةُ النـاسِ والمبالغةِ في الثناءِ عليهـم، وقابِلُ المدحِ -إن أُثْنِيَ عليه- كمادِحِ نفسِه، فإن الرادَّ له محمودٌ، والقَابِلَ له مَعِيبٌ[٤].

وقـد رُوِيَ أن رجـلًا ذُكِر عند النبـي ﷺ فأثنى عليه رجـلٌ خيرًا، فقال النبـي ﷺ: «**وَيْحَـكَ، قَطَعْتَ عُنُـقَ صَاحِبِكَ** -يَقُولُـهُ مِـرَارًا- **إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُل: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا**»[٥].

فنهى ﷺ أن يُفْرِطَ في مدح الرجل بما ليس فيه، فيُدخِل في نفسه الإعجابَ والكِبْـرَ، ويحمله ذلك على تضييع العمل وتَـرْك الازدياد من الفضل؛ ولذلك قـال ﷺ: «**وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**»، وعلى هذا تأوَّل العلماء قوله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُـمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ**»[٦]، أن المراد به المدَّاحون

(١) أخرجه مسـلم في صحيحـه: (٣/ ١٦٨٧-كتاب الآداب/ باب اسـتحباب تغيير الاسـم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم بَرَّة إلى زينب وجويرية ونحوهما/ ح٢١٤٢).

(٢) تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٦٠).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (١/ ٤٦).

(٤) ينظر: الأدب الكبير، لابن المقفع (٢٤٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ١٨-كتاب الأدب/ باب ما يُكره من التمادح/ ح٦٠٦١).

(٦) أخرجه مسـلم في صحيحه: (٤/ ٢٢٩٧-كتاب الزهـد والرقاق/ باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح/ ح٣٠٠٢).

في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، حتى يجعلوا ذلك بضاعة يستأكلون به الممدوحَ ويفتنونه(١).

وهذا مما عمَّت به البلوى من المبالغة في تزكية النفس بما ليس فيها، والمبالغة في التمادُح، خاصة في المحافل الاجتماعية، والأشعار القَبَلِية، وهو شيءٌ منكرٌ منهيٌّ عنه.

فالالتزامُ بهذه الوسيلة يُحققُ المقصدَ القرآني؛ من تهذيبِ الأخلاق(٢)، ورياضةِ النفس على التواضع، وكفِّ زمامها أن تسلُكَ طريقَ العُجب والكِبْر والغرور بما أُوتيت من فضل إذا هي زُكِّيت وامتُدِحت.

المطلب الثالث: عدم اتباع خطوات الشيطان:

إن الله عز وجل قد ابتلى الإنسان بأن جعل الشيطان له مُحرِّضًا على الإسراف فِي اجتلابه ما يؤذيه، واجتنابه ما ينفعه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حِذْرَه من هذا العدو الذي قد أبان عدواته منذ زمن آدم عليه السلام، وبَذَلَ عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم(٣).

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم شدة عداوة إبليس، وحِرْصه على إغواء بني آدم، وذلك فيما رواه جابر بن عبد الله(٤) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ إِبلِيسَ يَضَعُ عَرشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنهُ مَنزِلَةً أَعظَمُهُم فِتنَةً**»(٥).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٠٨- ٤٠٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٠).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (٢٤).

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو، أبو عبد الله السلمي الأنصاري. صحابي جليل، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي. توفي سنة أربع وسبعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (١/ ٤٩٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢١٦٧-كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا/ ح٢٨١٣).

وقد أمر الله ﷻ في مُحْكَمِ تنزيله بالحذر من الشيطان، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [النور: ٢١]، أي: لا تتبعوا طرائقه ومسالكه ونزغاته وما يأمر به[(١)].

ثم ذكر تعالى المقصد القرآني من النهي عن اتباع خطوات الشيطان فقال: ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾؛ فإن مَن اتَّبعَ الشيطان ارتكب الفحشاء والمنكر؛ لأنه لا يأمر إلا بهما، وهما كلُّ فِعْلٍ أو قولٍ قبيح نهت عنه الشريعة وأنكرته، وكذا كل ما أنكره أهلُ الخير منهما، وعلى هذا فكلُّ معصيةٍ هي من خطواتِ الشيطان، داخلةٌ في الفحشاء والمنكر[(٢)].

وسبيل تزكية المرء نفسَه في هذا أن يتجنَّب ويترك مقارفة الفواحش والمعاصي، فمتى ما سوَّل الشيطانُ للإنسانِ أمرًا فينبغي أن يَحْذَرَ منه أشد الحذر، وليستحضر العقل إلى بيت الفِكر في عواقب الذنب؛ وليسأل الله أن يجنِّبه الرذائل، وأن يُطَهِّره ويزكِّيه؛ لعل مَدَدَ توفيقٍ منه -سبحانه- يعصمه من الوقوع فيها؛ فتزكو نفسه وتصلح[(٣)].

يقول ابن تيمية: «تَرْكُ الفواحش مما تزكو به [النفوس]، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾»[(٤)].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٨٧). تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٨٨).

(٣) ينظر: ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (٢٤).

(٤) الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤).

فلولا فضل الله ورحمته ومِنَّتُهُ على مَن يشاء من عباده بالتوفيق لِفِعْل ما تزكو به النفوس، وبالمغفرة عند التوبة، لَمَا حصل لأحد من الناس زكاة ولا خير ولا طهارة؛ لأن فتنة الشيطان فتنة عظيمة، لا يكاد يَسْلَم منها الناس لولا فضل الله بإرشاد الدين، فتزكيته وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمال خَلْقِه، فهو سبحانه ﴿ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ مِن خَلْقِه، ويُضِلُّ مَن يشاء، ويُرْدِيه في مهالك الضلال والغَيِّ، فهو السميع لأقوال عباده، يستجيب لمن سأله الزكَاء والهداية وقبولَ التوبة بفضله، عليمٌ بمن يستحق منهم الهدى والضلال[1].

ومما يُؤسَف له أن بعض الناس قد تغافَل عن تزكية نفسه بِتَرْك فاحش الأقوال ومُنْكَرِها من الغِيبَة والنميمة، والاستماع إلى المعازف[2] وغيرها، بل استسهل مقارفتها دون اهتمامٍ لتطهير نفسه منها، رغم النهي المتكرر عن اتِّباع خطوات الشيطان واتِّباع الهوى، وعن الانشغال باللهو عن الطاعة وتطهير النفس وزيادتها في الخير وأوجه البِرِّ.

....

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠). تفسير المراغي، للمراغي (١١/ ١٦). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٨٧).

(٢) وفي سياق كون المعازف تدخل في الفحشاء والمنكر ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَيَكُونَنَّ مِن أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمرَ وَالمَعَازِفَ**»، أخرجه البخاري في صحيحه: (٧/ ١٠٦- كتاب الأشربة/ باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه/ ح٥٥٩٠). قال ابن تيمية: «من الفحشاء والمنكر: استماع العبد مزامير الشيطان، والمغني هو مؤذنه الذي يدعو إلى طاعته، فإن الغناء رُقيَة الزنا»، ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٥/ ٣٤٩).

الخاتمة

وبعدُ، فقد جاءت آياتُ القرآن الكريم -كما تبيَّن- مرشدةً إلى وسائلَ متكاملةٍ مُعِينة على تزكية النفس؛ دارت بين تطهيرها عن كل ما لا ينبغي، وزيادتها وإنمائها من كل خيرٍ وبِرٍّ وفضيلة؛ محقِّقةً بها عمومَ المقاصدِ القرآنية وكلياتها؛ شاهدةً على أن مدار سعادة العبد وصلاح أمره، وفلاحه في الدنيا والآخرة؛ قائمٌ على تزكية نفسه وتطهيرها. ولعل من أبرز النتائج التي خلص إليها البحثُ ما يلي:

أولًا: إن مفهوم تزكية النفس في القرآن دار بين معنى تطهيرها عن كل ما لا ينبغي، وزيادتها وإنماؤها في وجوه الخير والبِر.

ثانيًا: تكامل وسائل تزكية النفس في القرآن؛ حيث حققت أصل تزكيتها من تطهيرها من أوضار الشرك والمعاصي، وزيادتها وإنماؤها من كل برٍّ وفضيلة.

ثالثًا: عظم مكانة التزكية وموقعها بين مقاصد القرآن الكلية؛ حيث كانت من مقاصد بعثة الأنبياء والرسل، مرتبطة بها.

رابعًا: تعددُ ثمراتها ونفعها على العبد في دينه ودنياه وآخرته.

خامسًا: تتلخص وسائل تزكية النفس كما وردت -صريحة- في القرآن الكريم في تسع وسائل، وهي:

◈ الوسائل العقدية:

أ- توحيد الله ﷻ.

ب- الاستجابة لأحكام الله.

◈ الوسائل التعبدية:

أ- الصلاة والذكر.

ب- تلاوة القرآن وتدبره، وتعلم الحكمة وتفهمها.

ج- التوبة. د- بذل الصدقات.

◈ الوسائل الأخلاقية:

أ- عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.

ب- عدم الثناء على النفس وتبرئتها.

ج- عدم اتباع خطوات الشيطان.

سادسًا: تنوع الوسائل المذكورة؛ يُفضي إلى القول بأنه متى ما وَجدت النفس استرواحًا في وسائلَ دون أخرى؛ فلتُكْثِر، ولا يمنعها أنها إذا لم تستطع أو ثَقُل عليها بعضها؛ أن تقف دون تزكيتها، بل تَسْتكثر فيما استروحت منه، وتُحاول فيما بقِي منها.

ومما ينبغي تأكيده -أخيرًا- أن كلَّ وسيلة من الوسائل المذكورة؛ تُحقق مقصد التزكية من مقاصد القرآن الكريم العليا، وهي في نفسها أيضًا تُحقق مقاصدَ قرآنية أخرى عظيمة؛ مما دارت عليه تلك الوسائلُ؛ من تحقيق التوحيد، وقصد الاتباع والاهتداء، وتهذيب الأخلاق، وغيرها.

والله أعلم وأحكم، فإن كان مِن خطأ فمن نفسي والشيطان، وإن كان من صواب فمِن الله وحده، وفضلِه وكرمه، وأسأله الهدايةَ والزكاء، وأن يغفرَ لي الزلل، ويعفوَ عن الخطل، وصلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين..

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. «آثار ابن لمقفع (الأدب الكبير)». ابن المقفع، عبد الله (ت: ١٤٢هـ). ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢. «أحكام القرآن». الجصاص، أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام محمد شاهين. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣. «إحياء علوم الدين». الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ). (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤. «آداب النفوس». المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: ٢٤٣هـ). دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط٢، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥. «الأذكار». النووي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ). حقق نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة خاصة للدكتور محمد فيَّاض البارودي، دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٦. «أسد الغابة في معرفة الصحابة». ابن الأثير الجزري، عز الدين علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ). تحقيق وتعليق: علي محمد معوَّض وآخرون. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (أضواء البيان)». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ). إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (د.ط)، (د.م)، دار عالم الفوائد، (د.ت).

٨. «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (إغاثة اللهفان)». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٩. «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (اقتضاء الصراط المستقيم)». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق وتعليق: ناصر بن عبد الكريم العقل. ط٢، الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٠. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (أيسر التفاسير)». الجزائري، جابر بن موسى (معاصر). ط٣، جدة: راسم للداعية والإعلان، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١١. «الإيمان». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد بن ناصر الألباني. ط٥، عمان: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٢. «بصائر ذوي التمييز». الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ). تحقيق: محمد علي النجار. ط٣، القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣. «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، (د.م)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

١٤. «تاج العروس من جواهر القاموس (تاج العروس)». المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ). تحقيق: عبد الصبور شاهين، وآخرون. ط١، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥. «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تاريخ الإسلام)». الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ). حققه وضبط نصه وعلَّق عليه: بشار عوَّاد معروف. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٦. «التبيان في أيمان القرآن». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: عبد الله سالم البطاطي. ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

١٧. «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)». ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣م). (د.ط)، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٨. «تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي». الحرالي، علي بن أحمد (ت: ٦٣٨هـ). تصدير: محمد بن شريفة، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي. ط١، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩. «التعريفات». الجرجاني، علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٠. «تفسير ابن عثيمين -سورة البقرة». ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ). ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

٢١. «تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (إرشاد العقل السليم)». أبو السعود، ابن محمد العمادي (ت: ٩٠٠هـ). تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (د.ط)، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، (د.ت).

٢٢. «تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (جامع البيان)». الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر -عبد السند حسن يمامة-. ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٣. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤. «التفسير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم بن يونس (ت: بعد ١٣٩٠هـ). (د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

٢٥. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٦٤م.

٢٦. «تفسير المنار». رضا، محمد رشيد (ت: ١٣٥٤هـ). (د.ط)، (د.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٧. «تلبيس إبليس». ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). (د.ط)، بيروت: دار القلم، (د.ت).

٢٨. «تهذيب اللغة». الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون. (د.ط)، (د.م)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

٢٩. «التوقيف على مهمات التعريف». المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت: ١٠٣١هـ). تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٠. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تيسير الكريم الرحمن)». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣١. «الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (سنن الترمذي)». الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٩٧هـ). تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض. ط٢، (د.م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣٢. «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (الجامع لأحكام القرآن)». القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٣. «حاشية كتاب التوحيد». ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٣٩٢هـ). ط٤، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٤هـ.

٣٤. «دراسة في مقاصد القرآن الكريم». القصراوي، مدحت ممدوح (معاصر). (د.ط)، (د.م)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (د.ت).

٣٥. «زاد المسير في علم التفسير (زاد المسير)». ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). ط١، بيروت: المكتب الإسلامي- دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٦. «زهرة التفاسير». أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ). (د.ط)، (د.م)، دار الفكر العربي، (د.ت).

٣٧. «سلم الوصول إلى طبقات الفحول». حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط. (د.ط)، استانبول: مكتبة إرسيكا، ٢٠١٠م.

٣٨. «السنن (سنن ابن ماجه)». ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: ٢٧٣هـ). حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون. (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

٣٩. «سنن أبي داود». السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ). حققه وضبط نصه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، طبعة خاصة، دمشق: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤٠. «سنن النسائي». النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (د.ط)، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. (د.ت).

٤١. «شرح كتاب زاد المستقنع». الشنقيطي، محمد المختار (معاصر). (د.ط)، كتاب إلكتروني، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

٤٢. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى البغا. ط١، (د.م)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤٣. «صحيح الترغيب والترهيب». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤. «صحيح الجامع الصغير وزياداته». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٥. «صحيح سنن ابن ماجه». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٦. «صحيح سنن أبي داود». الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٤٧. «صحيح سنن الترمذي». الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٨. «صحيح مسلم». مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ). الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إسطنبول. (د.ط)، بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤هـ.

٤٩. «طبقات الحفاظ». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ). راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٥٠. «العبودية». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد زهير الشاويش. ط٧، بيروت: دار المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥١. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)». الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ). تحقيق وتعليق ودراسة: عاد أحمد عبد الموجود وآخرون. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٢. «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها». ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت: ٧٩٥هـ). ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.

٥٣. «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث صحيح البخاري (الكوثر الجاري)». الكوراني، أحمد بن إسماعيل (ت: ٨٩٣هـ). تحقيق: أحمد عزو عناية. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٥٤. «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ). تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي. (د.ط)، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

٥٥. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد. (د.ط)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٥٦. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٠٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٧. «مدارج السالكين». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٥٨. «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (المعجم الاشتقاقي المؤصل)». جبل، محمد حسن (ت: ١٤٣٦هـ). ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م.

٥٩. «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ). حققه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي. (د.ط)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

٦٠. «معرفة الصحابة». الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ). تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦١. «مفاتيح الغيب». الرازي، فخر الدين محمد (ت: ٦٠٤هـ). ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٦٢. «المفردات في غريب القرآن (المفردات)». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

٦٣. «مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٤هـ). تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. (د.ط)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦٤. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (نظم الدرر)». البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ). (د.ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).

٦٥. «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. ط١، (د.م)، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٦٦. «**الوابل الصيب من الكلم الطيب (الوابل الصيب)**». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: سيد إبراهيم. (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، (د.ت).

٦٧. «**الوافي بالوفيات**». الصفدي، صلاح الدين بن خليل (ت: ٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٨. «**الوجوه والنظائر في القرآن العظيم** (الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان)». مقاتل، ابن سليمان البلخي (ت: ١٥٠هـ). تحقيق: حاتم بن صالح الضامن. ط١، دبي: مركز جمعة الماجد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٦٩. «**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** (الوجوه والنظائر لهارون بن موسى)». الأعور، هارون بن موسى (ت: أواخر القرن الثاني الهجري)، تحقيق: حاتم بن صالح الضامن. (د.ط)، (د.م)، وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الآثار والتراث، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٧٠. «**الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز** (الوجوه والنظائر للدامغاني)». الدامغاني، الحسين بن محمد (ت: ٤٧٨)، تقديم وتحقيق: عربي عبد الحميد علي. (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الثاني

مهارات التدبر التطبيقية

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

❁ حاصل على درجة الماجستير تخصص التفسير وعلوم القرآن من من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. بأطروحته: إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمع ودراسة مقارنة مع الإمام الباقلاني.

❁ حاصل على درجة الدكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. بأطروحته: التبيان في تفسير القرآن لعلي بن خلف الغزي- دراسة وتحقيق- البقرة وآل عمران.

النتاج العلمي:

❁ وقفات تربوية في آيات الحج.

❁ موسوعة رعاية الإسلام لطلاب العلم المغتربين.

❁ مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا.

❁ بغية الطلاب في موضوعات سورة الأحزاب.

❁ البريد الإلكتروني: aboayob@hotmail.com

مجلة تدبر

مستخلص البحث

التدبر عملية علمية تفاعلية تمر في مراحل و خطوات تهدف إلى إيجاد أثر علمي وعملي للآية التي بدأت عملية التدبر من أجلها. ومن الملاحظ أن هناك العديد من الأساليب والوسائل والمهارات التي تساعد على تدبر القرآن بشكلٍ إيجابي.

في هذا البحث المختصر مهارات التدبر التطبيقية وصفٌ لبعض التطبيقات العملية لتدبر القرآن مع أمثلةٍ توضيحية لتكون منطلقا لتنمية مهارات التدبر، وعونا يساعد على تنمية مهارات تدبر القرآن، وبالتدرب والتطبيق المتدرج فإنها تمكن من تهيئة النفس -بإذن الله- لتدبر القرآن.

ولم أجد فيما وقفت عليه كتابة فيها، ولصعوبة الجمع بين المهارات العملية مع صياغة البحث العلمي، وحساسية الضبط العلمي التأصيلي الذي يحفظ مسار المهارات من الانحراف والدخيل؛ فقد حاولت الاجتهاد في استخراجها من البحوث النظرية، ثم التدرب عليها، والتدريب لغيري، فوجدت لها أثراً في نفسي وفيمن شاركني فيها، فأحببت كتابتها وعرضها على مشايخي وزملائي بعد تحكيمها في مجلة تدبر لعل الله ينفع بها.

وأحمد الله ﷻ على ما يسر وأعان من كتابة هذه المهارات والتي جاءت في سبع مهارات رئيسة يسير عليها المسلم في مسألة تَدَبُّر القرآن الكريم:

الأولى: تهيئة للنَّفْس، وذلك بالتحفيز لها لتدبر الآية، والاستعداد المناسب.

الثانية: السؤال، وذلك بتحديد الموقف مما تضمنته الآية، وتحصيل الأثر.

الثالثة: الوسائل التي تُعين على الجواب على السؤال.

الرابعة: رَبْط المعاني التي وردت في الآية نتيجةً لتلك الوسائل.

الخامسة: تنويع المجالات؛ بحيث لا يقتصر المتدبر في جُزئية معينة، بل ينظر إلى القرآن بسعته، وإلى الدنيا وحاجتها إلى أحكام الله ﷻ بشمولها وإتقانها.

السادسة: المراجعة، إذ يحتاج المتدبر إلى نوع من الضبط (هل تَدَبُّري هذا صحيح أم خطأ؟).

السابعة: النشر والتعليم، لما استفاده المتدبر من الآية: كيف أُثَبِّته في نفسي، وكيف أُعَلِّمه للناس.

وهذه المهارات اجتهادٌ، وليس العدد مقصوداً في هذا البحث، ولا المسميات كذلك، والتي ينتظر أن تنال نصيبها فيما بعد من البحث والترتيب؛ لتكون أكثر متانةً، وأقوى تأثيراً بإذن الله تعالى.

وهذه المهارات نواةٌ لبرامج تطبيقات عملية، ودورات تدريبية وتطبيقية؛ ترتقي بتدبر القرآن في حياة الفرد والمجتمع المسلم، في كل مكانٍ، وحسب مستوياتهم وأوقاتهم وظروفهم.

وبعد فهذه سطورٌ من الاجتهاد في هذا الموضوع المهم، فما كان من صواب فيها فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي واستغفر الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: التدبر، التطبيقية،مهارات، تهيئة، سؤال، وسائل، ربط، تنويع، مراجعة، نشر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنّا نسألك البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم إنّا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

أما بعد:

إن التدبر عملية علمية تفاعلية تمر في مراحل وخطوات تهدف إلى إيجاد أثر علمي وعملي للآية التي بدأت عملية التدبر من أجلها. ومن الملاحظ أن هناك العديد من الأساليب والوسائل والمهارات التي تساعد على تدبر القرآن بشكلٍ إيجابي.

نقتنع تمامًا بأن التَّدَبُّر أَمَرَنا الله ﷻ به، وأوجبه علينا، وجَعَلَ القرآن حُجّة علينا بمجرد سماعه؛ لأننا نستطيع أن نفهم العاقبة، وإن لم نفهم كل التفاصيل التي قد تَرِد في التفسير، أو تَرِد في الأحكام والاستنباطات التي تأتي بعد ذلك عند العالِم الذي يملك تلك الأدوات.

وفي هذا البحث سأتناول أهم المهارات التطبيقية العامة التي تُعين المسلم على تَدَبُّر القرآن الكريم.

وستجد عزيزي القارئ في هذا البحث المختصر **"مهارات التدبر التطبيقية"** وصفًا لبعض التطبيقات العملية لتدبر القرآن مع أمثلةٍ توضيحية

نأمل أن تكون منطلقًا لتنمية مهارات التدبر، وأن تكون عونًا تساعد على تنمية مهاراتـك في تدبر القرآن، وبعد شـيء من التدرب والتطبيـق المتدرج نأمل أن تتمكن من تهيئة نفسك لتدبر القرآن.

مشكلة البحث:

نود أن نتدبر لكننا لا نعرف كيف نتدبّر؟ وهذا السؤال الذي دائمًا يَرِد على النَّفْس.. فما أهم المهارات التطبيقية العامة التي تُعين المسلم على تَدَبُّر القرآن الكريم. وما أهم مقومات تلك المهارات، وخطواتها الإجرائية المساعدة لذلك.

هذا أهم ما يحاول هذا البحث الجواب عنه بإذن الله.

الدراسات السابقة:

لـم أجد مـن كتب فيها مـن قبل، فحاولـت الاجتهاد في اسـتخراجها من البحـوث النظريـة، ثم التدرب عليهـا، والتدريب لغيري، فوجـدت لها أثرًا في نفسي وفي من شاركني فيها، فأحببت كتابتها وعرضها على مشايخي وزملائي، وقد تم تحكيمها في مجلة تدبر ونشرها لعل الله ينفع بها.

خطة البحث:

يشتمل البحث على تمهيد وسبعة مطالب وخاتمة كالتالي:

التمهيد: أهمية التدبر وتعريفه وعلاقته بالتفسير.

المطلب الأول: مهارة التهيئة وتطبيقاتها.

المطلب الثاني: مهارة السؤال وتطبيقاتها.

المطلب الثالث: مهارة الوسائل وتطبيقاتها.

المطلب الرابع: مهارة الربط وتطبيقاتها.

المطلب الخامس: مهارة تنويع المجالات وتطبيقاتها.

المطلب السادس: مهارة المراجعة والتصحيح.

المطلب السابع: مهارة نشر التدبر وتعليمه للغير.

الخاتمة.

فهرس المسائل.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث أسلوب العرض العلمي السهل، مراعاة للفئة المستهدفة من المهارات؛ وهم الفئة العظمى من المسلمين. ويتمثل في النقاط التالية:

أولًا: تتبعت التسلسل الزمني لعملية التدبر من خلال تلك المهارات وجزئياتها، من غير قصد تفضيلٍ ولا تمييزٍ قدر الإمكان، وحاولت ربطها بالمهارات اللازمة للمتدبر.

ثانيًا: شرحت المهارة بذكر أهم الجزئيات التي تقوم عليها كأمثلة، ولا أطيل بذلك، ولا أستقصي البحث.

ثالثًا: مَثَّلت لكل جزئية بما يكشف المراد بها، ويعين القارئ على فهمها وتطبيقها بشكلٍ جيد وعملي.

رابعًا: حرصت على لغة الخطاب لأشارك القارئ في التفاعل والحوار الذاتي، ولذا تركت الصياغة العلمية الأفضل في بعض المواضع لهذا الهدف.

خامسًا: اجتهدت في وضع مصادر ومراجع للقارئ الذي يرغب الاستزادة في المسألة المعروضة.

سادسًا: اتبعت المنهجية العامة في كتابة البحوث العلمية، وعلى الأخص الخطوات التالية:

١- أخُصُّ الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وأجعلها بين قوسين مزهرين ﴿..﴾، وأثبت القراءات القرآنية بالرسم الإملائي بين قوسين ﴿..﴾.

٢- أعزو الآيات في متن البحث بين هذين المعقوفين [..] عقب ذكر الآية مباشرة، سواءً كانت في نَصٍّ منقول أو غيره.

٣- أُخَرِّجُ الأحاديث النبوية والآثار تخريجًا مختصرًا، مع بيان حال الأحاديث المرفوعة صِحَّةً وحُسنًا وضعفًا، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدِهِما أكتفي بذلك عن الحكم عليه، ولا أعزوه إلى غيرهما إلا لِحاجَة.

٤- أختصرُ في ذكر أسماء المراجع في الحاشية اكتفاءً بالتفصيل الموجود في ثبت المراجع، إلا في الأسماء المشتركة بين أكثر من كتاب، فأبَيِّنُ من اسم الكتاب ما يُمَيِّزُه.

ويسعدني استقبال ملاحظاتك و اقتراحاتك على عنوان الباحث.

هذا وأسأل الله تعالى توفيقه وهدايته، والسداد للصواب، إنه خيرُ مسئول وأكرم مأمول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

....

تمهيد

أهمية التدبر وتعريفه وعلاقته بالتفسير

أولاً: أهمية التدبر:

قبل أن أبدأ بذكر تلك المهارات أَوَدُّ أن أُذَكِّر بأن الله ﷻ أنزل هذا القرآن على نبيّه ﷺ ليتدبره الناس، كما قال الله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة ص: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وفي القراءة الأخرى: ﴿لِتَدَبّروا آياتِهِ﴾ بالتاء(١).

وقد نَعَى الله ﷻ على المنافقين أنهم لا يتدبرون القرآن، وبَيّن أن سبب ضلالهم هو تَرْكهم للنظر في كلام الله ﷻ الذي هو شفاءٌ ونور وهُدى ورحمة، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وقال عن الكفار أو المنافقين كما في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(٢) [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه عن الكفار: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

قد ورد الأمر والترغيب في تدبر القرآن الكريم **بلفظ صريح في هذه الأربعة مواضع**، وبألفاظ غير صريحة، تحمل في مضامينها مفهوم التدبّر، كالتفقّه،

---

(١) قراءة متواترة، قرأ بها: أبو جعفر بالخطاب مع تخفيف الدال وقرأ الباقون بالغيب والتشديد، ينظر: جامع البيان للطبري ٢١/ ١٩٠، والمبسوط في القراءات العشر ص(٣١٩)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٤٠١.

(٢) جمهور المفسرين على أن الآية في المنافقين، وذكر القول بأنها في الكفار الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٠٢، والقشيري في لطائف الإشارات ٣/ ٤١٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٨-٤٠٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤٥.

والتعقّل، والتبصّر، والتفكّر، والتذكّر، وغير ذلك من المفردات، والصيغ التي مفادها التدبّر والتأمّل في آيات القرآن الكريم.

فهذه أربع آيات في تَدَبُّر القرآن الكريم، واحدة في سورة المؤمنون، وهي خطابٌ للكفار، واثنتان في سورة النساء ومحمد، وهي خطابٌ للمنافقين، والرابعة التي في سورة ص، وهي خطابٌ للعموم.

فبيّن الله ﷻ أن الغاية من إنزال القرآن: هي تَدَبُّره، وأن الغاية من تَدَبُّره: هو الانتفاع به، والامتثال لِمَا فيه من الخير والهدى والنور.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما في سورة الإسراء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وبيّن الله ﷻ حال هؤلاء وهؤلاء مع القرآن فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آخر سورة التوبة: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة].. نسأل الله العفو والعافية.

فالله ﷻ جَعَل هذا القرآن شفاءً وهدًى ونورًا، وصراطًا مستقيمًا وروحًا وحياةً؛ لِمَنْ اتّعَظَ وتذَكَّر وتفَكَّر فيه.

وأما مَنْ أعرض عنه أو كَابَر أو عانَد أو جَحَد فإنه -والعياذ بالله ﷻ- يبعد، بل إن الله ﷻ يُغْلِق على قلبه حتى إنه لا يستطيع أن يتفكر، ولا أن ينتفع بتلك الآيات؛ ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

فنحن بحاجة إلى أن تحيا قلوبنا بالقرآن، وأن نعيش مع القرآن وأن يكون القرآن حياة نعيشها، وليس ألفاظًا نُرَدّدها.

ولذلك استغربت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: (ألستَ تقرأ القرآن؟) قال: بلى، قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[1].

فإن كنت تريد أن تعرف أخلاق محمد ﷺ، فاقرأ القرآن، فإنَّ كل ما في القرآن من خيرٍ فهو صفةٌ موجودةٌ -وخُلُقٌ موجودٌ- في محمدٍ ﷺ، وكل ما كان نَهْيًا منهيًّا عنه في القرآن أو جاء الزجر والوعيد فيه؛ فقد اجتنبه نبينا محمدٌ ﷺ ولذلك العيش مع القرآن هو عيش مع حقيقة الإيمان بالله وبرسوله ﷺ.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت وما أراد بها»[2]. وقال الإمام القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] «ودلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه»[3].

مَنْ يمتثل القرآن في نفسه فهو يمتثل الإيمان؛ ولذلك حَكَى الله عَزَّ وَجَلَّ حال هؤلاء المؤمنين فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة] نسأل الله العفو والعافية.

ثانيًا: تعريف التدبر:

المقصود بالتدبر: هو النَّظَر في عاقبة الأمر، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (٧٤٦).

(٢) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٢٦ وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤، والقرطبي في الجامع ١/ ٢٦، والشاطبي في الموافقات ٣/ ٣٥٠، والقاسمي في محاسن التأويل ١/ ٢٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٥/ ٢٩٠، وللتفصيل في الحكم ينظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٩٩-١١٠.

أي ينظروا ما هو المطلوب منه. فحين تقول: تَفَكَّرْتُ في الأمر فرأيت أنه يؤول إلى كذا؛ بمعنى أن المقصد والغاية منه هي كذا.

وأبرز مدلولات مادة «دَبَرَ» في اللغة: هو التفكر والفهم والنظر في عواقب الأمور، إذ أصل المادة يدور حول معنى واحد وهو: أواخر الأشياء وعواقبها والتفكّر فيها[1].

وعلى هذا فإن «التدبر» لا يخرج عن المعاني الآتية:

١- التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، وآياته، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

٢- نظر القلب وجمع الفكر فيه.

٣- إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له.

ومن ثَمّ فإن هذه الخصوصية في معنى «التدبر» تكاد لا تبتعد عن معنى النظر أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما، إذا خصّصنا هنا النظر العقلي بالجانب الذهني المحض، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معًا.

من خلال التأمل في مفهوم التدبر يتبين أنه ينبغي أن يتضمن عدة أمور:

- **الأول:** القراءة نظراً أو حفظًا أو الاستماع.
- **والثاني:** معرفة المعاني والتفسير جملة.
- **والثالث:** معرفة مراد الله تعالى ومقاصد الآيات.
- **والرابع:** حضور تأثر القلب وخشوعه.
- **والخامس:** التطبيق وانسياق الجوارح للعمل.
- **والسادس:** الوصول للمعاني الكلية واللطائف الدقيقة.

(١) يراجع في ذلك: مقاييس لابن فارس ٢/ ٣٢٤ «دبر».

واجتماع هذه الأمور الستة يمثل أعلى درجات التدبّر، وقد يتخلّف شيء منها فيكون القارئ حينئذ متدبراً ولكن على درجة ما، ولعله يرقى إلى الكمال بالدُّرْبة والمران - بإذن الله تعالى - ما صلحت نيته، وصفا قلبه[(١)].

فائدة في مجيء مصطلح التدبر على صيغة التفعل:

هذا وإن مجيء مصطلح التدبّر على صيغة التفعُّل يفيد عدّة فوائد أهمها:

- **أولها**: التكلُّف وبذل الجهد.
- **ثانيها**: التدُّرج والتمهُّل.
- **ثالثها**: التكثير والمبالغة، وحصول الفعل مرة بعد أخرى مع الصبر والتحمّل[(٢)].

وهذه أمور تقتضيها عملية التدبر أيضًا، فحتى يؤتي أُكْلَه وثمارَه الطيبة، ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمُّل والتفكُّر، ويتمهّل ولا يعجل، ويكرّر النظر مرة بعد مرة، ويتجلّد بالصبر ولا يملّ.

فيُستفاد من كلام العلماء في معنى التدبّر، أن التدبر في القرآن يشمل الأمور الآتية:

- معرفة معاني الألفاظ وما يُراد بها.
- تأمُّل ما تدل عليه الآية أو الآيات مما يُفهم من السياق أو تركيب الجمل.
- اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

(١) مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٥٣-٥٤.

(٢) يراجع: شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الاستراباذي ١/ ١٠٢ والخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٣/ ٢٦٤، ومفهوم التدبر عند اللغويين أ.د. عويض العطوي ص٣٠.

فالتدبر هو: تأمل الآيات للاهتداء بما دلّت عليه علمًا أو عملًا.

ولإيضاح هذا التعريف، يقال:

قولـه: «تأمل الآيات»، وهذا يعني أن التدبر لا يتأتَّى في الواضح البيّن، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل؛ لاستنباط المراد.

وقوله: «للاهتداء بما دلّت عليه»؛ لأن هذه هي الغاية من التدبر، ولأن الله تعالى وصف كتابـه فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسـراء: ٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتدبر.

وقوله: «علمًا أو عملًا»؛ لأن التدبر إذا خلا من إحدى هاتين الثمرتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلـم أكثر من ظهور العمل بمعنـاه الخاص، كالتدبر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصف بعض الأمور الكونية(١).

تنبيه: ما العلاقة بين التَّدبُّرِ والتَّأثُّرِ البدني من سماع القرآن، كالقشعريرةَ التي تصيب الإنسان، والخشوعَ الذي يلحقُه؟

قد يكون بسبب تأثيرِ القرآنِ عليه وهو التَّدبُّر وقد لا يكونُ، فالتَّدبُّرُ عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذِّهنِ، والتَّأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسبب التَّدبُّرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونَظْمِه(٢).

---

(١) وإن كان ينبغـي أن تـورث تلـك الآيات إجـلالاً وتعظيمًا لله تعالى، وهذا من أعمـال القلوب. ينظر بحـث: قواعـد وضوابط التدبـر، أ.د. عمر المقبل، شـارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشـؤون الإسلامية في ٥/ ٢/ ١٤٣٢هـ بالرياض.

(٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، ص٢٠٤.

ثالثًا: علاقة التدبر بالتفسير:

ما الفرق بين التدبر وبين التفسير؟

التدبر: هو النظر في العاقبة. **وأما التفسير:** فهو البحث في مراد الله بالآية من المعاني[1].

مثال: في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

هذه السورة نقرؤها ونحفظها منذ كنا صغارًا، ونسمعها من الأئمة كثيرًا.

فما هي النتيجة التي تدل عليها؟ وما الذي يأمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ به في هذه السورة؟

الجواب: أن لا يُشغلنا شيء عن ما أَمرنا الله به، هذا هو التدبر، كل واحد سواء كان مُتَعَلِّمًا أو غير مُتَعَلِّم، كبيرًا أو صغيرًا؛ المهم أنه يفهم الكلام العربي الذي هو القرآن فهو يستطيع أن يفهم أن هذا تحذير من الله عَزَّ وَجَلَّ ألاّ يُشغلنا شيء عن طاعته.

وعند تفسيرها؛ ستختلف المنهجية، فهل هذه السورة نزلت بسبب تَلاحي فريقين من المؤمنين[2]؟ أم أنها نزلت بسبب تَلاَحِي فريقين من المشركين؟ أم أنها نزلت في اليهود[3]؟

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١/ ١٣، والمصدر السابق.
(٢) انظر: لباب النقول للسيوطي ص٢١٥.
(٣) انظر في السببين: أسباب النزول للواحدي ص٤٦٤، والغرض هنا بيان الفرق بين التدبر والتفسير لا تحرير سبب النزول.

وعلى كل قولٍ من هذه الأقوال في سبب نزولها سيختلف تفسيرها، وسيكون اختلاف معنى التكاثر المراد بهذه الآية.

لكن التدبر: هو أن تعرف أن الله ﷻ ينهاك عن أن يُشغِلك أي شيء عن طاعته، أيًّا كان ذلك الشيء، من دون الدخول في هذه التفاصيل التي هي مترتبةٌ على المعاني، مترتبة على التفسير، مترتبة على الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر مثل (ناسخ ومنسوخ، مُقَدّم ومؤخر، أسباب نزول، مكّي ومدني..) إلى غير ذلك من العلوم التي يحتاجها الإنسان عندما يريد أن يبحث في المعاني[1].

إنَّ التدبر كما حكى بعض أهل العلم عن رجلٍ أعرابي: أنه سَمِع القارئ يقرأ: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣].

فقال: مَنْ الذي أغضب الجليل حتى يحلف[2]؟!

النتيجة عنده: أن الله ﷻ لا يُقسِم إلا على أَمْر عظيم، ولولا أن الناس اختلفوا فيه وخالفوا ما قال الله ﷻ فيه ما أقسم، فيقول: مَنْ الذي أغضب الجليل حتى يحلف؟!

فالتدبر: نظر في عاقبة الأمر.

أما التفسير: فهو نَظَر في المراد بالمعاني.

وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١] فالتدبر فيها: أن الله ﷻ يحثُّنا على الطاعة ويُحَذِّرنا عن الغفلة.

(١) للاستزادة يمكن الاطلاع على: فصول في أصول التفسير، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم؛ كلاهما للشيخ أ.د. مساعد بن سليمان الطيار -وفقه الله-، وصدرا عن دار ابن الجوزي بالدمام.

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٩/ ١١٥، وكتاب التوابين لعبد الله بن قدامة: ٢٧٥ ح (١١٢).

لكن حين نتناولها من جانب التفسير: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ هل أَمْر الله هو القيامة؟ مَنْ الذين يستعجلون الساعة؟ أليسوا الكفار؟ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]. إلى غير ذلك من الآيات التي تؤيد هذا المعنى وتشهد له.

أو يكون: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بمعنى شَرْع الله، فالذين يستعجلون هم المؤمنون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ [المائدة: ١٠١][1]، إلى غير ذلك من الآيات التي تؤيد هذا المعنى وتشهد له.

فإذًا في درس التفسير أدخلُ في معانٍ متعددة، وأقوالٍ ووجوهٍ، ولكن على أي قولٍ فسَّرنا: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: بمعنى القيامة، أو ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بمعنى عذاب الله، أو ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بمعنى شَرْع الله[2]، فإنها كلها تجتمع في شيءٍ واحدٍ هو: هذه العاقبة التي نبحث عنها، وهي: أن الله عز وجل يحثنا على الطاعة، وينهانا عن الغفلة.

(١) انظر في ذلك البحر المحيط ٦/ ٥٠٣، والغرض هنا بيان الفرق بين التدبر والتفسير لا تحرير سبب النزول والتفسير.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٥، وزاد المسير ٢/ ٥٤٩.

المطلب الأول

مهارة التهيئة وتطبيقاتها

أول مهارة يحتاجها المتدبر هي **التهيئة**.

المقصود بالتهيئة: هو أن يستعد المتدبر، بأن تكون نفسه قابلةً للتدبر.

فتهيئة النفس لتَدَبُّر القرآن، أن تستعد له، ويصبح لها عادة، فإذا سمعت القرآن-أو قرأته- تتدبر مباشرةً، ومع التمرين ستصبح تلك المعاني تتوارد إلى الذهن مباشرة مثل البرقيات-كل آية ومعناها، كل آية وتَدَبُّرها- لكن هذا لن يكتسب إلا بالمِران.

وإنَّ تهيئة النفس للتدبر تحصل بأسلوبين:

۞ الأسلوب الأول: التحفيز:

فإنَّ النَّفس تحتاج إلى نوعٍ من التشجيع، ونَفْسُك تحتاج دائمًا إلى تحفيز، فإنَّ الْمُحَفِّزات تُوَطِّنها.

ولا يمكن أن تُمَرِّن نفسك إذا لم تكن نفسك جاهزة لذلك، متهيأةً له، فتحتاج لمُحفِّزات ترفع الاهتمام بالتدبر قبل البدء به، وسأذكر أربع محفزاتٍ منها على سبيل التمثيل:

- الإرادة والعزم.
- استشعار خطاب الله له.
- تعظيم القرآن الكريم.
- قصد الانتفاع والامتثال.

○ **فأول التحفيز:** هو أنك تَحُثُّها، فالإرادة والعزم هي أهم نقاط تحفيز النَّفْس.

«وتقوية الإرادة في النفوس ليس بالأمر الهين، فقد عمل رجال الاجتماع

وأصحـاب التنظيم العسـكريين علـى تقويتهـا في المجتمع هـذا الزمان، وقد سبقهم الدين الإسلامي على ذلك بأربعة عشر قرنًا. وما أحوج المسلم خاصة أن يكون قوي الإرادة، صادق العزيمة، ولذا أمره الله بتحمل المشاق في الحج، والصـبر على فراق الأهـل والأحباب، وتعطيل المصالـح الدنيوية أو بعضها، والمسير إلى بلد لا يبلغها أحد إلا بشق الأنفس، ومكابدة ألم الجوع والعطش في الصيـام، وقـوة الصبر عن مألوفاته التـي اعتادها حال الصيام، احتسـابًا لله، ووفـاء بأمانة الصوم الـذي أضافه الله إليه، مما يجعـل المؤمن قوي الإرادة في تحقيـق ذلـك، بحيث لو دُفع له شـيء من المـال على ترك مألوفاتـه لم يقبل، ولكن يتركها حال صومه لله رب العالمين»[(١)].

وتعتـبر الإرادة وقـوة العزيمة مـن الأدوات الحتمية والعوامـل والمرتكزات الرئيسة؛ التي تقف بشكل مباشر وراء النجاح في أي مجال من المجالات الحياتية، حيث إن هذه الصفات النفسية تشكل إحدى أقوى الدوافع الداخلية التي من شأنها أن تدفع الشخص نحو تحقيق أهدافه والوصول إلى كل ما يطمح إليه.

وحتى نبذل الوقت والجهد في تدبر كتاب الله تعالى لابد من إرادة جازمة، وعزيمة ثابتة لا تثنيها الخواطر والملهيات لتحقيق ذلك.

○ الأمر الثاني الذي يُحَفِّزنا: أن نعلم أن القرآن خطاب الله لنا.

يقـول ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سـمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقـول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فَأَرْعِهـا سَـمْعك» يعنـي مثلما نقول نحـن: (افتح أذنـك)، «فَأَرْعها

(١) الصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة، عبدالرحمن بن محمد الدوسري ص٢٣.

سَمْعك فإنه خيرٌ تُؤمَر به أو شرٌّ تُنهى عنه»[(١)].

فالقرآن الذي تقرؤه، أو تسمعه من الإمام أو الإذاعة: خطابُ الله لك مباشرة، قبل الآخرين! فهو رسالة خاصة لكل مخاطَبٍ، فكلما استشعرت أن هذا خطاب من الله لك كلما كانت نفسك مستعدةً أن تتفهم الكلام، وأن تتلقاه وتعمل بما فيه بقوةٍ لا بضعفٍ.

فإذا استشعرنا هذا وعَظّمناه في نفوسنا؛ مَكنَّا لتدبر القرآن والعمل به مساحة أكبر في نفوسنا.

○ الأمر الثالث: تعظيم القرآن:

إذا كان القرآن ليس ككلام النبي ﷺ، فكيف بكلام سائر البشر؟!

فَعظَمة القرآن عجيبة، وشأنها عظيم، وقد عظَّمه الله تعالى وأقسم به: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، والله ﷻ عظيم، ولا يُقسِم إلا بأمرٍ عظيم، ولا يُقسِم إلا على أَمْرٍ عظيم.

والعجيب: أن القرآن هو الشيء الوحيد الذي جاء في القرآن مُقسَمًا به ومُقسَمًا عليه، أما بقية الأشياء: فإما أن تكون مُقسَمًا بها، وإما أن تكون مُقسَمًا عليها، إلا القرآن؛ وذلك لِتَفَرّده في هذا الباب وعَظَمته، فَأَمْره ظاهر كظهور تلك الدلائل المقسم بها، ومهما جَحَده أولئك الجاحدون أو حاولوا أن يقولوا فيه قولًا لا يليق!! فهو عظيمٌ أيضًا، فشأنهم كجاحد ضوء الشمس.

ولذلك قال الله ﷻ عن آيات القرآن: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤]. فَهُم يعرفون أن هذا القرآن من عند الله، ولذلك قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١٧، ونعيم بن حماد في الزهد (٣٦)، والأصبهاني في حلية الأولياء ١/ ١٣٠.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾ [العنكبوت: ٥١][(١)].

يقول الحارث المحاسبي: «فإذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلِّم به لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلى من استماع كلام الله -جل وعز-، وفهْم معاني قوله؛ تعظيمًا وحبًّا له وإجلالًا، إذ كان تعالى قائله، فحُبُّ القول على قدر حبّ قائله..»[(٢)].

فشأن القرآن عظيم، ومهما كتبت عن عَظَمة القرآن فلا أُوَفّيه حقه[(٣)].

الأمر الرابع: قصد الانتفاع بالقرآن وامتثاله:

إنَّ من الْمُحَفّزات المهمة للنَّفْس أن تجعل لنفسك قاعدة: (أسمع القرآن -أو: أتلو القرآن- لأنتفع وأمتثل)، وإذا لم تجعل هذا هو هدفك فستُضَيّع بقية الأمور.

هناك فرق كبير بين إنسان يدخل السوق ليتفرج، وبين إنسان يدخل السوق قاصدًا غَرَضًا محددًا، فَكُلٌّ يُحصِّل ما قَصَد!!

فكذلك أنت مع القرآن، لا بد أن يكون لك قَصْدٌ، وهذا القصد لا بد أن تُوَطِّن نفسك عليه، وهو: إرادة الانتفاع بالقرآن، فمريض يريد أن يعالجه القرآن، وجاهل يريد أن يُعَلّمه القرآن، وضال يريد أن يهتدي بالقرآن... وهكذا، فيكون عند المسلم قَصْدٌ واضحٌ وقويٌّ[(٤)].

(١) للاستزادة انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص١٨٨-١٨٩.

(٢) فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي ص٣٠٢، ويراجع: تدبر القرآن مفهومه وأساليبه د. فهد الوهبي ص١٩.

(٣) للاستزادة انظر: عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس سعيد القحطاني، عظمة القرآن الكريم محمود الدوسري.

(٤) للاستزادة ينظر: مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد عبدالله الربيعة، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.

وأيضًا: أنَّ هذه رسالةٌ من ربي يريد المؤمن القيام بحقها.

فإذا اجتمع قصد الانتفاع، وقصد الامتثال، فقد أخذ بسببٍ من الانتفاع والتأثر بإذن الله.

هذه مُحَفِّزاتٌ أربع وقد تجتهد بأكثر، أو أقل..، لكن المقصد: أن الإنسان حتى يُهَيِئ نفسه لتدبر القرآن وينتفع بالقرآن لا بد له من التحفيز، فيُحَرِّك نفسه نحو هذا الهدف، وأعظم التحفيز: أن يكون عنده إرادة وعَزْم ونيّة واستشعار: أن هذا خطاب من الله ﷻ له، وأن القرآن شأنه عظيم، ليس كغيره، وأن يكون له هدف ومقصد بأن يمتثل وينتفع بالقرآن.

وأدعوك أخي القارئ أن تفكّر وتسأل نفسك: كيف أُحَفِّز نفسي؟ وخلال خمس دقائق اكتب فيها محفّزات نفسك لتنتفع بالقرآن، ستجد أشياء تحتاج إلى أن تعالجها حتى تنتفع بالقرآن العظيم.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن.

۞ الأسلوب الثاني من التهيئة: الاستعداد:

فحين أشعر أني أمتلك دافعية قوية، فهل أنا مستعد؟ لأن الاستعداد أمرٌ إضافيٌّ.

والمقصود هنا: أن نُفَرِّق بين مسألة التحفيز وبين مسألة الاستعداد؛ لأن بعض الناس يظن أن التحفيز هو الاستعداد، لا، فقد تكون مُتحمسًا لقضية ما؛ ولكنك غير مستعد لها الآن.

إذًا الاستعداد: هو الأشياء الملموسة، والخطوات التي أُجَهِّز نفسي من خلالها حين يأتي التحفيز فتكون له نتيجة إيجابية، ولا يكون مجرد حماسٍ في وقت معين، ثم يتلاشى لأنه لم يجد مكانًا مناسبًا.

فمن النقاط التي ينبغي اعتبارها في الاستعداد:

- ◈ الدعاء وسؤال الله الفهم.
- ◈ تفريغ القلب من الشواغل.
- ◈ البعد عن مجالس اللغو.
- ◈ اختيار الوقت المناسب.
- ◈ التخفُّف من الماديّات.
- ◈ حسن التلاوة والترتيل، أو حسن الاستماع والإنصات.

وهي ليست محصورة في هذه النقاط، لكنها أمثلة لتتضح الصورة، ولو فكّر كل واحد بنفسه وحاول أن يقول: ما هي الأمور التي يجب أن يستعد بها لينتفع بالقرآن؟ سيجد أشياء عديدة.

◈ فأول الوسائل التي نستعد بها للانتفاع بالقرآن: دعاء الله ﷻ وسؤاله الفهم.

فإنَّ الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ويقول الله ﷻ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يا معلم إبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي بالتراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم إبراهيم، فهمني»[١]. فسؤال الله ﷻ الفهم ليس عَيْبًا، بل هذه سُنّة الأنبياء وأتباعهم الأجلاء؛ فكل مسلمٍ بحاجة إلى أن يدعو الله ﷻ ويسأله الفهم.

◈ ومن الأمور التي يُستعَدّ بها: تفريغ القلب من الشواغل.

كان شأن الصالحين مع القرآن في الليل -حينما تهدأ الدنيا- عجيب، كما

(١) انظر: الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لابن عبدالهادي، ص٧٧-٧٨.

وصفهم الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧]، ويقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ١-٦]، فتفريغ القلب من الشواغل مهم للانتفاع بالقرآن.

ولذلك يُلاحظ أن الذي لم يتعود على السنن الرواتب تصعب عليه، لكن إذا وَطّن نفسه عليها ومارسها استمر عليها، ويريد أن يُطيل في صلاته! لأن النَّفْس تَعَوّدت، فكذلك التدبر؛ كلما عَوّدْت نفسك على التلذذ بكلام الله ﷻ، وأن تجعل كلام الله ﷻ يُزاحِم هذه الشواغل، وليست الشواغل هي التي تُزاحمه؛ كلما تَمَكّن من قلبك أكثر وأصبح قلبك يتلذذ به أكثر، وأصبحت حياة قلبك به أكثر، وأصبحت الشواغل: هي التي تأتي وتذهب، فلا تُشغلك عمَّا أنت فيه من اللذة والنعيم الذي تعيشه مع كلام الله ﷻ[(١)].

◈ ومن الوسائل التي نستعد بها حتى نتدبر القرآن الكريم: أن نَبْتَعِد عن مجالس اللغو.

فإن الله ﷻ أَمَر نبيّه ﷺ بهذا ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. فمجالسة أهل اللغو تُغلِق القلب عن تَدَبُّر القرآن وتَفَهّمه والانتفاع به، والابتعاد عنهم والإعراض عنهم مع الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم؛ تُجَلّي القلب وتُنَظِّفه، فيصبح أكثر استعدادًا للانتفاع[(٢)].

(١) يقول ابن حجر رحمه الله عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية». فتح الباري لابن حجر ٩/ ٤٥.

(٢) انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص١٩١.

◈ ومن الاستعداد أيضًا: اختيار الوقت المناسب.

وإن كانت هي تابعة لتفريغ القلب من الشواغل، إلاّ أنها تزيد عليها: فمن الناس من يكون الوقت الأنسب له بعد صلاة الفجر، ومنهم من يكون الوقت المناسب له في الثلث الأخير من الليل، ومنهم من يكون الوقت المناسب له بين المغرب والعشاء، أو بعد صلاة العصر... إلى غير ذلك.

وهذه الأوقات كلها فيها آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين -رحمهم الله تعالى-، وعَيْشهم مع القرآن فيها، وأكثر الأوقات التي وَرَدت في الروايات؛ ثلث الليل الأخير، وبعد صلاة الفجر، وبين المغرب والعشاء[1].

والمقصود: أن الإنسان يحرص على الوقت الأنسب له، بأن يكون قلبه رائقًا، وهنا يحاول أن يزرع فيه شجرة الانتفاع بالقرآن، فإنَّ الشجرة الطيبة إنما تُزرع في مكانٍ يناسبها، فإذا أردت أن تنتفع بالقرآن فضَعْه في الوقت المناسب له عندك، وما من وقتٍ واحد نقول: إنَّ هذا مناسبٌ للجميع، وإن كانت قضية قيام الليل لا شك أفضلها، فهي التي أَمَرَ الله ﷻ بها نَبيّه ﷺ، وهي من أفرغ وأفضل الأوقات[2] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [المزمل: ٢].

◈ ومن الاستعداد أيضًا: التخفيف من الماديات.

مَنْ أَكَل كثيرًا شَرِب كثيرًا، ومَنْ شَرِب كثيرًا نام كثيرًا، هذه قاعدة عند أهل العلم، فإن الإكثار من الماديات يُشغِل الإنسان، فيكسل ويعجز، بل ويشغله بكثرة الأمراض، وكثرة الأدوية، وكثرة الانشغال والتفكير بأمور

(١) انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٢٣٩، ٢٤١.
(٢) انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص١٩٥، ٢٠٢، ٢٤١.

أخرى، فعليك التخفيف من الماديات أيًّا كانت تلك الماديات، ومن الماديات الأكل والشُّرب، والزخارف والصُّوَر والأصوات وغيرها، فكلها تُشغِل البال، وتُشَوِّش على الإنسان، وتُثْقِلُه، فكلما تَخَفّفت منها كنت مستعدًا لتدبر القرآن والانتفاع به وامتثاله أكثر.

فالتخفيف من الماديات يجعل الذهن أكثر صفاءً، والقلب أقل انشغالًا، وهنا يكون المجال مناسبًا للانتفاع بالقرآن، بينما إذا كثرت من هذه الماديات فلن تستطيع أن تنتفع بالقرآن! لأن المساحة التي بقيت في قلبك ضعيفة وقليلة. لا نستطيع القول: ضع جدار حديد بينك وبين الماديات والشواغل هذه، أبدًا، لكن خَفِّف منها، فكلما خففت منها كلما انتفعت بالقرآن أكثر.

فإذًا يجب على الإنسان أن يُخَفِّف من الماديات ليكون مُهيئًا ومستعدًا للتدبر بإذن الله تعالى[1].

◈ ومن أمور الاستعداد للتدبر: حُسْن التلاوة.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل]، فحُسْن الترتيل وحُسْن التلاوة مؤثرٌ.

وحُسن الاستماع فإنه مؤثرٌ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، و(لعل) من الله واجبة -كما يقول العلماء رحمهم الله-، فهي للتحقيق، ليست للترجي في مثل هذا[2]، فمَنْ أحسن الاستماع للقرآن رَحِمَهُ الله ونَفَعه بهذا القرآن.

---

(١) انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص١٩١-١٩٢.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٤٣، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم ١/ ١١٣ (٥٤٥) أخرجه عن عون بن عبدالله، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ١٢٩، والهداية لمكي بن أبي طالب ١/ ٦١٣، و٧/ ٤٧١٩، و ٧/ ٤٩٣٦، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ١٠٧، والبرهان للزركشي ٤/ ٣٩٢-٣٩٤. والبحر المحيط ٧/ ٣٩٩.

فلا شك أن هذا يجعل الإنسان مستعدًّا أكثر، لأن الترتيل وحُسْن الصوت يجعل الإنسان ينجذب إلى ما يُتلَى، ويبتعد عن تلك الشواغل والماديات.

فمما يجذب إلى القرآن أكثر: حُسْـن التلاوة، وحُسْـن الصوت، وحُسْن الإنصات[١].

هذه جولة سريعة في مسألة التهيئة، وكل المذكور ما هو إلا أمثلةٌ[٢].

والأجود أنَّ كلّ شخصٍ يجلس ويكتب ما هي الْمُحفِّزات التي يحتاجها، والتي يقدر على فعلها، والأنسب لنفسه، والأمور المهمة التي يستعد بها لتدبر القرآن.

وسيجد من ذلك أمورًا أخرى غير المذكورة.

....

(١) انظر: مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٢٤٣-٢٤٥، ٢٦٠-٢٦٩.

(٢) للاستزادة انظر: تدبر القرآن الكريم، عبدالله موسي محمد أبو المجد، من بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول.

المطلب الثاني

مهارة السؤال وتطبيقاتها

التدبر هو: النظر في العاقبة. فكيف تنظر في عاقبة الآيات؟

يكون ذلك عبر مهارة السؤال، وهي تتكون من شِقّين:

- **الشق الأول: صُلْب السؤال (تحديد الموقف).**
- **الشق الثاني: الأثر،** هل هذا السؤال أثمر أم لم يثمر؟ هل له نتيجة أم ليس له نتيجة؟ إذا كان ليس له نتيجة فإذًا لا يناسبني هذا السؤال، لا بد أن أبحث عن سؤال آخر.

ومَفَاد السؤال و جُملته: ما نصيبي من هذا الأمر؟

وتطبيق ذلك في المثال التالي:

من آيات سورة التكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر]، أسأل نفسك: ما نصيبي من ذلك التكاثر الذي يُلهيني عن ما أَمَرَني الله ﷻ به من العبادة؟

ستتوارد عِدّة أفكار:

- **منها:** الجوال يُلهيني ويُشغلني، وربما لا أُدرِك تكبيرة الإحرام بسبب الجوال.
- **ومنها:** أولادي يشغلوني.
- **ومنها:** زوجتي أشغلتني - زوجي أشغلني.
- **ومنها:** الطبخ أشغلني. إلى غير ذلك.

فكل شخص سيَجَدَ من نفسه شواغل تشغله عن طاعة الله ﷻ، هذه الشواغل هو مُتكاثِرٌ بها، عرف ذلك أو لم يعرفه، أعلن ذلك أو لم يُعلنه.

➢ يأتي الشق الثاني من السؤال: ما هو الأثر؟

هل عندي استعداد إذا أَذَّن المؤذن أُصمتَّ الجوال؟

هل عندي استعداد إذا أَذَّن المؤذن وأنا -مثلًا-: أضحك، أو أمزح مع أولادي، أو ألعب مع أولادي، أن أقول لهم: ربي ناداني فسأذهب لنداء ربي، وأتركهم، أو آخذهم معي إن كانوا أهلًا للمسجد؟

هل ممكن المرأة -كمثال- إذا حضر وقت الصلاة أن تقول: نعم، يمكن أن أخرج من المطبخ وألتفت إلى صلاتي؟ إلى غير ذلك...؟

فكل واحدٍ عنده شواغل يتكاثر بها، سواء كان يتكاثر بها بلسانه، أو يتكاثر بها بواقعه- فتُشغله، وتكبر عنده، ومعنى (يتكاثر بها): أنها تكبر عنده حتى تُشغله، فتأخذ حَيّزًا غير حَيّزها، فتتعَدّى.

إذًا لكل واحد منّا نصيبٌ من هذا السؤال.

سؤالٌ آخر: في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش]. ما هو التدبر الذي في هذه السورة؟

الله أنعم عليك بنعمةٍ ويريد منك أن تشكرها، مهما كانت تلك النعمة فشُكْرها: عبادته.

تدبر النعمتين المذكورتين في السورة -الرزق والأمن-: هل توفرت عندنا نعمة الرزق والأمن؟ وهما من أعظم النِعم والمنن، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أصبح منكم آمنًا في سِرْبه، عنده قوت يومه فكأنما حِيْزَت له الدنيا بحذافيرها**»(١).

(١) أخرجه الترمذي كتاب الزهد باب رقم (٣٤) ح(٢٣٤٦)، وقال الألباني: حسن، وابن ماجه في الزهد ح(٤١٤١)، باب القناعة، والبخاري في الأدب المفرد باب من أصبح آمنًا في سربه ح(٣٠٠)، والقضاعي ١/ ٣٢٠ (٥٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٤ (١٠٣٦٢).

هي متوفرةٌ، فهل نحن نُقابِل هذه النعمة بالعبادة أم لا؟

انظر ذلك في الأثر الذي عندك.

إنَّ التدبر هو أن تقول: أين أنا من كتاب الله؟ أين أنا من كلام الله؟

فتحدد موقفك من المعنى العام المذكور في الآية أو الآيات، وتنظر مستوى عملك وعلمك فيه.

لا تستنبط الأحكام، فمسألة الاستنباط إثباتٌ آخر، والاستنباط لا يأتي إلا بعد التفسير، ولا يقوم به إلا العلماء كما قال الله ﷻ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٨٣].

فصُلْب التدبر: أن تجعل الآية أو الآيات أمامك، وتسأل نفسك مباشرة: (ما نصيبي أنا منها؟).

مثالٌ ثالث: لما تسمع ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة] ما نصيبي من هذا الحمد؟

وهل فعلًا أحمد الله ﷻ بما يستحقه أم لا؟

و﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة] ما نصيبي من هذه الهداية؟ أين أنا منها؟

ولما يقرأ الإمام: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة] هل فيَّ شيء من صفة الغضب أو الضلال أم لا؟

﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة] مباشرةً تسأل نفسك: ما نصيبي من هذا الكتاب؟ ما نصيبي من هذا الهدى؟

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] ما نصيبي في قضية الإيمان بالغيب؟ ما نصيبي في قضية الصلاة؟... وهكذا.

فإذا جاءت صفة مدح فتقول: ما نصيبي منها؟ وإذا جاءت صفة ذم تقول: ما نصيبي منها؟

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ [العلق].. ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق].

فالتدبر ليس صعبًا؛ لأنك تنظر للعاقبة مباشرة.

إننا لن نعصي الله عز وجل حينما نستحضر هذه الأشياء، فلا يمكن أن نأكل الحرام ونحن نستحضر هذه الآيات، ولا يمكن أن تكون أخلاقنا سيئة ونحن نستحضر هذه المعاني، بل العكس سنكون إيجابيين بدرجة عالية جدًّا، أعلى مما يتكلم عنه علماء النفس، وعلماء تطوير الذات، والمحفز فقط هو وقوفنا التدبري مع آيات الكتاب الحكيم.

◄ الأمر الثاني: حصول الأثر:

إنَّ شأن القرآن عظيم، فالله عز وجل يقول: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، ولما ذم ربنا اليهود في مكابرتهم ومعاندتهم لأنبيائهم قال: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] تأمّل الفرق بين إنسانٍ يسمع آيات الله ويقسو قلبه ولا يهتم لها، وبين حجارةٍ يحصل منها هذا.

ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد: ٣١] أين جواب لو؟ محذوف، قال العلماء: تقديره لكان هذا القرآن.

وحُذَف ليكون أبلغ في ذهن السامع والقارئ المتدبر، حتى يتساءل: أين الجواب؟ لكان ماذا؟

وحذف الجواب أبلغ من ذكره كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من العلماء الذين أيضًا سبقوه على هذا[1]، فالمقصد: أنَّ شأن القرآن عظيم.

وهذا السؤال: ما نصيبي من هذا الأمر، لا يعني تحرير الموقف وحسب! بل له ما يتبعه:

أين أنا من هذه الصفة؟ أين أنا من هذا الأمر؟ هل أنا من أهله؟ كيف أكون مستجيبًا.

إن كنتُ من أهله فلأُثبتنَّه وأحرص عليه وأتمسك به، وإن لم أكن من أهله؛ فما السبيل إلى أن أكون من أهله؟

وهذا الذي قصدته بقضية حصول الأثر.

لا يكفي أن تسأل نفسك سؤالًا فقط، بل حين تقول: أنا من أهل النفقة، فكيف تثبت نفسك على هذه النفقة؟ كيف تلزمها؟ كيف تحافظ عليها ممَّا يُفسدها؟

أو تقول: أنا من أهل الصلاة، هذا مكسبٌ ممتاز، فهل أدركتَ منازل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الصلاة؟ كيف أُثبِّت نفسي على هذه الصلاة، فلا أضيعها في يومٍ من الأيام؟

إذًا لابد من حصول أثرٍ لهذا السؤال، وإلاَّ يكون السؤال عقيمًا، ليست له قيمة.

مثل التحفيز الذي ذكرناه قبل، أنت تريد التدبر، لكن هل أنت مستعد؟

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل ص١٠٦، وإعجاز القرآن للباقلاني ص٢٦٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣١٦، وإعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠٥.

حين تصبح مستعدًا، وورد السؤال، فافعل، وهذا الفعل لا يمكن أن يكون إلا بهذا الأثر.

ولا يشترط أن يكون أعظمَ الأثر، فبعض الناس قد يقول: سأكمل شهرًا لم أقرأ آية، لأني لم أكن قادرًا على أن أثبت نفسي على هذا الأمر!!.

نقول له: لا، لا تقف، بل هذه الأمور مثل قطرات المطر، تجتمع قطرة فقطرة، ثم تصبح بعد ذلك سيلًا قويًا، يجرف كل ما أمامه من عوائق وشواغل وملهيات ومشغلات.

ولذلك فأولُ الأثر الذي يحصل من هذا السؤال هو: **فرح قلبك وسعادته** بما ظهر له من نتيجةٍ، وتحديدٍ لموقفك، وفرح قلبك بأنك فعلًا محتاجٌ لهذا الشيء، هذا بذاته أول مكسبٍ، فاحرص عليه.

وثاني مكسب: إنك تبدأ **تتفكر في مدلول الآيات**، هذه الآية فيها الأمر الفلاني، وهذه الآية فيها النهي عن القضية الفلانية، وهذه الآية فيها كذا، فما تمرّ عليك آية إلا وفهمتها- ليس فهمًا تفصيليًا، بأن تعرف كل شيء فيها، من أسباب نزول، وناسخ ومنسوخ، ومطلق ومقيد، وعام وخاص مثلما نذكر في علوم القرآن، لا؛ لكن على الأقل أصبح لها معنىً عندك، ولها قيمة، لن تُقرأ عليك وكأنها طلاسم لا تَفهم ما هي.

ولذلك من عظيم أثر هذا السؤال: أنك تبدأ تتفكر في ماذا دلت عليه الآية؟

ومن حصول الأثر: التفاعل العملي مع مضمونها، وهذا مهم جدًّا، فيجب أن تُمسك به حتى لا يضيع عليك، فإذا كان جوابك مثلًا: أنا من أهل الصلاة، لكن قد تفوتني تكبيرة الإحرام، إذًا فلأحضر تكبيرة الإحرام، أو: أنا

ممن يحضر تكبيرة الإحرام، إذًا فلأؤدي الراتبة قبلها، أنا ممن يؤدي الراتبة قبلها، إذًا فلأحضر الأذان.. وهكذا.

وتعرفون كم كان حرص السلف على ذلك، كالذين ذُكر في تراجمهم أنه عشرين سنة ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد، وبعضهم أربعين سنة لم ينظر لغير ظهر الإمام، يعني ما صلى خلف أحد، بل دائمًا يكون خلف الإمام، أربعين سنة لم يتأخر عن صلاةٍ واحدةٍ إلا وهو خلف الإمام.

فالمقصود تفاعلك العملي مع مضمونها **فإن كنت في خير فتزداد، وإن كنت مقصرًا فتبدأ العلاج**، فتفاعلك العملي هذا نجاحٌ ولو كان بسيطًا في تقديرك، **فهذا هو بداية المجاهدة والترقي**.

فقد خلق الله ﷻ الإنسان على وصفٍ قابلٍ كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ١، ٢]، يعني: أخلاط، فالله ﷻ خلقك من هذه الأخلاط ليبتليك، ولا يمكن الارتقاء بالنفس فجأةً، بل تحتاج إلى نُقلاتٍ.

فلذلك، **ارضَ بالخير القليل الذي يحصل مع أول تدبر** لك، ثم ثق أنه سيكون بعده خيرٌ ثانٍ وثالث ورابع وتستمر، فقطرات المطر، نقطة نقطة؛ لكن في النهاية تكون سيلًا، ثم نهرًا جاريًا.

وهذا النهر جاء من قطرات، وكذلك الخير الذي أنت تريده، وتريد أن تغير نفسك به لابد أن يكون من هذه القطرات التفاعلية.

و مما يحصل للإنسان من الأثر: **البكاء والخشوع تبعًا للأمر الذي سمعه**.

الخليفة الراشـد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قرأ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور] توقف عندها، وخشـع خشـوعًا، وبكى بكاءً شـديدًا حتى عاده الناس[(١)].

وجبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سـمع قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من سـورة الطور: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطـور] قـال: كاد قلبـي أن يطير. قالها وهو مشركٌ -بعدُ لم يسلم-، وهذه هي سبب إسلامه[(٢)].

فإذًا، الإنسـان أحيانًا قد يحصل له قشـعريرة، أو ما هو أشـبه بالنفضة، ثم يأتيه شـعورٌ جديد، إما أنه يحزن ويبكي، وإما أنه يخشـع ويعترف بتقصيره، أو غير ذلك، فالإنسان أحيانًا يحدث له شيء بسبب التدبر كما في المثالين.

ومن الآثار التي قد تحصل للإنسان بعد هذا السؤال مباشرةً **السجود**.

وصـف الله عبـاده بأنهم إذا تليـت عليهم آياتـه ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ [مريم: ٥٨]، فالسجود أثر من آثار التواصل والانتفاع، تبعًا للسؤال. فهؤلاء سجدوا تعظيمًا لله عَزَّ وَجَلَّ وإجلالًا وتقديرًا له[(٣)].

ومن الأثـر الذي يحصل: أن تنقل هذا المعنى لغيـرك.

ومثاله أن تقول: كل شيءٍ في الدنيا يحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، فلماذا نحن نقصر في حمده؟

وتقـول: إن نعمـة الأمـن ونعمة الرزق مـن أعظم النعم التـي امتن الله بها

(١) الخبر أخرجه أحمد في الزهد ص١٢٢، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص٩٣ (١٠٠)، ينظر: شرح صحيـح البخاري لابن بطال ١٠/ ٢٨١، وتفسـير القرآن العظيم، ابن كثيـر ٦/ ٤٣٠، وكنز العمال (٣٥٨٣٢) وعزاه لأبي عبيد في فضائل القرآن.

(٢) الخبر أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور، حديث رقم: ٤٨٥٤.

(٣) ينظر: الكشـاف ٢/ ٦٩٩، و التفسـير الكبير للرازي ٢١/ ٥٨، والجامع للقرطبي ١٤/ ٩٩، والبحر المحيط ٧/ ١٢٤.

علينــا، فتنقل هذا المعنى لغيرك، فنقلك المعنى لغيرك دليلٌ على أنك أُعجبتَ به وأنه رسخ عندك.

هــذه طبعًا بعض الطرق والأمثلة على حصول الأثر، واســأل نفســك بعد هذا: ما هي الآثار التي تحدث لك؟ وكيف تستفيد منها وتستغلها؟ ستجد أنها تطول وتتجدّد.

فالسؤال هو اللب، بعد أن هيئت نفسك واستعددت؛ وهناك نقاطٌ تعينك على أن يكون الســؤال مثمرًا فتسأل: ما الوســائل التي تساعدني على أن يكون سؤالي الذي سألته نفسي مثمرًا؟.

فـإنَّ الذي يزرع يتمنى أن يجد عشــر أضعاف ما زرع، فهــو لا يريد مثلما زرع! بــل يريــد أكثر، يريــد نتاجها مضاعفًا، ولذلك لابد أن يســتعمل وســائل يحــرص فيهــا على رفع ســقف الانتاجيــة، وهكذا يجــب أن تكــون حالنا مع الطاعة عمومًا، وكلام الله خصوصًا.

فنحاول أن نتعرف على الوسائل اللي تساعد على أن يكون للسؤال نتيجةٌ، وأن تكون نتيجته إيجابيةَ الأثر.

....

المطلب الثالث

مهارة الوسائل وتطبيقاتها

والمراد بها: الوسائل التي تساعد على أن يكون للسؤال نتيجة إيجابية مثمرة، وهي كثيرةٌ، لعلي أذكر منها تسعًا.

الوسيلة الأول: النظر لعموم الآيات والألفاظ.

إذا أردت أن تتدبر القرآن الكريم، فلا تشغل نفسك بالتفاصيل، مثال ذلك الآية: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش]، قبل أن ينعم الله ﷻ عليهم بهذه الرحلة -رحلة الشتاء ورحلة الصيف-، وقبل أن ينعم عليهم بالحرم الآمن، ماذا كان حالهم؟ وما هي القصة أو السبب؟ الجواب موجودٌ، ويذكره المفسرون، ذكره الطبري وابن كثير وغيرهم من أهل العلم(١)، وليس شأن التدبر تَتَبُّعَها.

لذا تدبر الآيات حسب اللفظ الإجمالي الموجود في النص - أي: بالمعنى الإجمالي-، فالله ﷻ يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أي: إن قريشًا أَلِفوا رحلة الشتاء والصيف، والحرم الآمن، فنسوا أن يشكروا الله ﷻ الذي أنعم عليهم! وأنهم كانوا قبل ذلك في خوفٍ شديد، وفي جوعٍ شديد.

وأقوى ما يعينك على المعنى الإجمالي: التفاسير المختصرة، مثل كتاب التفسير الميسر - من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة-، وتفسير السعدي - تيسير الكريم الرحمن-، أو ما يماثلهما من التفاسير التي تُعنى بالمعنى الإجمالي للآية، ولا تُشغلك بتفاصيل تحليل مسائل الآية.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٤/ ٦٤٦-٦٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥-٥٢٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٩١-٤٩٢، واللباب لابن عادل ٢٠/ ٥٠٦-٥١٠.

فإذا وقفتَ مع المعنى الإجمالي للآية، وقلتَ: ما نصيبي؟ هنا ستكون النتيجة -بإذن الله- عالية. وإذا أشغلتَ نفسك بالتفاصيل ستنشغل عن الذي يخصك، ويذهب أكثر جهدِك لتلك التفاصيل.

والتدبر في التفاصيل بعد معرفتها من طريقٍ صحيح يعتبر درجةً عاليةً ومثمرة، لكن لا ينبغي للمبتدئ الانشغال بها، بل يقوم بالواجب من تدبر المعنى الإجمالي العام، فإذا أحسن ذلك وتمرَّس فيه ينتقل لما يحتاج لأدواتٍ إضافيةٍ وتحليلٍ بشرط أن يتوثق من صحتها.

الوسيلة الثانية: تفعيل وسائل التدبر الإدراكية.

حاول قدر ما تستطيع أن تعيش مع الآية بسمعك وببصرك، بالإشارة وبالتمثيل.

مثال بسيط جدًّا: كيف أعرف قضية الفرق بين البلد الذي يعيش آمنًا مثل بلد الحرمين -ولله الحمد- أو البلد الذي يعيش في خوفٍ مثل حال إخواننا في الشام أو في اليمن.

فهذا يجعل السؤال يقع عندك موقعًا كبيرًا وعظيمًا، فحين ترى أنَّ منهم من لا يستطيع أن يصلي جماعةً، ولا يستطيع أن يخرج ليأتي بخبز، من شدة الخوف -وهو سيدٌ في قومه لكن بسبب فقدان الأمن.

فلاحظ أنت ما هو الشعور الذي يخالجك عندما تُفَعِّل هذه الوسائل: سمعك وبصرك؟

والإشارة أيضًا بحسب الموقف، فقد كان النبي ﷺ يشير بيده. وتأمل جواب النبي ﷺ: (يا رسول الله، أيُّ المسجدين الذي أُسِّس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من الحصباء فضرب به الأرض، ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**»)[1].

(١) أخرجه مسلم كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي بالمدينة ح(١٣٩٨).

فهذه كلما حاولت أن تفعلها أثناء قراءتك للقرآن، وأثناء استماعك للقرآن وتستحضرها، وتحاول أن تجعل سمعك يعيش معك، وبصرك يعيش معك، وقلبك يعيش معك، فإن الصور الذهنية التي تأتي في خاطرك تكون مرتبطةً بالمعنى الذي يُقرأ أو يُسمع، هنا سيكون نصيبك من نتيجة السؤال أعلى وأجود.

الوسيلة الثالثة: تدارس القرآن مع جمعٍ ما أمكن.

ولا شك أن ذلك أفضل، لأنه يساعد على الفهم والاستحضار، ويرتقي بك في مهارة التدبر، ولذلك قال النبي ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

فالمدارسة: أن نجلس معًا نفكر ونتناقش في الآية، ما الذي يعنينا منها؟ ما نصيبنا؟ ما حالنا معها؟ كيف نرتقي بأنفسنا؟ كيف نرتقي بمجتمعنا؟ كيف نرتقي بأمتنا في هذه القضية، هذا لا شك أنه يساعد الإنسان على تحقيق نسبة أعلى في نتيجة السؤال.

وكذلك تصوُّر ما تضمنته الآيات كالمشاهد، وهذا واضح الأثر، مثاله: ماذُكر في مسألة الأمن، أو مسألة الجوع، أو لنأخذ مثالًا في سورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فتخيل نفسك وقد نودي: الصلاة على الميت يرحمكم الله، أليس الله ﷻ يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر]؟ يعني نُقلتم إليها، ولذلك الأعرابي لما سمعها قال: «بُعِثَ القومُ وربِّ الكعبة». أي: أن

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح(٢٦٩٩).

الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره. فإن الزائر لا يمكث طويلًا[(١)]، لاحظتم كيف تدبر الأعرابي أن الساعة قريب!. فمادام ذهابنا للقبور هو مجرد زيارة، إذًا البعث قريب، والساعة قريبة.

فتخيل نفسك أنه ألهاك التكاثر، أشغلني الجوال حتى فاجئني الموت، فلمَّا تتصور هذا تكون نسبة الناتج من السؤال أعلى.

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: (نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات، فنسينا كثيرًا..)، هذا شأننا- بني آدم- كما ذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وبيَّن لهم النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر، لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»**، ثلاث مرات[(٢)].

إنَّ تصويرَك لما تحكيه الآية كالمشاهد لك، بحيث تتصور ما يذكره الله عز وجل من المعنى في هذه الآية- المعنى الإجمالي - فهذا يرفع درجة ناتج السؤال عندك فتتأثر بإذن الله.

والنبي ﷺ حدَّث الصحابة عن الدجال، قالوا: حتى ظنناه في طائفة النخل، يعني: حتى ظنناه دخل المدينة، أي: وصل[(٣)].

(١) وحكى بعضهم مثلها عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله بلفظ: «لا بدَّ لمن زارَ أن يرجِع»، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٥١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٥٧، والبحر المحيط ٨/ ٣٨١، ونظم الدرر للبقاعي ٣٠/ ٢٢٧، وروح المعاني ٣٠/ ٢٢٤.

(٢) الخبر أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (٢٧٥٠).

(٣) الخبر أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٠)، وأحمد (١٧٦٢٩).

فحين تسمع قول الله ﷻ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل]. الله ﷻ يقول: جاءتك الساعة، فتتصور تصوَّر المشاهد أنها وصلت، وحضرت فما بيننا وبينها إلا لحظات، هذا لا شك أنه يرفع درجة التأثر، ويرفع درجة ناتج السؤال.

الوسيلة الرابعة: التمهل والوقوف أثناء التلاوة.

مما يعين الإنسان على التدبر: التمهل والوقوف أثناء التلاوة، فالقراءة المستعجلة لا تجعل الإنسان قادرًا على ترتيب تلك المعاني، ولاسيما في أول الأمر، والترتيل مطلوبٌ شرعيٌ عمومًا، وحتى القراءة السريعة -كالتي يقرؤها بعض الأئمة في التراويح- تستطيع أن تستفيد فيها تدبرًا، لكن بعد أن تُدَرِّب نفسك على التدبر.

ولذلك جاهِدْ أن تدرب نفسك عليه، حتى إذا قرأ الأئمة في رمضان-بإذن الله- القرآن كاملًا يكون لك نصيبٌ من التدبر، واحرص أن تُجَرِّب في كلِّ ليلةٍ من رمضان ذلك، وأن يكون هذا البرنامج مع نفسك، فمرِّنها حتى تصبح ماهرةً في طرح السؤال، وماهرةً في التأثر والناتج الذي يحدث بعده، فإذا رجعت إلى بيتك بعد صلاة التراويح، فتدارس مع من يسَّر الله -من زوجةٍ وولدٍ، وضيفٍ وجارٍ، وعزيزٍ وصديق- تلك المعاني التي قرأها الإمام، ولو في كل ليلة معنىً واحدًا، لترى -بإذن الله- الأثر الذي سيحدث لك في نهاية الشهر.

وهكذا لو طبَّقنا هذا في كلِّ جمعةٍ، وفي كل يومٍ. بل الواجب في كلِّ صلاةٍ، وعند كلِّ سماعٍ وقراءةٍ. فاللهم ارزقنا لذة التدبر لكتابك.

الوسيلة الخامسة: ترديد الآية المؤثرة.

إنَّ نفوسنا -مهما قلنا عنها- لها إقبال ولها إدبار، فإذا وجدت من نفسك إقبالًا، ووجدت أنَّ آيةً أصاب سهمُها قلبَك، فأمسك بها وردِّدها، لا تتجاوزها، بل حاول إنك تقف معها، وهذا لا يكون إلا في القراءة الفردية، أما مع الإمام والسماع فلن تستطيع تكرراها إلا بعد انتهائه.

وهذا فعله النبي ﷺ كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨][1]، وفعله عمر عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور][2]، وغيره من الصحابة والتابعين وأهل العلم[3]، **فالتدبر صيدٌ**، فإذا وجدتَ أن آيةً صادت قلبَك، فأمسك بها، واجعل قلبك يرتوي منها ويشبع، لأنك لا تدري هل الآية التي بعدها تمسك قلبك، وتصيب من معناها مثلما أصبتَه من الآية الأولى أم لا؟

ويلاحظ أنَّ الآيات التي تأثر بها السابقون لم تكن محددةً؛ بل مختلفةً، حتى بالنسبة للواحد منهم، فقد يتأثر بآيةٍ ويرددها في موقفٍ أو حالٍ، ولا يرددها في موقفٍ آخر.

الوسيلة السادسة: الاستحضار والملاحظة.

الاستحضار والملاحظة، هذه من الوسائل التعليمية، والمراد بالاستحضار: أن تستحضر حالك مع القرآن، وهذا يساعدك دائمًا على الجواب السريع للسؤال: ما نصيبي من هذا الأمر؟

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرى، ٦/ ٣٣٩ح(١١١٦١)، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧ ح(٨٧٩)، وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢٩ح(١٣٥٠)، وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/ ٥٩٥.

(٢) سبق تخريجه ص١٢٦.

(٣) للاستزادة ينظر: بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول ١٤٣٤هـ، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص٢٥٩-٣١٠.

كذلك أيضًا: سرعة استحضار حال الصالحين الذين كان لهم من هذا الأمر نصيب، يعني ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ [قريش]. كيف قام النبي ﷺ بشكر هذه النعمة، لاحظوا حال النبي ﷺ الذي خرج مفارقًا مكة بحزنٍ، وهي بلدته التي يحبها[(١)]، ثمَّ يمكث بعيدًا عنها أكثر من سبع سنوات؛ بل مُحاربًا، ولما جاء للعمرة صدَّه المشركون حتى عن دخولها للعمرة وللعبادة! ثم يدخلها في الفتح منتصرًا عزيزًا ﷺ، فماذا فعل؟ (دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَذَقْنُهُ عَلَى رَحْلِهِ مُتَخَشِّعًا)[(٢)]-بأبي هو وأمي- من شدة التواضع لله، ولذا نجد في أعلى المقامات أن النبي ﷺ يحقق أعلى أنواع العبوديات، والله وصفه بالعبادة في أشرف المقامات: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، يُسرى به ويصعد إلى السماء السابعة ويصفه الله ﷻ بعبده. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان][(٣)]، للعالمين كلهم إلى قيام الساعة ويصفه الله بالعبودية! فلمَّا تستحضر هذه الأشياء تعرف أين أنت؟

(١) عن عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**».
أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٠٥)، والترمذي في جامعه في المناقب باب ٦٨ رقم (٣٩٢٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٤٢٥٤)، وابن ماجة في سننه في المناسك باب ١٠٣ رقم (٣١٠٨). وصححه الألباني (صحيح الترمذي ٣/ ٢٥٠ ح٣٠٨٢). وورد بألفاظٍ أخرى والقصد هنا بيان محبته لها وامتثاله ﷺ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٦/ ١٢٠ رقم(٣٣٩٣)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٢٥٩، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٩، ٤/ ٣٥٢، وفي الإكليل -كما في فتح الباري ٨/ ١٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٦٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٨٠، عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للحاكم والبيهقي.

(٣) ينظر: مقال مقام العبودية في رحلة الإسراء، خميس النقيب، موقع الألوكة:
http://www.alukah.net/sharia/0/55745.

فتستحضر سوء الحال التي أنت فيها، وضعفها، وشرف حال من طبَّق هذه الآيـة، وقـام بها حق القيام، وتعرف: أين أنــت في الدرجة، فهذا تحليل يعطيك أين أنت؟ هل أنت ما زلتَ في منطقة الأمان؟ أم في منطقة الخطر المبكر؟ أم في منطقة الخطر المتقدم؟ فيشعرك بالإنذار المبكر.

فاجعل قلبك وجوابك على هذا هو المختبَر لك دائمًا، والله المستعان.

الوسيلة السابعة: استماع القرآن من الغير.

مما يعين الإنسـان -وذكرناه في التهيئة- اسـتماع القرآن من الغير، كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن مسـعود رضي الله عنه: «**إني أحب أن أسـمعه مـن غيري**»[1]، وقوله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**»[2]. قال أبو موسى: «لو كنت أعلمتني لحبَّرتُ ذلك تحبيرًا»[3]. وعنه قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشـعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[4].

فاستماع القرآن من الغير لا شك أنه يؤثر وينفع الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسـير باب «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشـهيد وجئنا بك على هؤلاء شـهيدا» برقم (٤٥٨٣)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر برقم (٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ح(٥٠٤٨)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح(٧٩٣) واللفظ له.

(٣) هـذه الزيـادة أخرجها البيهقي النسـائي في الكـبرى ٥/ ٢٣ح(٨٠٥٨). وذكرهـا الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧١ وقال: وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر برقم (٤٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الأشعريين برقم (٢٤٩٩).

الوسيلة الثامنة: مجاهدة النفس.

من الوسائل: مجاهدة النفس وهي وسيلة مهمة جدًّا، قال ثابت البناني رحمه الله: «كابدت القرآن عشرين سنة، ثم تنعمت به عشرين سنة»[1].

والمجاهـدة أمر رفيع القدر، عالي المنزلة يحتاج إلى صبر ورباطة جأش، ولذا قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل**»[2]. يقول ابن عبد البر: «مجاهدة النفس في صرفها عن هواها، أَشَدُّ محاولةً، وأصعب مرامًا، وأفضل من مجاهدة العـدو»[3]، ويقـول ابن بطال: «جهاد المرء نفسـه هو الجهـاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] الآيات»[4].

وأخبار القوم في مداواة نفوسهم ومعالجة أدوائها أكثر من أن تُروى. يقول الثوري: «ما عالجت شـيئًا أشـد عليَّ من نفسي، مرة لي ومرة عليَّ»[5]. ويقول ابن أبي زكريا: «عالجت الصمت عما لا يعنيني عشـرين سـنة، قلَّ أن أقدر منه على ما أريد»[6]، ويقول أبو يزيد: «عالجت كل شيء، فما عالجت أصعبَ من معالجة نفسي، وما شيء أهون عليَّ منها»[7]، ومرة قال: «عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته»[8].

(١) ربيع الأبرار ص٢٨٤، إحياء علوم الدين كتاب آداب تلاوة القرآن ١/ ٣٩١، قوت القلوب ١/ ٩٣، مفتاح الفضائل والنعم ص٢٣٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٩٧)، وابن حبان (٤٦٢٤)، واللفظ له، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) الاستذكار، لابن عبد البر: ٨/ ٢٨٧.

(٤) فتح الباري، لابن حجر: ١١/ ٣٣٨.

(٥) حلية الأولياء، لأبي نعيم: ٧/ ٥.

(٦) الصمت، لابن أبي الدنيا: ٢٦٠.

(٧) حلية الأولياء، لأبي نعيم: ١٠/ ٣٦.

(٨) حلية الأولياء، لأبي نعيم: ١٠/ ٣٦.

فالنفس عدوٌ منازعٌ يجب على المرء مجاهدتها، وحين يفلح المرء في ذلك فإن إتيان الطاعات يتحول إلى نعيم ولذة، وعندها لا يجد المرء في القيام بها كلفة ومشقة، كما قال ثابت البناني: «كابدت القرآن عشرين سنة، ثم تنعمت به عشرين سنة»، وكما قال بعض العُبَّاد: «عالجت قيام الليل عشرين سنة وتنعَّمت به عشرين سنة»[(١)]، فالأُنس واللذة يحصلان من المداومة على المكابدة مدة طويلة.

فنحتاج أن نجاهد أنفسنا على هذا الأمر، وهو أشبه بتعلم التجويد، وقيادة السيارة، صعبٌ في أول الأمر حتى تتعوده، إذ تكون قواك العقلية والفكرية والسمعية والبصرية كلها متجهةً لهذا الأمر، لكن بعدما تتعود عليه وتتمرن يصبح الأمر أسهل عندك بكثير.

هكذا التدبر يحتاج منك أول الأمر إلى نوعٍ من المجاهدة والصبر، ونوعٍ من التدرب، ثمَّ تجد أنه أصبح أسهل عليك، وثمرته عندك أعظم، وهكذا ترتقي به ويخف عليك، وترتقي بالنتيجة بإذن الله ﷻ[(٢)].

الوسيلة التاسعة: التواضع.

من أعظم الوسائل التي تساعد على التدبر ترك الكبر، أو نقول بعبارةٍ أخرى: التواضع؛ لأن الله ﷻ وعد، ووعد الله ﷻ لا يتخلف: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فأعظم الكبر: الكبر على الله، والكبر على أمر الله، نسأل الله العفو والعافية.

ومن الكبر: الكبر على القرآن، والاستكبار عنه، والإعراض عنه.

ومن الكبر: الكبر على الناس، فالكبر مع الخالق، والكبر مع كلام الخالق،

---

(١) عدة الصابرين، لابن القيم: ٣٩.

(٢) للاستزادة ينظر: مفاتيح تدبر القرآن ص٥٤-٥٦، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص١٩٣.

والكبر مع الناس، ذمه الله ﷻ وتوعَّدَ أن من اتصف به فإن الله ﷻ سيصرفه عن القرآن، فلا يمكن لمثل هذا أن ينتفع بكلام الله، والعياذ بالله.

فلابد أن نزيل العوائق، وأعظم هذه العوائق الكبر، فإنَّ التواضع يرفع شأن الإنسان، ولا يضع من شأنه!! لكن الشيطان حريصٌ على أن ينفخ تعظيم نفوسنا في أنفسنا، ولذلك علَّمنا النبي ﷺ أنَّ: «**من تواضع لله رفعه**»(١). وكما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، وما فُقد من شيءٍ إلا شانه**»(٢).

فالتواضع يعين الإنسان على الفهم، ويجعل قلبه أقرب إلى الذل والانكسار والخضوع والانطراح بين يدي الله ﷻ، وهذا أعظم نفعٍ ينتفع به الإنسان من القرآن.

إذ يصبح قلبه أرضًا صالحة للزراعة، بينما إذا كان فيه الكِبر فإنه يصبح مثل الأرض الصلدة، لا ينفع فيها الزرع، ولو نبت فإنه سيموت على صخورها وسرعان ما يموت. كما بيَّن الله ﷻ وضرب لذلك مثلًا: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٦٤](٣).

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الأخلاق الفاضلة، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يلين قلوبنا لذكره ولشكره، وأن يجعلنا وإياكم ممن يتدبر القرآن ويحسن تدبره.

---

(١) أخرجه القضاعي ١/ ٢١٩ (٣٣٤)، وأبي يعلى في مسنده ٢/ ٣٥٩، والطبراني في الأوسط ٨/ ١٧٢ ح (٨٣٠٧)، وحلية الأولياء ٧/ ١٢٩، وتاريخ بغداد ٢/ ١١٠، وينظر: جامع الأصول ٦/ ٤٥٥، وصحيح الجامع رقم(٥٦٨٥ و٦٠٣٨).

(٢) أخرجه ابن حبان ٢/ ٣١١ (٥٥١)، والبزار - كشف الأستار ٢/ ٤٠٣ (١٩٦٣).

(٣) ينظر للاستزادة: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/ ٣١٤، و٣/ ١٠٧؛ فقد ربط بين الأمثال وبين شروط قبول الأعمال، وكتاب الأمثال في القرآن لابن القيم ١/ ٥٢-٥٢، والأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، د. عبدالله الجربوع ٢/ ٥٣٨-٥٤٠.

المطلب الرابع

مهارة الربط وتطبيقاتها

الخطوة الرابعة هي تابعة للوسائل، فهي وسيلة من الوسائل التي تساعد في مسألة تَدَبُّر القرآن: **وهي الربط، وإنما أفردتها لأهميتها وأثرها.**

وللربط أربع مراحل: (ربط المعاني، وربط الآيات، وربط الموضوعات، والربط بالواقع).

١- الربط بين المعاني:

فلاحِظ مثلًا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر] فمن معاني إسناد الإلهاء للتكاثر: ليدل بمجموع الوصفين على شدة الذم، وتقييد ذلك الذم بما اجتمع فيه الوصفان، فإنَّ تَخَلِّي أحدهما يجعل مجالًا للإباحة، ومتسعًا لما أُذن فيه شرعًا من اللهو المباح، والتكاثر من الخير بل والمنافسة فيه والمسابقة.

وأفاد أن اللهو المذموم لازمه غفلةٌ عن الواجب، والتكاثر المذموم هو: الذي يشغل عن الطاعة، أو يحوِّل الوسيلة إلى هدفٍ تضيع معه القيم والعقائد والأخلاق والآداب الشرعية.

وفي إسناد الزيارة للمقابر: أن التوبة لا تنقطع قبل الموت، وأن الموت يأتي فجأة بلا موعدٍ مُسبق.

و فيهما: قوة استحضار المشهد، وقوة التصوير لمشهد ابن آدم في تلك الحال، والموقف الحاسم.

وفيهما: الوعظ والتذكير، مع التنبيه للجميع -الكافر والعاصي والصالح- على وجوب العبادة.

وفيهما: دقة استعمال الألفاظ: (ألهى)، (التكاثر)، (زرتم)، (المقابر)، فلا تجد نفسك إلا كما قال ابن عطيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كتاب الله لو نزعت منه لفظةٌ ثم أُدِير لسان العرب -في أن يوجد أحسن منها -لم يوجد! ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، ومَيْز الكلام"(١).

٢- الربط بين الآيات:

إذا تدبرت في سورة لإيلاف قريش؛ فستجد فيها من الربط بين الألفاظ مثل ما سبق في التكاثر، وإذا لاحظت مجال الربط بين تلك الآيات: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش] فمن أسباب إلفهم ما هم فيه من نعمتي الأمن والرزق، إذ الحروب والخوف مفرقٌ للجماعات، وكذا الفقر والجوع، ومن أسباب الفهم ما اجتمعوا عليه من الرحلتين؛ فإن العمل المشترك، وما يكون فيه تبادل المصالح والمنافع سبب للألفة والاجتماع ونسيان الأخطاء، والعبادة كذلك.. الخ.

إذاً يصبح عندي أكثر من تَدَبُّر في مسألةٍ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٤]، وأصبحت أكثر من قضية، وأصبحت تتسابق إلى الذهن، لأني ربطت الآية بالآية، والمعنى بالمعنى.

(١) المحرر الوجيز ١/ ٥٢.

ومن الربط ما يكون بين الآيات في السور المتتالية: كالربط بين قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] وقوله سبحانه بعدها: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] فالله ﷻ صَدّ عنهم الفيل فكان ذلك سببًا لأَمْنهم؛ لأن العرب بدأت تخافهم، ويقولون: هؤلاء أهل حرمٍ له، وفي حماية منه، فمَنْ اعتدى عليهم فإنه سيقع له مثلما وقع لصاحب الفيل، ولذلك يرى بعضهم أن هاتين السورتين مُتصلتان(١)، وهما متصلتان من جهة المعنى.

فلاحِظ أن الربط هذا من الأمور السهلة والبسيطة التي تساعد كثيرًا على قضية استحضار المعاني، وتساعد على قضية تحقيق السؤال: ما نصيبي أنا من هذا الأمر؟ فأصبحت الآية: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] لنا منها أكثر من نصيب، ولنا فيها أكثر من نظرة، وأكثر من وجه.

وليست القضية فقط قضية مِنّة على قريش وانتهى الموضوع، لا، بل تهمنا نحن، وحالنا مُشابِه لحالهم، قد كنا في خوفٍ كما كانوا في خوف، فَدَفَع الله عنّا ذلك الخوف كما دَفَع عنهم الخوف، إلى غير ذلك(٢). فيلاحظ أن هذا الربط مهم وأنَّ فيه جوانب متعددة:

- فيه ربط بين المعاني.
- وفيه ربط بين الآيات.

---

(١) قال ابن عطية: «وهذه السورة متّصلةٌ في مصحف أبيّ بن كعب بسورة: لإيلاف قريشٍ، لا فصل بينهما، وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمامٌ يقرأ بهما متّصلةً سورةً واحدةً». المحرر الوجيز: ٨/ ٦٩٠-٦٩١، وقال الأشموني: «وقيل: لا وقف في سورة الفيل ولا في آخرها، بل هي متصلة بقوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ وإن اللام متعلقة بـ(تر كيف)، أو بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ والمعنى أهلكنا أصحاب الفيل لتبقى قريش وتألف رحلتيها، وذلك أنَّه كانت لهم رحلتان، رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، فجعل الله هذا مِنَّة على قريش لأن يشكروه عليها، فعلى هذا لايجوز الوقف على ﴿مَّأْكُولٍ﴾ وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قرأ السورتين متصلتين في ركعة من المغرب وعن جماعة من التابعين أيضًا». منار الهدى: ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) ينظر: تتمة أضواء البيان للشيخ عطية سالم ٩/ ١٠٩-١١٣.

٣- ربطٌ بالموضوع نفسه:

أي: بين آية وآية أخرى، تأمل مثلًا الكلام السابق عن إلف قريشٍ وامتنانه سبحانه عليهم واربطه مع معنًى آخر من ذات الموضوع وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، لَمّا نربط بين شُكْر النِّعَم في هذا الموضع، وفي قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فإذًا أصبحنا الآن أمام ترغيبٍ، إن شكرنا الله عَزَّ وَجَلَّ على نعمة الرزق والأمن فسيزيدنا منها، وترهيبٍ إن كفرناها فسيسلبها الله عَزَّ وَجَلَّ، فعذابه شديد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولَمّا ننظر إلى معنى قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر] مع معنًى آخر من ذات الموضوع وهو قوله سبحانه: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤]؛ إذًا من التكاثر الذي نتكاثره: الأماني. والأماني: نتمنى أن نفعل، ونتمنى أن نفعل، ولا نفعل شيئًا.

جاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال»(١). وعليه فلا ينبغي أن نَتَكَثَّر من الأماني، بل نحرص قَدْر المستطاع على أن نُحَوِّل تلك الأماني إلى عمل، وأن يكون هذا العمل مُؤَثِّرًا فينا.

٤- رَبْطٌ بالواقع الذي نعيشه:

ولاحِظ الربط بين المعاني مثلًا في ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ١-٢] لَمّا يتذكر الإنسان الحال التي هو يعيشها -وهذا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص(٣١)، وبنحوه عن قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان ٩/ ٥٥٨، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٣٩، وعنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٠١، والبغوي في معالم التنزيل ٦/ ٤١٥.

هو الربط بالواقع الذي نعيشه- لَمّا يتذكر هذا الإنسان هذا الحال الذي نعيشه، وأنه مُشابِهٍ للحال التي كانت تعيشها قريش؛ فَهُم في رَغَدٍ من العيش، وفي أَمْن ومع ذلك عَابَهم الله ﷻ وألزمهم العبادة بسبب تلك النعمة التي أنعم عليهم..

فالسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن: هل نحن فعلًا نقوم بها، أو لا نقوم بها؟

فهذه أربعة أنواع من الربط مهمة، وهي تساعدك في كل آية.

طَبِّق نَفْس الخطوات وهذا الأسلوب مثلًا في مسألة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فالله ﷻ حَمد نفسه على أنه ربٌّ لنا وعلى أنه يُرَبّينا، وعلى أنه يتفضّل علينا، وعلى أنه يحفظنا ويكلؤنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى أنه هو المالك لأمورنا، وهو المسيطر عليها لا غيره، فهل نحن قَدّرنا هذه الربوبية؟ وهل نحن أعطيناها ما تستحق من الحمد؟ فأصبحنا من الحامدين، مُتّبعين لِمَا أمرنا الله ﷻ به من الحمد، أو أننا خالفنا ذلك؟

فلمّا يسأل الإنسان نفسه دائمًا هذا السؤال، وهذه الفاتحة التي نقرؤها على أقل تقدير (١٧) مرة في اليوم والليلة[(١)]، ومع ذلك ربما أنها لا تتوارد علينا مثل هذه المعاني هذا التَّوارُد! والسبب: أننا أهملنا هذه الوسائل.

ما هي أسباب الحمد؟ وبِمَ يتحقق الحمد؟ وكيف يكون الحمد؟[(٢)] وكيف

(١) وهذا على تقدير ركعات الفريضة تامّة، فكيف مع الرواتب والنوافل، وقراءة القرآن، وسماعه.

(٢) قال ابن القيم في طريق الهجرتين ص٢٠٤: «إن تنويع أسباب الحمد أمر مطلوب للرب تعالى محبوب له، فكما تنوعت أسباب الحمد تنوَّع الحمد بتنوُّعها وكثر بكثرتها ومعلوم أنه سبحانه محمود على انتقامه من أهل الإجرام والإساءة، كما هو محمود على إكرامه لأهل العدل والإحسان، فهو محمول على هذا وعلى هذا، مع ما يتبع ذلك من حمده على حلمه وعفوه ومغفرته وترك حقوقه ومسامحة خلقه بها والعفو عن كثير من جنايات العبيد فنبههم باليسير من عقابه وانتقامه على الكثير الذى عفا عنه، وأنه لو عاجلهم بعقوبته وأخذهم بحقه لقضى إليهم أجلهم ولما ترك على

حمد النبي ﷺ ربه؟ إلى غير ذلك، هذه مسائل كثيرة جدًّا تتوارد على الذهن، كلها التقت لَمّا نسمع الإمام يقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢][1].

وهكذا في ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]، وهكذا في ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وهكذا قُل في بقية الفاتحة، وفي بقية ما نتلوه في صلواتنا. فهذا الربط بين المعاني والآيات المتتابعة.

أو الربط بين الآيات، والتي تُشابهها حسب الموضوع، فلمّا تسمع مثلًا ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة: ٢] والله ﷻ يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]، ويقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، وقال سبحانه: سورة سبأ، وهي: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سبأ:١]، وقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]؛ خمس سُوَر مُفْتَتَحة بالحمد. واختُتِم بالحمد ثلاث سور: الصافات: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٢]، وسورة الاسراء ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الاسراء:١١١]، وسورة الزمر ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر:٧٥][2]. وهكذا..

ظهرها من دابة، ولكنه سبقت رحمته غضبه وعفوه انتقامه ومغفرته عقابه، فله الحمد على عفوه وانتقامه، وعلى عدله وإحسانه، ولا سبيل إلى تعطيل أسباب حمده ولا بعضها. فليتدبر اللبيب هذا الموضع حق التدبر، وليعطه حقه يطلعه على أبواب عظيمة من أسرار القدر، ويهبط به على رياض منه معشبة وحدائق مونقة. والله الموفق الهادي للصواب».

(١) وأجمل ما كتب في الحمد: جواب في صيغ الحمد لابن القيم، ط دار العاصمة – الرياض فليراجع، وقد فصّل ابن القيّم الحديث عن الحمد في طريق الهجرتين ص: (٢٣١–٢٣٧)، و د. عبدالرزاق البدر في فقه الأدعية والأذكار ١/ ٢٢٥–٢٦٨.

(٢) وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعًا، جُمع في بعضها أسباب الحمد، وفي بعضها ذُكرت أسبابه مفصّلةً. ينظر: فقه الأدعية والأذكار د. عبدالرزاق البدر ١/ ٢٢٧ وما بعدها.

ففي الربط مجالاتٌ كثيرة، ومنها الربط بين هذه الآيات و الواقع الذي نعيشه.

هل من حَمْدِ الله ﷻ ما نفعله في نِعمه؟ هل من حَمْدِ الله ﷻ إهمالنا لتربية أنفسنا على كتاب الله ﷻ، وسُنّة رسوله ﷺ، والتمسك بها والعَضّ عليها بالنواجذ؟ هل من حَمْدِ الله ﷻ تربيتنا لأنفسنا على مُخالفة شَرْع الله ﷻ جهارًا نهارًا؟ هل من حَمْدِ الله ﷻ تربيتنا لأنفسنا على تَرْك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هل من حَمْدِ الله ﷻ تقصيرنا في الصلوات؟ هل من حَمْدِ الله ﷻ تقصيرنا في حق والدينا، أو أزواجنا، أو أولادنا، أو إخواننا، أو جيراننا، أو مشايخنا، أو غير ذلك؟

فإذًا تجد أن سؤال: ما نصيبي من هذا الأمر؟ أصبح ليس سؤالًا واحدًا، بل أصبح أسئلةً متعددة على آية واحدة، أو على معنى واحد تسمعه من القرآن الكريم.

ولذلك فإنَّ هذه الخطوات مهمةٍ، وإن لم تأتك في كل آيةٍ، ولا تستحضرها في ذِهْنك في كل مرة، لكن حاول ثم حاول.

هذه طُرُق، فأنت حاول، خُذْ مرة بهذا وخُذ مرة بهذا، فإذا وجدت أن هذه الآية لحظت فيها معنى وأنت تقرأ قراءة لوحدك، ولنفترض مثلًا بين الأذان والإقامة، أو تقرأ في بيتك، أو تقرأ وأنت تنتظر أولادك لتوصلهم إلى مشوار أو مدرسة أو غير ذلك، فترى أنك ما استفدت من هذه الآية، ما هي المعاني التي فيها؟ ما هي الآيات التي مثلها أو شبيهة بها؟.. فتبدأ تحاول أن تُوجِد هذا الربط، وتسأل نفسك هذه الأسئلة لتُحَقِّق السؤال الذي لم تجد له جوابًا: ما نصيبي من هذا الأمر؟ حتى تهتدي لجوابه؛ بل أجوبته المتعددة بإذن الله تعالى.

المطلب الخامس

مهارة تنويع المجالات وتطبيقاتها

المجالات هي: الأمور التي يمكن للمتدبر التفكير فيها لتساعده على التأثر المباشر.

وهـي الموضوعات الكليّة الكـبرى التي تعتبر المقصد الأسـاس لقارئ القرآن، فهي أبواب وطرق تسـاعد المتدبر أن يحسن صياغة سؤاله: ما نصيبي من الآية؟ ومن ثَمَّ يحصل له الأثر بوجهٍ أفضل.

وفتـح المجـالات للتدبر هـو بالإثراء، يعنـي: كيف أنك تُخـرِّج المعانيَ وتفرِّعها. فهي: إثراء التدبر بمجالاتٍ مختلفة.

ومنها على سبيل المثال[1]:

❑ **أولًا: إعجاز القرآن وبلاغته:** وذلك من جهتين أساسيتين:

➢ **جهة اللغة والبيان:** (فهم اللفظة ودلالتها، وفهم السياق والأساليب).

➢ **وجهة المعاني والتجدد:** (الربط بمقاصد القرآن الكليّة، وتنزيل الآيات على الواقع).

❑ **ثانيًا: السورة الكاملة:** (موضوع السـورة، والمناسبات: [العلاقة، والربط، الهدايات]).

❑ **ثالثًا: الموضوع في القرآن:** (الوحدة الموضوعيّة، والتكامل، والهدايات).

❑ **رابعًا: أساليب القرآن، ومنها:** أقسام القرآن، أمثال القرآن، الخطاب، الاستفهام، الحصر والقصر، قصص القرآن [الاعتبار، الثبات، الهدايات].

(١) سيكون الكلام على جهة التمثيل والإشارة فقط، وقد أفرد العلماء هذه المسائل بمباحث ومؤلفات نافعة.

❑ **خامسًا: آيات محددة:** (أخوف / أعظم / فضائل/ يكررها.. [موقف السابقين، الهدايات]).

❑ **سادسًا: آيات متشابهة:** (نداءات القرآن، الخطابات، النظائر، القرائن التي يقرأ بها [المعاني الإجمالية، الفروق، الهدايات]).

وإليك تفصيلها:

أولًا: إعجاز القرآن وبلاغته:

وذلك من جهتي اللغة والبيان، بحيث نلحظ اللفظة ودلالتها، ونفهم السياق والأساليب التي جاءت فيها.

ومن جهتي المعاني والتجدد، بحيث: نلحظ الربط بمقاصد القرآن الكليّة، ونتأمل في تنزيل الآيات على واقع الحياة اليوم، شخصيًا أو عمومًا.

فإذا قرأ أحدهم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] فتساءل: ما لي نصيبٌ في هذه الآية؛ لأنه ليس عندي مالٌ أتصدق منه، أو أَمُنّ به؟ فهو يقول: إن هذه الآية لا تشملني، فنقول له: لا، بل تشملك! ففي الآية لك أبواب أخرى من التدبر يجب أن تلاحظها، منها مثلًا:

إعجاز القرآن، فالإعجاز الحاصل في هذه الآية هو نصيبٌ لك. فهي في المعنى لا تشملك، لكن بقي أشياء أخرى تشملك؛ فهذه الآية فيها إعجاز.

كيف أعرف الإعجاز؟

أولًا: انظر إلى **اللغة والبيان الوارد في هذه الآية**، فافهم اللفظة، وافهم دلالة

اللفظة، وافهم السياق الذي وردت فيه اللفظة، وافهم الأسلوب الذي جاء بالآية[١]، ولاشك أن هذا أَمْرٌ عظيم.

انظر إلى قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] ولاحظ قوة اللفظة! فأولًا بدأ بالاسم، والاسم يدل على الثبوت والاستقرار. ﴿خَيْرٌ﴾ فبدأ بالتفضيل، ﴿مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾، فهذا إنسانٌ قَدَّم عملًا؛ ولكنه أفسده بعد ذلك، كالذي ذكر النبي ﷺ عنه أنه يقع في المعصية والله ﷻ يستره ويريد أن يتوب عليه، ثم يخرج فيقول للناس: قد فعلت، وفعلت، وفعلت[٢]، فهذا عكسه، هذا فَعَل الحسنة ثم ذهب يُدَمّرها ويمحوها بسبب ما ألحقه بها من الأذى، نسأل الله العفو والعافية والمِنّة.

فلاحِظ ألفاظ هذه الآية، ولاحِظ ما تدل عليه، ولاحِظ السياق الذي سِيْقَت فيه، ولاحِظ الأسلوب الذي جاءت به؛ فإن هذا لا شك أنه شأن عظيم وعجيب.

وهو نصيبك من هذه الآية إن كنت لا تملك مالًا ولستَ من المتصدقين، لكن باعتبارٍ آخر؛ وهو أن لغة هذه الآية قوية، لا تساويها لغة العرب، ولا أساليبها، ولا بيانها، بل هي أعظم وأَشَدّ.

وفي باب ثانٍ من أبواب الإعجاز: لاحِظ **تَجَدُّد المعاني في الآية**. فإن النظر في تجدد المعاني التي تدل عليها الآية مما يساعد على تدبرها، وذلك بربطها بمقاصد القرآن الكلية، وربطها بالواقع[٣].

---

(١) إنما اقتصرت على هذه الأوجه من الإعجاز لسهولة النظر والتدبر فيها في كل آية من القرآن، وإلا فشأن القرآن عظيم.

(٢) لفظ الحديث: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**» أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه(٥٧٢١)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب النهى عن هتك الإنسان ستر نفسه (٢٩٩٠).

(٣) للاستزادة ينظر: بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول ١٤٣٤هـ، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص٢١٢-٢٢٦.

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ فإذا كنتَ الآن لا تملك مالًا لتتصدق، لكنك تستطيع أن تَرُدّ هذا المسكين بكلمةٍ طيبة، ولذلك فسرها بعض السلف: (عِدةٌ جميلة)[1]. ومثلها أيضًا: الدعاء له بأن يرزقه الله عَزَّوَجَلَّ، وبأن يُفَرِّج هَمّه ويقضي دَيْنه، ونحو ذلك[2]. فهذا من القول المعروف.

فإذًا حِفْظ ماء وجه السائل أو المسكين أو الفقير[3]، وتطييب خاطره ولو بكلمةٍ طيبة، أو دعوةٍ صالحة يسمعها أفضل من أن تتصدق عليه وتؤذيه.

فإذًا هذه الآية فيها تَجَدُّد للمعاني، وفيها تبرز مقاصد الشريعة العامة، ومقاصد القرآن الكلية.

وهناك معانٍ أخرى لم نلحظها في المرة الأولى لمَّا قلنا: (إن هذه الآية لا تعنينا)، وذلك أنّا نظرنا إلى المقاصد، أو نَزّلنا الآية على الواقع، مثل ما ذُكر قبلُ في سورة (لإيلاف قريش) وغيرها.

ثانيًا: ننتقل إلى مجال النظر إلى السورة الكاملة:

فما موقع ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ في سورة البقرة؟ وما موقعها من الآيات التي كانت قبلها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦١]؟ وما موقعها من الآية التي كانت قبل ذلك وهي آية الكرسي: (تعظيم الله، وتوحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)؟

(١) أخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، قال: رد جميل، يقول: يرحمك الله، يرزقك الله، ولا ينتهره ولا يغلظ له القول، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٤٢، وينظر: البسيط للواحدي ٦/ ٣٠٥، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٢٥-٣٢٦، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٦٠-٦٦١.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٩٣، والمصادر السابقة.

(٣) وهذه من محاسن الدين، ينظر: شرح الأربعين النووية للشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ درس٣١ص٧.

فلاحِظ أن هذه المعاني عندما تبدأ ربط بعضها ببعض، أو تربطها بالسورة وما فيها من موضوعات، سواء فيما يتعلق بقضية اليهود وعنادهم لأنبيائهم ورسلهم -عليهم الصلاة والسلام-، أو عنادهم للنبي ﷺ، أو ما فيها من الأمر باستقبال القِبْلة، وصوم رمضان، وحَجِّ البيت، والدعاء لله ﷻ، وبيانٍ لنظام الأسرة: من أحكام النكاح، والطلاق، والنفقة، والإرضاع، والإحداد، والعِدّة، وبيانٍ للنظم المالية: كأنواع النفقات، وأحكام البيع والشراء، والديون وكتابتها وحِفْظها، وهي أمورٌ عظيمة، ثم تلحظ علاقة ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] بهذه الموضوعات لا شك أنها وثيقة؛ فإذًا أنت أيضًا الآن تلحظ إعجاز القرآن العظيم من خلال هذا الباب.

وهذه الأشياء الثلاثة كلها متعلقة بمسألة الإعجاز.

ثالثًا: الموضوع في القرآن:

يأتي بعد ذلك باب آخر غير باب إعجاز القرآن: وهو باب الموضوع في القرآن، أو ما يُسَمَّى بالدراسات الموضوعية(١).

فالإنسان حاله لا يخلو من أحد أمرين:

- إما أن يكون قادرًا على النفقة.
- وإما أن لا يكون قادرًا على النفقة، حتى مع أولاده ومع زوجته.

فلاحِظ أن الله ﷻ لَمّا أرشدنا هنا وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ فهذا يدل

(١) يراجع: أهمية التفسير الموضوعي في معالجة القضايا المستجدة والمعاصرة في كتب التفسير الموضوعي، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى، المدخل إلى الدراسات القرآنية: مبادئ تدبر القران والانتفاع به، أبو الحسن الندوي، تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس، د. محمد بن عمر بن سالم بازمول.

على أن الإنسان ينبغي أن يتخذ القول الحسن في كل شيء، حتى مع زوجته في نفقتها، حتى مع أولاده، حتى فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه من مسائل النفقة وغيرها، فمن المهم جدًّا أن يتخذ القول الحسن، وأن ذلك خيرٌ من أن يفعل ويعطيهم ولكنه يَمُنّ عليهم أو يؤذيهم بالكلام فيما بعد ذلك، وهذه قاعدة تربوية عظيمة جدًّا، نَدَر أن تنتبه لها. وهي مأخوذةٌ من رَبْط الموضوع بعضه ببعض، فلاحِظ آيات النفقة التي قبل قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، ولاحِظ آيات النفقة التي بعدها، إلى أن قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ولذلك خَتَمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣][1].

فشأن القرآن عظيم؛ ولذلك التدبر يساعدنا على هذه الأبواب الكثيرة، والذي يقول: أنا لم أجد ما أتدبره! نقول له: لأنك تركت الأرض التي فيها زراعة وراء ظهرك، وَالْتَفَتّ إلى الجدار، وما الْتَفَتّ إلى الأرض التي فيها الزراعة، والأرض التي فيها الزراعة -وهي ما نتحدث عنه الآن- هي القرآن، ففيها خيرٌ كثير، وفيها أشجار مثمرةٌ كثيرة لكنك لم تلتفت إليها، وهذا هو السبب في أننا لا ننتفع بالقرآن ولا نهتدي بهَدْي القرآن[2].

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] فهو مُرشِد لكل شيء، والله ﷻ سماه فُرقانًا، فهو يُفرِّق بين الحق والباطل في كل شيء، حتى في القضايا البسيطة السهلة التي بينك وبين زوجتك، أو بينك

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص١١٢-١١٦.

(٢) ينظر: كتاب الفوائد للإمام ابن القيم ص (٥)، العودة إلى القرآن لماذا وكيف، مجدي الهلالي.

وبيـن ولـدك، أو بينك وبين أخيـك، أو بينك وبين أبيك، ما هـي من الصعوبة بمـكان، وفي القرآن هدايتها ظاهرة، لكن هل نبحث عن هذه الهدايات، وننظر فيها ونسأل عنها أم لا؟ هذا هو التحدي الذي يجب أن نعيشه(١).

وأن يكـون النظـر في الموضوع القرآني ككلٍ، سـواء في وحدته في القرآن، أو الهدايـات والأحكام والفوائد من الموضوع الواحد. مثاله: أسـباب شـرح الصدر والحياة السعيدة في القرآن(٢).

أو النظر في موضوع السورة، وذلك بالنظر لكل السورة، وربطها بما قبلها وما بعدها من السور، وربط آياتها بموضوعاتها(٣).

أو النظر في الهدايات والأحكام، وذلك بعمق الدراسة عن المعاني التي تدل عليها الآيات، مثاله: الحِكَم، وقواعد التعامل، أو التربية، أو اللغة، وغيرها(٤).

رابعًا: أساليب القرآن:

ومن الأمور التي تسـاعدنا كثيرًا على مسـألة التدبـر، وهي مجالات ربما أننـا لا نُفَكِّـر فيها أحيانًا: هو أسـلوب القرآن. وهناك عددٌ من أسـاليب القرآن العظيمة في باب التدبر والإعجاز(٥).

(١) من ثمرات تدبر هذه الآية كتب الشيخ عبدالعزيز السلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في مجلدين: الأنوار الساطعات لآيات جامعات، كان المجلد الثاني عن هداية القرآن للتي هي أقوم.

(٢) من ثمرات ذلك كتبت رسائل علمية، منها: الحياة الطيبة في القرآن، د. صالح بن عبيد العبيد.

(٣) من ثمرات ذلك كتبت رسائل علمية في سور القرآن، وموسوعة التفسير الموضوعي ط. جامعة الشارقة.

(٤) من ثمرات ذلك كتبت رسـائل علمية، منها: الحكم في العبادات، والحكم في المعاملات، رسـالتان علميتان، قواعد قرآنية: خمسون قاعدة في النفس والحياة، د. عمر بن عبدالله المقبل، وغيرها.

(٥) ينظـر في هـذا ما كتب في علوم القرآن: كالبرهان للزركشـي، والاتقان للسـيوطي، ومباحث في علوم القرآن للقطان ٢٩٠-٣٢٢، وما كتب في أسـلوب القـرآن مثل: المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة، دراسـات لأسـلوب القـرآن الكريـم لمحمد عبـد الخالـق عضيمة، من أسـاليب القـرآن لإبراهيم

قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]. وتصريف الآيات يشمل تنويع الأساليب، فيؤتى بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالنفي والإثبات، وأحيانًا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها. وكل ذلك وارد في القرآن.

فأسلوب **القَسَم** في القرآن باب عظيم[(١)].

و**الْمَثَل** في القرآن أسلوب عظيم[(٢)].

السامرائي، البديع في ضوء أساليب القرآن لعبد الفتاح لاشين السيد لاشين، بلاغة القرآن لمحمد الخضر حسين، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني، وعادات القرآن الأسلوبية: دراسة تطبيقية لراشد بن حمود بن راشد الثنيان، وخصائص الأسلوب القرآني لأبوبكر بن محمد فوزي البخيت، وغيرها، وما أفرد لكل أسلوبٍ منها على حدة.

(١) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين ابن القيم، إمعان في أقسام القرآن لعبدالحميد الفراهي، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه د. سامي عطا حسن، جملة الجواب في أسلوب القسم تركيبًا ودلالةً لسامي عوض، وفاتن حجازي وخالد حمَدو، أسلوب القسم في القرآن دراسة بلاغية لعلي محمد الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة إحصائية لـ وضحة عبدالكريم الميعان، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم لعلي أبو القاسم عون، أساليب القسم والشرط في القرآن لأحمد بن عبدالعزيز اللهيب.

(٢) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: الأمثال في القرآن لشمس الدين ابن القيم، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله د. عبدالله الجربوع، ضرب الأمثال في القرآن لعبدالمجيد البيانوني، الأمثال في القرآن لمحمود بن الشريف، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن لعلي أحمد الطهطاوي، الأمثال في القرآن الكريم للشريف منصور بن عون العبدلي، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر لعبدالرحمن حبنكه الميداني، الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها له أيضًا، أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري لنور الحق تنوير، الأمثال في القرآن الكريم دراسة موضوعية وأسلوبية الصديق بن محمد بن قاسم بوعلام.

والخبر والقصص أسلوبان عظيمان[(١)].

والخطاب في القرآن -الذي هو الأمر والنهي- أسلوب عظيم[(٢)].

والاستفهام في القرآن أسلوب عظيم[(٣)].

الحصر والقصر في القرآن أسلوب عظيم[(٤)]. وهكذا بقية أساليب القرآن[(٥)].

١- القسم:

أسلوب القسم في اللغة: طريق من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه

---

(١) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: الأسلوب الخبري وأثره في الاستنباط في القرآن الكريم لمحمد حبتر عسيري، أسلوب الخبر في القرآن الكريم دراسة بلاغية نقدية لأحلام موسى حيدر الزهاوي، والقصص القرآني لعماد زهير حافظ، أدب القصة في القرآن الكريم لعبد الجواد المحص، وأباطيل الخصوم حول القصص القرآني لعبدالجواد المحص.

(٢) ينظر: أسلوب الأمر في القرآن الكريم ليحيى خليل مراد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم لمحمود توفيق محمد سعد، الأمر والنهي في النسق القرآني لسيد عبد الرحيم عطية، الأوامر القرآنية ودلالتها على الأحكام الشرعية لدياب محمد سليم محمد عمر، النواهي القرآنية ودلالتها على الأحكام الشرعية له أيضاً.

(٣) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: إمعان في أقسام القرآن، عبدالحميد الفراهي. التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. القسم في القرآن الكريم، حسين نصَّار. أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، د. سامي عطا حسن. أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، د. علي الحارثي (رسالة ماجستير). القسم في القرآن، د. سليمان بن علي. آيات القسم في القرآن الكريم، أحمد كمال المهدي (رسالة ماجستير). القسم في القرآن الكريم تركيبا ودلالة، عبدالله الهتاري (رسالة ماجستير). ولا يخلو كتاب في علوم القرآن من مبحثٍ أو فصلٍ عنه.

(٤) أفرده العلماء بمباحث ومؤلفات نافعة، مثل: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية لصباح عبيد، أسلوب القصر في محكم النظم لهشام الديب.

(٥) **كالجدل**: مناهج الجدل في القرآن الكريم لزاهر بن عواض الألمعي، **والتكرار**: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن) لمحمود بن حمزة الكرماني، **والتشبيه**: الجمان في تشبيهات القرآن لعبدالله بن الحسين بن ناقيا البغدادي، **والعطف**: بلاغة العطف في القرآن دراسة أسلوبية لعفت محمد الشرقاوي، **والالتفات**: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن جاد عبدالجواد طبل. وغيرها مما يطول حصره وتتبعه.

ومقاصـده على النحو الذي يريده المتكلِّـم، إذ يؤُتى به لدفع إنكار المنكرين، أو إزالة شك الشاكِّين.

وللقسم في القرآن الكريم مقاصد كثيرة، وفي طيَّاته مواطن للعظة والعبرة، ومجالات رحبة للتأمُّل والنظر، ولطائف خفية يكتشفها المؤمن بنور بصيرته، فيزداد بها يقينًا يسمو به إلى معرفة الله -جل جلاله وعز شأنه-.

والمقسَم به لا يكون إلّا باسم معظَّم في ذاته أو لمنفعة فيه، أو للتنبيه على كوامن العبرة فيه[(١)].

وهو سـبحانه يقسِـم في القـرآن على أصـول الإيمان التـي يجب على الخلق معرفتها، وتارةً يقسِم على التوحيد، وتارة يقسِم على أن القرآن حقٌّ، وتارة على أن الرسول حقٌّ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان[(٢)].

٢-الأمثال:

«وأحسن الأمثال هي أمثال القرآن الكريم؛ لما حوته من المعاني الحسنة، والدلائـل العميقـة، المتضمنـة للحكمة، ودلائـل الحق في المطالـب العالية. وهي: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الأخر، واعتبار أحدهما بالآخر.

والأمثال في القرآن الكريم من تصريف الآيات الَّذِي ورد في القرآن الكريم كما قَال تعالـى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

(١) بتصرف من كتاب دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل، ص٤٠٣، ٤٠٧.
(٢) بتصرف من كتاب التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٣.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]. وتصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبراهين على قضية واحدة، فيُؤتى للقضية الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج وتُصرَّف لهم الأمثال والعبر. والأمثال يُفَصِّل الله بها الحجج والعبر والمواعظ، ونحوها.

وقد أشاد الله سبحانه بأمثال القرآن، مبيناً أنه اشتمل على كل مَثَل من الحق يحتاجه الناس، وأن السبيل قد استبان بتلك الأمثال. وما بقي على الناس إلا أن يتفكروا بها ويتذكروا. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]. وقال: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

والتمثيل القرآني اعتمد التشبيه وتراكب معه، فكل تمثيل قرآني يعقبه تشبيه. ومن خصائص التشبيه القرآني: إبراز المعنى في صورة رائعة لها وقعها في النفس، فالتمثيل القرآني في غالبه مصرح بلفظ التشبيه؛ سواء «الكاف»، أو «مثل». والتشبيه أنجع وسيلة أسلوبية يتخذها المثل لتحقيق مراميه في الكشف عن المعنى الذي يحيل إليه، فالتوظيف المكثف له في المثل القرآني لم يأت إلا لكونه عنصرًا ضروريًا لأداء المعنى القرآني متكاملًا من جميع الوجوه»(١).

والنظر في أمثال القرآن مهمٌّ للمتدبر في القرآن، ولاسيما الأمثال الصريحة، وقد عَدَّ منها شيخ الإسلام ابن تيميّة (٦٧) مثلًا صريحًا(٢).

---

(١) مختصرًا من بحث: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم عبدالمحسن الجزائري، ملتقى أهل اللغة: http://ahlalloghah.com.

(٢) ينظر رسالته فيها ضمن مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٥-٦٧.

٣- الخبر والقصص:

نوقن أن القرآن كلام الله، وكله صدق، لأنه لا أحد أصدق حديثًا وقولًا من الله، ولا يجوز أن نبحث عن مصدر بشري لما يذكره القرآن، ويكفي ذكر الخبر في القرآن دليلًا على تصديقه.

والخبر في القرآن الكريم أسلوب غني بالمعاني والصور البلاغية المتعددة، فالله يخبر في القرآن «إما عن نفسه، وإما عن مخلوقاته. خبره عن نفسه بأسمائه وصفاته، وخبره عن مخلوقاته بالقصص، والخبر عن ملائكته وأنبيائه، ومن تقدم من الأمم المؤمنين والمكذبين، وعما يكون في القيامة من الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، بل ما تبلغه الرسل من خبره أكثر ممّا تبلغه من أمره، والخبر في القرآن أكثر من الأمر»[1]، وقد يتكرر الخبر في القرآن لأهميته وعظيم دلالته[2].

ومن أنواع الخبر القصص: والقصص كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فهو تثبيت لفؤاد النبي ﷺ، فمن باب أَوْلَى أن يكون تثبيتًا لأفئدتنا[3].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٣ باختصار.

(٢) وتميز «البقاعي رحمه الله في حديثه عن أغراض الخبر مع الايجاز، فهو يفسر الآية أحيانا بالغرض البلاغي وبلفظ واحد في حين نجده في مواضع أخرى يفصل وينَّوع في تفسيره بين النحو والبلاغة والمعاني وفصاحة الآية»، الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر خالد العزاوي ص٢٦، و ينظر أغراض الخبر: الصاحبي لابن فارس، والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

(٣) يجب «التوجه إلى كتاب الله ﷻ الذي كان يثبت قلب محمد ﷺ، فينزل بردًا وسلامًا على ذلك

ولذلك إذا جاءتكم الأمور التي تزلزل، وتجعل الحليم حيرانَ، فاقرأ قصص القرآن، حتى لا تُفاجئكم أحداث الدنيا وابتلاءات الله ﷻ التي يبتلي بها عباده ليرجعوا إليه، ويعودوا ويُنيبوا إليه، اقرأوا القصص ففي القصص التثبيت.

وهذه نصيحة أنصح نفسي بها، وأنصح بها كل إخواني الذين يتعرضون لأنواع الابتلاءات، اقرءوا قصص القرآن وتدارسوها، ففيها شيء عجيب من التثبيت وقوة اليقين والتعلق بالله، والتوكل على الله والالتجاء إليه، وطَرْح الحول والقوة من النَّفْس، وهنا تقوى العزائم، ويشعر الإنسان بلذة لا يشعر بها إذا هو جلس يُجاري تلك الأحداث وتلك الأخبار التي ربما أضعفته، بل ربما فتحت بابًا للشيطان ليُوصله إلى اليأس من رحمة الله والقنوط، نسأل الله العفو والعافية.

وكم رأينا ممَّنْ لم يثبت في تلك المصائب والمِحَن التي أصابته، والسبب: هو أنه لم يعالج نفسه من تلك المصيبة التي أصابته بقراءة قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وما أخبر الله ﷻ به أيضًا عن أتباع الأنبياء.

٤- الخطاب (الأمر والنهي):

يقول الإمام الزركشي رحمه الله: «وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن، يأتي على نحو من أربعين وجهًا»(١)، ثم شرع يذكرها ويمثل لها.

لاحظ حين يقول الله ﷻ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فهو حدَّد الصراط المستقيم

القلب المؤمن؛ ليزيده تماسكًا وثباتًا، ونحن أحوج والله إلى هذه المسألة أن نقبل على كتاب الله بالتلاوة، والحفظ، والتدبر، والتأمل، لنعرف عوامل الثبات عند الفتن». مختصرًا من الثبات في الفتن لمحمد المنجد *https://almunajjid.com/8129*.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٧-٢٥٣.

بصراط الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- والذين اتبعوهم، لأن الله ﷻ يقول في سورة النساء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، فلا زال الباب مفتوحًا، يعني وأَحْسِن لِمَنْ كان رفيقًا لهؤلاء.

فهل نتسابق لنكون رفقاء لهؤلاء الذين أنعم الله عليهم أم لا؟ فنلحق بمنهج الأنبياء والصالحين الذي مَدَحه الله ﷻ هنا في هذه السورة وأَمَرنا بأن نسأل الله ﷻ أن نكون عليه (على هذا الطريق).

أو إن لم نكن على صراط الذين أنعم عليهم فهي الأخرى، فهنا حَصْر، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فإننا إن لم نكن من الذين أنعم عليهم فإما أن نكون من المغضوب عليهم، وإما أن نكون من الضالين.

والمغضوب عليهم: هم اليهود، والضالون: هم النصارى[(١)].

وسبب غضب الله على اليهود: أنهم عندهم عِلْمٌ لم يعملوا به، فتركوه وراءهم ظهريًّا، واشتروا به ثمنًا قليلًا، كما ذَكَر الله ﷻ في سورة البقرة وفي غيرها عنهم.

و ضل النصارى كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ فعَبَدوا الله ﷻ على جهل.

وهما طريقان لا ثالث لهما؛ فإما أن يكون عندك علمٌ وتعمل به؛ فأنت من الذين أنعم الله عليهم، وإما أن يكون عندك علمٌ وتُعرِض عنه؛ فأنت من

(١) وهو نص حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه المرفوع، وهو في مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٧٨-٣٧٩، والترمذي في جامعه كتاب التفسير، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٢٩٥٤)، وغيرهما.

المغضوب عليهم، وإما أن تكون تعمل من غير عِلْم فأنت من الضالين، هي قِسمة عقلية منطقية.

فالله ﷻ حَصَر لك الطرق كلها بهذه الثلاثة لا غير؛ فإما أن تكون من الْمُنعَم عليهم، وإما أن تكون من المغضوب عليهم، وإما أن تكون من الضالين[1].

فالأساليب الخبرية تختلف باختلاف غرض المتكلِّم وحال المخاطب:

◈ فإذا كان المخاطَب خالي الذهن، جاءه الخبر من المتكلم من غير توكيد بالقسم ولا بغيره.

◈ وإذا كان المتكلم قد رأى أن المخاطب يشك في كلامه؛ أكَّدَ له القول بنوع من أنواع التوكيد، وأهمها: القسم، المثل، الاستفهام. وهكذا بقية الأنواع، كلٌ منها في سياقه.

◈ وإذا كان قد رأى المخاطَب ينكِرُ قوله، كان التوكيد أولى وألزم.

ومن هنا قسَّم علماء البلاغة أسلوب الخبر إلى ثلاثة أقسام:

أ- **ابتدائي**، ويُلْقَى لخالي الذهن من غير توكيد.

ب- **طلبي**، ويلقى لمن داخله الشك مؤكدًا بأداة من أدوات التوكيد.

ج- **إنكاري**، ويلقى لمن أنكر القول مؤكدًا بأكثر من توكيد.

الأمر في لسان العرب: ما أوجب طاعة الآمر، وإذا لم يفعله المأمور كان عاصيًا، كما عقل ذلك من عادتهم إذا أمر السيد عبده. ومعناه عندهم:

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم، فقد أجاد وأفاد في الفاتحة ومضامينها، تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ج١، و تفسير سورة الفاتحة، ويليه المسائل المستنبطة منها لعبدالله إبراهيم القرعاوي، وتفسير الفاتحة مثالا على تدبر القرآن، منشور بملتقى أهل الحديث: *http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=56899&d=1211367310*.

الاستدعاء والطلب، وسواء كان بصيغة افعل، أو ليفعل، أو غيرهما، وما ليس معناه الطلب فليس بأمر حقيقة، وإن كان بصيغة افعل.

والكلام فيه يتم في فصلين: أحدهما: في مقتضى الأمر عند أهل العلم. والثاني: في كيفية تصرف العرب في استعماله. ولذلك وجوه كثيرة، وكلها تعرف بمخرج الكلام وسياقه، وبالدلالة القائمة من قرائن الأحوال ومناسبات المقام(١).

٥- الاستفهام:

لاحظ الاستفهام في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

والاستفهام نوعان:

- إما أن يكون استفهام إنكار.
- وإما أن يكون استفهام تقرير.

فهذا استفهام تقرير؛ فالله ﷻ يَمُنّ على عبده ورسوله، ومُصطفاه وحبيبه، ومُجتباه محمد ﷺ بأن شَرَح له صدره(٢).

والسؤال الذي يجب أن نسأله أنفسنا: نحن ما نصيبنا من شَرْح الصدر هذا(٣)؟

فهنا أسبابٌ لشَرْح الصدر، وللأسلوب المستعمل في الآية اعتبارٌ ومعنى، وللمعنى المذكور في الآية علاقةٌ بغيره- مما هو بمعناه من الآيات الأخرى، أو ما هو متعلقٌ به كسبب أو ثمرة-، وهو استفهام التقرير؛ لأن استفهام التقرير

(١) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن للموزعي ١/ ٨٣ وما بعدها، مختصرًا.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٢، واللباب لابن عادل ١/ ٥٢٤، والعذب النمير للأمين الشنقيطي ٢/ ٢٦٥، و٤/ ١٦٧، والحروف العاملة في القرآن الكريم ص ٦٣٤.

(٣) عقد لها فصلاً في الضوء المنير على التفسير ٣/ ٩٢-٩٥، وينظر: زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٢٣-٢٨، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي، ومن أسباب شرح الصدر لعبدالعزيز السدحان.

يعني الامتنان، والامتنان يعني ماذا؟ تعظيم تلك النعمة، واستنزالها للشكر الواجب، فضلًا عن الشكر المندوب.

ويلحظ أن الله ﷻ في آخر السورة التي بعدها، سورة التين والزيتون، قال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين: ٨]، وهو استفهام تقرير[١].

«قال بعض الأئمة: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن الخَاطَبَ عنده عِلْمُ ذلك الإثبات أو النفي حاصِلٌ فَيَسْتَفْهِمُ عنه نَفْسَهُ تُخْبِرُه به؛ إذ قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾، والنفي كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك، تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسَكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقَه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن»[٢].

ومثال استفهام الإنكار قول المشركين كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥]، فهذا استفهام إنكار[٣] وهكذا.

«قال اللهُ -جل وعلا-: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ [النحل: ٢٧] فنسب إلى نفسه الشركاء ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾ وليس له شريك -جل وعلا-؛ ليقرِّعهم ويوبِّخهم، كأنه يقول: هذا ربي على التسليم الجدلي

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٢٥٤، البحر المحيط ١/ ٥٥٢، وتفسير الحجرات - الحديد لابن عثيمين ص١٣٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٤/ ١٠٨، والوسيط ٣/ ٣٨٢، ومعالم التنزيل ٣/ ٤٢٥، وتفسير ابن أبي العز لشايع الأسمري مجلة الجامعة الاسلامية ١٢١/ ٢٤.

والتنزل، وفرض المُحال، وتسليم المُحال، على قولكم الكاذب الفاسد، فكيف يكون الربُّ وهو يأفل ويسقط؟ فمقصوده بهذا ليفحمهم»(١).

«ومن الاستفهام في القرآن ما يكون لبيان الاستحالة، وهو يقارب في معناه نفي وإنكار الوقوع إلى حدٍّ أنه يكون احتمالًا غير معقول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ بمعنى: إنَّك تخلق فيهم بصرًا يبصرون به، وأن هذا فيه استفهام إنكاري، وفيه استعارة تمثيلية، فقد مُثِّلت حالُهم بحال الأصمِّ الذي لا يسمع، أو في آذانه وقرٌ، وبحال من فقد البصر، وأن يطلب هدايتهم كمن يطلب السمع من الأصم، أو يطلب الإبصار ممن فقد البصر، فالاستفهام لاستحالة موضوع السؤال وأنه لا يقع»(٢). فشأن أسلوب الاستفهام في القرآن عظيم.

٦- الحصر والقصر:

والحصر والقصر يأتي لفائدة ومعنى، وهو: إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما عداه. وهو من الإشارات والدلالات في القرآن التي هي مفاتيح لما أغلق على الأفهام، والحصر والقصر لهذا البعض دليلٌ على انعدام غيره.

مثاله: لَمّا يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١، ٢]، فالله ﷻ الآن جَعَل جنس الإنسان خاسرًا، ثم استثنى الأقل: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فَحَصر الأقل فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [العصر: ٣]، ثم قصر

(١) العذب النمير ١/ ٤١٨.

(٢) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة ص١٦٠.

هؤلاء الذين آمنوا بأربع صفات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣].

وقدّم ربنا الجار والمجرور في موضعين بآية واحدة: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾، ولم يقل توكلت عليه ومتابي إليه؟ ذلك لإفادة الحصر والقصر، فعلى الله التوكل لا على غيره، وإليه الرجوع والتوبة لا إلى غيره؛ فهو المتوحِّد بالألوهية والمتفرد بالربوبية؛ فلا يحسن التوكل على غيره ولا الرجوع إلى من سواه.

فهذا الباب -أساليب القرآن- من أبواب التدبر.

ونَدَر أنك تقرأ آيات وما يكون فيها أحد هذه الأساليب، لا أقول: ممكن تقرأ ولا يكون فيها، لكن على الأقل يكون فيها خطاب. فأسلوب القرآن المستعمل في الآية هو محل التدبر، إذا كان المعنى لا يعنيك، ونَدَرَ أن يكون المعنى لا يعنيك.

فنحتاج فتح المجالات حتى يكون الإنسان لا عُذر له، فما من آية ليس لك مجال أن تتدبر فيها.

فإما أن يكون المعنى، وإما أن يكون الإعجاز وما يتعلق به، وإما أن يكون الموضوع الذي تتحدث عنه الآية، وإما أن يكون الأسلوب الذي جاءت به الآية.

خامسًا: آيات محددة:

هذا باب آخر مختلف عن هذه الأبواب كلها؛ وهو باب: **آيات معينة**، فيقولون: هذه **أخوف آية** في كتاب الله[1]، مثال ما ذكروه في أخوف آية، قالوا:

(١) تناول هذه الأنواع: الزركشي في البرهان ١/ ٤٤٢-٤٤٨، والسيوطي جمع فيه أكثر الأقوال: في مفردات القرآن ٤/ ١٤٨-١٥٧، وقبله.

إنَّ قولـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]: هـذه أخـوف آيـة في كتـاب الله؛ أن الله عَزَّ وَجَلَّ سـيجازينا بأعمالنـا، وإذا جازانـا الله عَزَّ وَجَلَّ بأعمالنا سنهلك بلا شك.

وأرجـى آيـة[١] -أيّ مُقابِلهـا-: قالوا: قولـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهكـذا لَمّـا يقولـون: أعظم آيـة: آية الكرسـي[٢] مثلاً، أو أعظم سـورة: الفاتحة[٣]، وسـورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] مثلًا، أو لَمّا يقولون: إن هذه لها فضيلة، مثلما ورد في سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] أنها تعدل ربع القرآن[٥]، و أنها براءةٌ من الشرك[٦].

---

(١) يراجع المصادر السابقة، ومعترك الأقران ١/ ٣٥٨-٣٦١.

(٢) لحديث أُبـيّ بن كعـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه مسـلم، كتاب صلاة المسـافرين، باب فضل سـورة الكهف وآية الكرسي (٨١٠).

(٣) لحديث أبي سـعيد بن المُعلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه البخاري كتاب التفسـير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (٤٤٧٤، ٤٦٤٧).

(٤) لحديث أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٥٠١٣).

(٥) حديثـان أخرجهما الترمـذي، كتاب ثواب القرآن، بـاب ما جاء في إذا زلزلـت، (٢٨٩٣-٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٥٨.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ح(٢٣٨٠٧)، والترمذي أبواب الدعوات باب٢٢ (٣٤٠٣) ٩/ ٣٤٨، وأبو داود كتاب الأدب باب ما يقول عند النوم (٥٠٥٥) ٥/ ٣٠٣، وصححه ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٤٠٨)، والألباني في صحيح أبي داود.

وعن سورة الملك: أنها الْمُنجِية[1]. وغير ذلك.

فما يذكره النبي ﷺ من فضائل الآيات أو السُّور، أو ما يذكره الصحابة، أو ما يسمونه باسم معين مثل أعظم آية، أخوف آية، أرجى آية... إلى غير ذلك، فهذه الأشياء تحتاج لتدبر مخصوص بهذا الاعتبار.

وكذلك الآيات التي كان يكررها النبي ﷺ أو يكررها الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، أو حتى بعض التابعين[2].

فهذه الآيات التي تميزت بهذه الأشياء نلحظ أنها لا علاقة لها ببيان المعنى في التفسير، لكنها تهمنا كثيرًا في مسألة التدبر؛ لأن هذا بابٌ من أبواب التدبر، ومجالٌ من مجالاته نغفل عنه غالبًا.

وأختصر هذا كله بعنوانٍ مقترح: مواقف السابقين مع الآيات، أو الهدايات التي استنبطها السابقون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والعلماء -رحمهم الله تعالى- من هذه الآيات.

فهذه كلها تحتاج إلى نوع من التدبر والنظر والاعتبار، وهي تُحَقّق جزءًا كبيرًا من السؤال: ما نصيبي أنا من هذا الأمر؟

سادسًا: الآيات والسور المتشابهة:

ومثل الآيات المحددة: **الآيات المتشابهة**، مثل: نداءات القرآن، فلو

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك (٢٨٩٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١٤٠)، وفي صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا بلفظ: (فهي المانعة تمنع من عذاب القبر)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قال الألباني: «وهو في حكم المرفوع».

(٢) عقد الإمام النووي في كتابه التبيان بابًا سماه: استحباب ترديد الآية للتدبر، فيراجع، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات ص٢٤٣-٢٤٤.

سألت: كم آية فيها (يا أيها الناس)؟ كم آية فيها جاءت بنداء: (يا أيها الذين آمنوا)[1]؟ وبنداء (يا أيها الناس)[2]؟.

كم آية فيها (ومن الناس)[3]؟

كم آية فيها: (ومنهم، ومن...)[4]؟ كم آية فيها **دعاء**[5]؟ وهكذا.

هذه آيات متشابهة، أي: كل مجموعة من هذه الآيات في بابٍ واحد.

وأيضًا منها مسألة الفروق في المتشابهات:

مثلًا: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

(١) وقد عدّها بعضهم (٨٨) موضعًا، في البقرة ١١ مرة - آل عمران ٧ مرات - النساء ٩ مرات - المائدة - ١٦ مرة - الأنفال ٦ مرات - التوبة ٦ مرات - الحج مرة واحدة - النور ٣ مرات- الأحزاب ٦ مرات - محمد ٦ مرات - الحجرات ٥ مرات - الحديد ٥ مرات - المجادلة ٣ مرات - الحشر مرة واحدة - الممتحنة ٣ مرات - الصف ٣ مرات - الجمعة مرة واحدة - المنافقون مرة واحدة - التغابن مرة واحدة - التحريم مرتان.

(٢) وقد عدّها بعضهم عشرون موضعًا: في سورة البقرة مرتان - النساء ٣ مرات - الأعراف مرة واحدة - يونس ٤ مرات - الحج ٤ مرات - النمل مرة واحدة -لقمان مرة واحدة-فاطر ٣ مرات - الحجرات مرة واحدة.

(٣) وقد عدّها بعضهم عشرة مواضع: في سورة البقرة ٤ مرات- الحج ٣ مرات- العنكبوت مرة واحدة- لقمان مرة واحدة- فاطر مرة واحدة.

(٤) وقد عدّها بعضهم (٨٤) موضعًا، منها في المؤمنين ٣١ موضعًا، وفي الكافرين ٢٢ موضعًا، وفي عموم الناس١٧ موضعًا، وفي المنافقين ٩ مواضع، وفي اليهود ٥ مواضع.

(٥) الدعاء الوارد في القرآن نوعان: **عامٌ**؛ وقد كتب فيه رسالتي ماجستير: الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره، بهية بنت حامد اللحياني، و المفاهيم المستمدة من آيات الدعاء في القرآن الكريم ودلالتها التربوية، روضة سليم إسماعيل المدهون. **ودعاء الأنبياء**؛ وقد كتب فيه رسالة ماجستير: دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، وداد طاهر محمد نصر. منشورة على الشبكة، والموضوع جدير بالاطلاع والقراءة والتدبر.

وفي مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، [لقمان: ٣١]، [سبأ: ١٩]، [الشورى: ٣٣]، وردت في أربعة مواضع[(١)]... وهكذا.

فتجد أن هذه الفروق تشتمل على فوائد، مثلًا: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]؛ ما الفرق بين الحية والثعبان؟[(٢)].

فملاحظة هذه الفروق هذا من التدبر، وهو سهل، وليس صعبًا.

كذلك أيضًا من الأبواب التي يكون فيها التدبر: القرائن.

وهي السور التي كان يقرن الرسول ﷺ بينها في قراءته عمومًا، أو غالبًا كما في الجمعة مثلًا، والصبح والمغرب والعِشاء، وغيرها.

فمثلًا: ما هي الآيات أو السور التي كان يقرأ بها النبي -ﷺ في صلاته-[(٣)]؟

فعن أبي وائل قال: غدونا على عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال رجل: قرأتُ المفصّل البارحة. فقال: (هَذًّا كَهَذِّ الشّعر! إنّا قد سمعنا القراءة وإنّي لأحفظ القرناء الّتي كان يقرأ بهنّ النّبيّ ﷺ: ثماني عشرة سورة من المفصّل وسورتين من آل حم)[(٤)].

(١) قال السعدي: «الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات». تيسير الكريم الرحمن ص ٧٥٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٢/ ٢٧، واللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٢٢، وتفسير ابن عرفة ٣/ ٢٥١.

(٣) وقد جمع رواياتها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه صفة صلاة النبي ﷺ ١٠٢-١٢٢، وأصل صفة صلاة النبي ﷺ ص ٣٩١-٥٥٢.

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب وما يكره أن يهذ كهذِّ الشعر (٤٧٥٦). ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القرآن... وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (٧٢٢) من حديث طويل.

فعَدّ منها ابن مسعود رضي الله عنه عشرين سورة، فهذه السُّوَر التي كان يقرن بها النبي ﷺ في صلاته أحيانًا لها معنى، وهي باب من أبواب التدبر.

وكثيرًا ما كان يقرأ ﷺ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، و﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾[(١)]، ويقرأ مثلًا: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ في العيدين والجمعة[(٢)]، ويقرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ويقرأ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، ويأمر بذلك[(٣)]، وكان يقرأ في العيد: بـ﴿قٓ﴾ و﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾[(٤)]، وقالت الصحابية: وما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[(٥)]، وهكذا. وهذه السُّوَر التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في صلاته أحيانًا، هي باب من أبواب التدبر. ولذا قال ابن كثير رحمه الله: «والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب»[(٦)].

والقرناء: السور التي كان يقرنها رسول اللّه ﷺ ببعضها في قراءته، وينظر شرحه في التبيان في آداب حملة القرآن ص٥٨، وفتح الباري: ٩/ ٨٨.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٢٦، وفي رواية بلفظ (أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء) ٢/ ٣٢٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧١، ومسلم في صحيحه ح(٨٧٨)، وأبي داود في سننه ح(١١٢٢)، والترمذي ح(٥٣٣)، والنسائي ٣/ ١١٢، وابن ماجة ح(١٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ح(٥٠٧)، ومسلم ح(٤٦٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ح(٨٩١)، وأحمد في المسند ٥/ ٢١٧، وأبي داود ح(١١٥٤)، والترمذي ح(٥٣٤)، والنسائي ٣/ ١٨٣، وابن ماجة ح(١٢٨٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ح(٨٧٣)، وأبي داود ح(١١٠٠)، والنسائي ٢/ ١٥٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٣ و٤٧٠.

ملاحظة المعاني الموضوعية: إن الله ﷻ مثلًا يأمرنا بالصبر[1]، إن الله ﷻ يأمرنا بالرحمة[2]، إن الله ﷻ يأمرنا بالتقوى[3]، إن الله ﷻ يأمرنا بالبر[4]، يأمرنا بالإحسان[5]، ففي كم آية وردت؟ وما المعاني التي تدلُّ عليها؟...إلخ.

فلَمّا تأخذ معنًى من هذه المعاني وتنظر فيه، وفي دلالاته، ستجد أشياء كثيرة جدًّا، وستحصِّلُ ما يتكلم عنه العلماء -رحمهم الله تعالى- في قضية الهدايات والأحكام التي تُستخرَج من هذه الآيات.

والخلاصة: أن هذه مجالاتٌ من مجالات التدبر، مختلف بعضها عن بعض، وقد توجد في الشيء الواحد، مثلًا حين أقرأ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، فهي من القرائن، وفيها قَسَم، وفيها الحديث عن اليوم الآخر، ومناسبةٌ للسُّوَر التي قبلها، وفيها إعجاز، وفيها أساليبُ متنوعةٌ بديعةٌ.

فلاحِظ سورة واحدة قصيرة، وفيها أبواب متعددة كبيرة، ناهيك عن المعاني التي نحن مأمورون بالنظر إليها، والاعتبار بها.

فما من آية من الآيات إلا وفيها أكثر من مجالٍ من مجالات التدبر.

فهل نحاول فعلًا نُفَعّل هذه المجالات، ونستفيد منها؟ أم إننا نُضَيّعها!!

هذا هو السؤال الذي يجب أن نسأل أنفسنا إياه.

---

(١) ذُكر الصبر ومشتقاته في القرآن الكريم (١٠٣) مرات، في (٤٥) سورة، والسور التي يتكرر فيها ذكر الصبر: البقرة (٩ مرات)، آل عمران (٨ مرات)، الكهف (٨ مرات)، النحل (٧ مرات). تحتوي ٩٣ آية على كلمة (الصبر)، و كلمة (اصبر) ١٩ مرة، و(اصبروا) خمس عشر مرة، و(الصابرين) خمس عشر مرة.

(٢) ذُكرت الرحمة في القرآن الكريم في نحو (٢٦٨) موضعًا، وقد ورد في أكثر مواضعه بصيغة الاسم، وورد في أربعة عشر موضعًا بصيغة الفعل.

(٣) ذُكرت التقوى في القرآن الكريم (٢٥٨) موضعًا، منها: (١٨٢) بصيغة الفعل، وبصيغة الاسم (٧٦) موضعًا.

(٤) ذكر البِرُّ ومشتقاته (٢٠) مرة، منه ستة مواضع في البقرة.

(٥) ذكر الإحسانُ ومشتقاته في القرآن الكريم (١٦٥) مرة، تتصرف على (٣٠) وجهًا لغويًا، منها (حسن) و(أحسن) و(إحسان) و(الإحسان) و(أحسنوا) و(المحسنين) و(الحسنى).

المطلب السادس

مهارة المراجعة والتصحيح

۞ المهارة السادسة: المراجعة والتصحيح:

لقائلٍ أن يقول: أصبحتُ الآن أستحضر كلام الله ﷻ كأنه مكتوب أمامي، وأسمعه في أُذُنَيّ، فكيف أضمن ألّا أُخطِئ فيما تَدَبّرت فيه؟ وكيف أثق فيما تَدَبّرته من كلام الله؟

فإذا لاح لك معنى من القرآن فكل الذي عليك أنك تُصححه قبل أن تتحدث به مع الناس.

وهذا المبدأ ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله(١)، وقبله الدهلوي في الفَوْز الكبير(٢)، وأيضًا ذكره عدد كبير من المشايخ قديمًا وحديثًا.

خذ مثالًا: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]، تأملت هذه الآية ولاحظت القَسَم، ولاحظت كذا، لاحظت هذه الأبواب والوسائل والأساليب التي ذكرتها سابقًا فظَهَر لي معنى، كيف أعرف أن هذا المعنى صحيحٌ؟ أم ليس بصحيحٍ؟ فإن كان صحيحًا نشرته، وإن كان غير صحيحٍ أستغفر الله وأتوب إليه، وأعرف أني أخطأتُ في تلك الطرق أو الأساليب التي استعملتها، فوضعتُ شيئًا في غير موضعه؟

---

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في لقاء الباب المفتوح(٨٦) ص٢٥: «ولهذا نقول: ابدأ بالتفسير قبل كل شيء... وطريقة ذلك: أن تفكر أنت أولًا في معنى الآية، قبل أن تراجع الكتب، فإذا تقرر عندك شيء فارجع إلى الكتب، وذلك لأجل أن تمرن نفسك على معرفة معاني كتاب الله بنفسك، ثم إن الإنسان قد يفتح الله عليه من المعاني ما لا يجده في كتب التفسير، خصوصًا إذا ترعرع في العلم وبلغ مرتبة فيه؛ فإنه قد يفتح له من خزائن هذا القرآن الكريم ما لم يجده في غيره». باختصار.

(٢) ينظر: الفوز الكبير ص١٨٨.

فنقول لهذا: خمس طرق تجريها لتختبر ما توصلتَ إليه تقريبًا، وله طرق كثيرة غيرها، ولكن لأختصر وأُوجِز، فأذكر بعضها وبعد ذلك تستطيع الوصول إلى غيرها.

➢ أول هذه الإجراءات: رَبْط المفاهيم القرآنية ببعضها:

ذلك أن القرآن لا يتناقض، فإذا وجدت مثلًا أن هذا المعنى الذي بدا لك أو ظَهَر لك: أنه موافق للمعاني التي في القرآن فهذا دليل على أنه صحيح، وإذا كان مخالِفًا لها فهو إذًا غير صحيح. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فإذا وجدت أن هذا المعنى الذي -الآن- ظهر لي يُعارِض معانٍ أخرى في القرآن، فإمَّا أنه خطأ، وإما أنه صحيحٌ، ولكن يحتاج إلى أن أعرف ما العلاقة بين هذين المعنيين اللذيْن وجدتُ من هذه الطريقة ومن هذا الإجراء أن المعنى بينهما متعارض أو متناقض؟

فانظر دائمًا إلى المعاني الكلية في القرآن الكريم[1]، ومثاله: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وهذا المعنى الذي لاح لي فيه نوع من المشقة، أو نوع من الحرج، أو نوع من الشِّدّة على النَّفس؛ فإذًا -أنا- هنا أتوقف، وأنظر: هل هذا فيه شِدّة منهي عنها فعلًا؟ أو أنه لا زال في الشيء الذي تحتاج النَّفس إلى التدريب عليه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) ينظر: العزفُ على أنوار الذِّكر ص١١٦، ومقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٣٦٦-٣٦٧.

الثانية: التصحيح للمفهوم من الكتب والعلماء:

فمثلًا تذهب لتفسير السعدي وتيسير الكريم الرحمن ونحوه؛ وتنظر هل هذا المعنى موجود أو ليس موجودًا، فإذا كان موجودًا انتهينا، أو هذا المعنى ليس موجودًا فما زال الخط الأحمر موجودًا؛ إذًا يحتاج إلى مراجعة.

إذا ما كان مثلًا عندك دُرْبة في استعمال الكتب، وهي كثيرة وواسعة كما هو معروف(١).

وإن لم تكن عندك القدرة، أو كان الوقت لا يسمح بذلك؛ فيجب أن تتصل على عالِم من العلماء وتسأله، فتقول: يا شيخ قرأت هذه الآية وظهر لي المعنى كذا، فهل هذا معنى صحيح؟

فالمراجعة مهمةٌ، فإن خلصت بنتيجة صحيحةٍ فالحمد لله، وإن كانت غير صحيحة فلا زال الخط الأحمر موجودًا.

الثالثة: وهي المدارسة:

اجلس مع إخوانٍ لك، وقُل لهم: يا إخوان، أنا قرأت هذه الآية وظهر لي هذا المعنى، ما رأيكم؟ هذا المعنى صحيح أم خطأ؟

فتبدأون تتدارسون، وفي الغالب أن المدارسة ينتج منها أكثر من فِكْر، فإذا وافقوك على الرأي؛ فإذًا معنى ذلك أن الرأي -إن صح التعبير- كِفّة صحته أكثر، وإذا خالفوك اتضح أنَّ رأيك خطأ.

إن ترددتم في هذا وأصبح بعض الإخوة يقول لك: هذا المعنى صحيح، وبعض الإخوة يقول لك: لا، هذا المعنى خطأ؛ فلا زال الخط الأحمر موجودًا.

(١) ينظر: لقاء الباب المفتوح (٨٦) ص٢٥، مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا ص٣٦٨.

◄ الرابعة: التكرار وإمعان النظر:

وذلـك أن تعيد النظر فيما بدا لك في الآية أو السـورة، مرة ثانية ومرة ثالثة ومـرة رابعـة؛ حتى يلوح لك أن المعنى صحيح، فـلا ينبغي القول بما خطر في ذهنك لأول مرة.

وفائدة التكرار أنه لا يمكن أن يستقر الخطأ مع التكرار، وغالبًا أن الخطأ إنمـا يكـون في بـادئ الرأي، وهو ما يُسـمى الـرأي الفطير، فإذا تَخَمّر بشـكل صحيحٍ فإنه في الغالب يكون صحيحًا[(١)].

◄ الخامسة: المواظبة على التدبر بالمنهجية الصحيحة:

بأن نواظب على هذه الإجراءات؛ وذلك يسـاعد الإنسـان على تصحيح ما وقع فيه من خطأ، ويكتسـب الخبرة بإذن الله ﷻ، وهنا يَقِلُّ الخطأ في التدبر، ويكثر الصواب منه.

منها ننتقل إلى المهارة الأخيرة: وهي النشر والتعليم.

....

(١) ينظر: نظرية المحاولة والخطأ، لثرونديك.

المطلب السابع

مهارة نشر التدبر وتعليمه للغير(١)

۞ المهارة الأخيرة: النشر والتعليم:

إذا رزقك الله ﷻ فَهْمًا في الآية، أو أحسست من نفسك أن جواب هذا السؤال مهم بالنسبة لك، فنقول: من شُكْر الله ﷻ أن تنشر هذا وتُعَلّمه للناس.

فالنشر مرحلة، والتعليم مرحلة أخرى بعدها.

○ **أول نقطة في خطوات النشر والتعليم:** هي **المارسة المستمرة**، يعني لا تعشْ مع القرآن -فَرَضًا نقول: أول أسبوع من رمضان- ثم تتوقف؛ فإنك إذا توقفت ستبدأ تضمحل هذه المهارة عندك حتى تضعف؛ فالممارسة المستمرة تؤدي إلى التَّرَقي، ثم تؤدي بعد ذلك إلى الجودة.

فكلما مَارَس الإنسان الفعل كلما أصبح مهارة عندهُ، وكلما ترقى فيها كلما أجادها أكثر.

وبإذن الله ﷻ ستصبح هذه عادةً متيسرةً عندك، لا تستطيع أن تتركها، لكن من المهم جدًّا أن تستمر فيها، ولا سيما في أول الأمر فقد تجد أن فيها صعوبة على النَّفْس، ويوجد خوف من الخطأ، لكن هناك إجراءات حتى تُصحِّح، وأبواب للمجالات حتى تُنَوِّع، وأساليب ليكون للسؤال جوابٌ قويٌ ومُؤَثِّرٌ عندك؛ فاحرص على هذه الأشياء، ومَارِسْها، مرارًا، وستجد نفسك أنك ارتقيت بنفسك- بإذن الله ﷻ- وأنك أَجَدْتَ التدبر وأصبح طبيعة لك، بل أكاد أقول: لا تملك نفسك فيها، فعندما تسمع الإمام يقرأ تجد عينك تدمع

(١) اجتهدت فيها وقسمتها حسب التسلسل الموضوعي.

أو جسمك يقشعِرّ، أو روحك تطير من الفرح بهذه المعاني التي في الآيات لأنها مُبَشِّرات وغير ذلك.

وتجد نفسك نسيت كل شيء حولك؛ لأن تركيزك مُنْصَبٌّ على ما يقرأ الإمام، أو ما تقرؤه أنت في صلاتك ومنشغل به، وتتلذذ به أكثر من تَلَذّذك بكلام أحب حبيبٍ إليك في هذه الحياة الدنيا.

○ **النقطة الثانية في النشر والتعليم: الاستفادة من الفُرَص**، وذلك عندما تكون في مجلس، أو في درس، أو في محادثة مع زميل لك، ويتكلم معك عن موضوع ما، فتقول له: سبحان الله! لاحظت هذا الموضوع في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كذا، فهذه فرصة تستفيد منها.

وطالبٌ يقرأ عليك الآية -وأنت مثلًا معلم تحفيظ أو مُعلم مدرسة- فيُخطِئ، فتقول له: يا ابني، انتبه، هذه الآية هي كذا وكذا، فتعطيه برقية تدبر.

وليس لازمًا أن نجلس في دروسٍ خاصة للتدبر، ليس هذا صحيحًا، فإن التدبر نستطيع أن نُفَعِّله في كل شيء، كما أننا نُفَعِّله في صلاتنا نُفَعِّله في درسنا، و نُفَعِّله في حلقاتنا.

وتقول في حديثك المعتاد: سبحان الله! ربي يقول هذا، سواءً كان تصحيحًا لمن معك، يعني هو قال خطأً فأنت تُصَحّح له، أو كان قال حقًّا فأنت تؤيده، وتربط له المعنى الجميل الذي قاله بالآية.

فهذا يجعلك تستفيد من الفُرَص ويجعل الناس يقبلون منك هذا التدبر، ويبدأون يمارسون التدبر.

وليس لازمًا أن الإنسان لا يمارس التَدَبُّر حتى يأخذ دورة، أو يحضر دورة، فليس هذا شرطًا، يجب أن يكون التدبر عندنا ممارسة، مثلما نُعَلّم الناس الأخلاق، مثلما نُعَلِّم الآداب والقِيَم، ... إلى آخره، كذلك من القِيَم التي عندنا قيمة التدبر، وهذا سهل، ليس صعبًا.

طفلك الصغير، أخوك الصغير تستطيع أن تُعَلّمه التدبر بهذه الطريقة، لَمّا يصدُق تقول له: إن الله يحب الصادقين، انظر وَقْعها في نفسه هو مثلًا.

لَمّا تراه يتوضأ تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

لَمّا يقول مثلًا: استغفر الله، فتقول: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٩].

فهذه تعطي الناس قِيَم، وتعطيهم حُب للقرآن..

للأسف أكبر سبب لضَعْفنا في القرآن الكريم -لا سيما في المدارس-، أننا جعلنا مادة القرآن مادة جافة، وما جعلناها مادة يعيش فيها الطالب روحه، ينتظرها مثلما ينتظر الهدية؛ فإنَّ القرآن يُمتِع عاطفته ويُقنع عقله، وهنا تكون التربية بالقرآن، ليست التربية بالقرآن هي عبارة عن دروس تُلْقى، ولا أن نجعل الناس يحبون القرآن ويتلذّذون به ويعيشون معه، وهذا مُلاحَظ.

فَرْق كبير بين الأستاذ الذي يجعل الطلاب يحبون القرآن، وبين الأستاذ الذي يجعل الطلاب يكرهون القرآن، نسأل الله العفو والعافية.

ولذلك نقول: الاستفادة من الفُرَص تؤدي لتسهيل عملية التدبر، وقبولها، والتمرين عليها أيضًا بين الناس، بالممارسة وذلك بكل سهولة.

ولذلك فإن كبار السن -بالذات الذين عندهم عبادة وعندهم تقوى- تجد منهم تَدَبُّراً للقرآن ومعرفة المعاني ربما أقوى وأكثر مما عند المتعلمين، بسبب أنَّ الممارسة والتمرين تُعَوِّد الإنسان.

ولذلك مثل هؤلاء اسألهم: كيف تَعَلّموا هذا الشيء؟

سيقولون: إن هذا تعلموه من إمام، أو تعلموه من خطيب، أو من إنسان عاشوا معه وقتًا ما، فَتَلَقّوها بالتمرين، وليس بالتعليم والتنظير.

○ **النقطة الأخيرة التي أختم بها:** هي مسألة **التعليم والنشر المتخصص في الحلقات**، أو المناشط المناسبة.

فإذا وُجِد مثل هذا المجلس، فلا بأس أن الإنسان يجلس ويُعَلِّم الناس، ويعطيهم بعض النقاط المهمة التي تُعَوّدهم على تَدَبُّر القرآن الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

....

مجلة تدبر

الخاتمة

النتائج:

❍ أحمد الله ﷻ على ما يسر وأعان من كتابة هذه المهارات، والتي جاءت في سبع مهارات رئيسة، يسير عليها المسلم في مسألة تَدَبُّر القرآن الكريم:

✍ **المهارة الأولى: تهيئة للنَّفْس**، وذلك بالتحفيز لها لتدبر الآية، والاستعداد المناسب.

✍ **المهارة الثانية: السؤال**، وذلك بتحديد الموقف مما تضمنته الآية، وتحصيل الأثر.

✍ **المهارة الثالثة: الوسائل** التي تُعين على الجواب على السؤال.

✍ **المهارة الرابعة: رَبْط المعاني** التي وردت في الآية نتيجةً لتلك الوسائل.

✍ **المهارة الخامسة: تنويع المجالات**؛ بحيث لا يكون تفكير المتدبر في جُزئية معينة، بل ينظر إلى القرآن بسعته، وأيضًا إلى الدنيا وحاجتها إلى أحكام الله ﷻ بشمولها وإتقانها.

✍ **المهارة السادسة: المراجعة**، إذ يحتاج المتدبر إلى نوع من الضبط (هل تَدَبُّري هذا صحيح أم خطأ؟).

✍ **المهارة السابعة: النشر والتعليم**، لما استفدته من تدبر الآية: كيف أُثبِّته في نفسي، وكيف أُعلِّمه للناس.

❍ وهذه المهارات اجتهدت فيها، فما كان من صواب فيها فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي واستغفر الله تعالى، وذلك أني لم أجد من كتب فيها

من قبل فيما أعلم، فحاولت الاجتهاد في استخراجها من البحوث النظرية، ثم التدرب عليها، والتدريب لغيري، فوجدت لها أثرًا في نفسي وفيمن شاركني.

- هذه المهارات نواةٌ لبرامج تطبيقات عملية، ودورات تدريبية وتطبيقية؛ ترتقي بتدبر القرآن في حياة الفرد والمجتمع المسلم، في كل مكانٍ، وحسب مستوياتهم وأوقاتهم وظروفهم.
- إنَّ من الصعوبة الجمع بين المهارات العملية مع صياغة البحث العلمية، ومع ذلك فلابد للمهارات والتطبيقات من ضبطٍ علميٍ يؤصل لها، ويحفظ مسارها من الانحراف والدخيل.
- ليس العدد مقصودًا في هذا البحث، ولا المسميات، ولذا لعلها تنال نصيبها فيما بعد من مشايخي وزملائي في البحث والترتيب؛ لتكون أكثر متانةً، وأقوى تأثيرًا بإذن الله تعالى.

التوصيات:

- لازال مجال المهارات التطبيقية بحاجة لإثراء على المستويين:
  أ- العلمي البحثي، بطريقيه: التأصيلي، والاستقرائي.
  ب- المهاري التدريبي، بمعاييره وسماته، ومؤشراته ومقاييسه.
- أن تتبنى المعاهد والمراكز والمؤسسات القرآنية مجال التخصص بالتدريب والقياس والتقويم في تدبر القرآن الكريم، وألاَّ يُقبل التدريب دون إشراف المتخصصين، وأن تكون البرامج التدريبية محكَّمة وموثقة.

وبعد فهذه سطورٌ من الاجتهاد في هذا الموضوع المهم، والمجال الرحب، أحببت كتابتها وعرضها على مشايخي وزملائي بعد تحكيمها في مجلة تدبر لعل الله ينفع بها.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أ. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢. **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ط دار االمعرفة، بيروت.

٣. **أسباب النزول**، لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تخريج عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام ط (٢) ١٤١٢هـ.

٤. **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار**، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، دار الوعي، حلب، ط. ١، ١٤١٤هـ.

٥. **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٦. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٧. **إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني**، د. محمد بن عبدالعزيز العواجي، نشر دار المنهاج بالرياض، ط١ (١٤٢٧هـ).

٨. **إعجاز القُرْآن**، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، ت:٤٠٣هـ، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة ط(٥)، ١٤٠١هـ.

٩. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر - تحقيق أ.طه سعد، ط دار الجيل - بيروت١٩٧٣م.

١٠. **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، نشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١ . **الأمثال في القرآن**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،نشر: مكتبة الصحابة، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٢ . **إمعان في أقسام القرآن**، عبدالحميد الفراهي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩ .

١٣ . **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم**، للشيخ أ.د. مساعد بن سليمان الطيار، ط. دار ابن الجوزي الدمام.

١٤ . **الإيمان** للحافظ أبي بكر محمد بن أبي شيبة، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ضمن رسائل أربع، دار الأرقم، الكويت، ط: ١، ١٣٨٥هـ.

١٥ . **بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول ١٤٣٤هـ**، منشورة على الشبكة.

١٦ . **البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أ.محمد أبو الفضل، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.

١٧ . **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨ . **تاريخ دمشق**، ابن عساكر علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق محب الدين العمروني وآخرون، دار الفكر ط١ ١٩٩٧ .

١٩ . **التبيان في آداب حملة القرآن**، تأليف أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، حققه وخرّج أحاديثه بشير محمد عيون، ط ١، ١٤١٣هـ ١٩٩١م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.

٢٠ . **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢١ . **تتمة أضواء البيان** للشيخ عطية سالم، دار ابن تيمية القاهرة.

٢٢ . **تحرير معنى التدبر عند المفسرين** د.فهد الوهبي، ضمن أوراق العمل المطبوعة بكتاب «مفهوم التدبر-تحرير وتأصيل» والمقدمة في الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم التابع لمركز «تدبر» بالرياض ١٤٣٠هـ.

٢٣. **التحرير والتنوير**، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.

٢٤. **تحقيق الوصال بين القلب والقرآن**، د. مجدي الهلالي، ط. مؤسسة اقرأ – القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٥. **تدبر القرآن الكريم**، عبدالله موسي محمد أبو المجد، من بحوث مؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول.

٢٦. **تدبر القرآن مفهومه وأساليبه** د.فهد الوهبي، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه «تبيان»، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الثامن ١٤٣٢هـ.

٢٧. **تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس**، محمد بن عمر بن سالم بازمول، نشر: دار الاستقامة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٨. **تدبّر القرآن**، د. سليمان السنيدي، ط ٢، ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي ٢٠٠٢م.

٢٩. **التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير**، أ.د. عبدالله سرحان، من إصدارات مركز تدبر بالرياض ١٤٣١هـ.

٣٠. **تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية**، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ١٤٢٨ هـ.

٣١. **تغليق التعليق**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، الأردن (١٩٨٥ م).

٣٢. **تفسير ابن أبي العز**، د. شايع بن عبده الأسمري، بحث محكم، نشر مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

٣٣. **تفسير ابن عرفة**، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، ت حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس ١٩٨٦م.

٣٤. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

٣٥. التفسير البسيط، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، نشر: عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١، ١٤٣٠هـ.

٣٦. تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ت:١٤٢١هـ) نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٧. تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، تحقيق حسن بن عاكشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، نشر دار الفاروق، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣٨. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: أ.سامي سلامة، ط دار طيبة١٤٢٠هـ.

٣٩. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).

٤٠. تفسير القرآن الكريم، للإمام محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية، ط دار الهلال بيروت ١٤١٠هـ.

٤١. تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط (١)، ١٤١٨هـ.

٤٢. التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازى، ط إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣. تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١.

٤٤ . **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥ . **تفسير القرآن الكريم (الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد)**، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار الثريا للنشر الرياض.

٤٦ . **التوابين**، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

٤٧ . **تيسير البيان لأحكام القرآن**، المؤلف: محمد بن علي بن الخطيب اليمني الشافعي المشهور بـ «ابن نور الدين الموزعي» (ت:٨٢٥هـ) بعناية: عبدالمعين الحرش، نشر: دار النوادر سوريا، ط ١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤٨ . **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٩ . **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**: للرماني، والخطابي، والجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ود.محمد زغلول سلام، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف مصر ط٤، ١٩٩١ م.

٥٠ . **جامع الأصول من أحاديث الرسول**، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، ت٦٥٦ هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط ٢، ١٤٥٣ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥١ . **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٢ . **جامع الترمذي، تحقيق وتعليق**: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

٥٣. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٤. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٥٦. جواب في صيغ الحمد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد بن إبراهيم السعران نشر: دار العاصمة، الرياض ط١، ١٤١٥هـ.

٥٧. الحروف العاملة في القرآن الكريم، إعداد: هادي عطية مطر الهلالي، طبع ونشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، لبنان، بيروت.

٥٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت ٤٣٥ هـ، بدون تاريخ، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.

٥٩. الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: ٣٩٢هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

٦٠. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(، المتوفى: ٦٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل نشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٦١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

٦٢. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٦٣. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، المؤلف: محمد عبد الخالق عضيمة، ت١٤٠٤هـ، تصدير: محمود محمد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة، ط بدون.

٦٤. دلائل النبوة: أبي بكر أحمد الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٥. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٦. الرقة والبكاء، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، (٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم بيروت، سنة ١٤١٦هـ.

٦٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٨. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، المحقق: محمد زهير الشاويش.

٦٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٧٠. الزهد لابن المبارك، برواية: نعيم بن حماد، تحقيق: أحمد فريد، دار المعارج، ١٩٩٥م.

٧١. الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، مطبعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٣٥٧هـ.

٧٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧٣. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٧٤. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٥. **سنن البيهقي الكبرى،** أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٧٦. **سنن الدارمي،** دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ.

٧٧. **السنن الكبرى،** للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي، ت ٤٥٨ هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧٨. **سنن النسائي،** تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٧٩. **سنن النسائي،** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣ هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١ هـ، وحاشية السندي، ت ١١٣٨ هـ، ط١، ١٤٠٦ هـ، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

٨٠. **شرح العقيدة الأصفهانية الشارح:** شيخ الإسلام، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المحقق: سعيد بن نصر بن محمد نشر: دار الرشد، الرياض ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٨١. **شرح صحيح البخاري،** أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٨٢. **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب،** المؤلف: محمد بن الحسن الإستراباذي، المحقق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، يحي بشير مصطفى، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٧- ١٩٦٦.

٨٣. **شعب الإيمان،** للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨ هـ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٤. **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها،** تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

٨٥. **صحيح ابن حبان**، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٥٢م.

٨٦. **صحيح الترغيب والترهيب**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤١٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٨٧. **صحيح الجامع الصغير**، للعلامة ناصر الدين الألباني، ط١، ١٣٨٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٨٨. **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٨٩. **صحيح سنن الترمذي باختصار السند**، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٩٠. **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩١. **صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف، سنة النشر: ١٩٩٦م.

٩٢. **الصمت وآداب اللسان**، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، المتوفى: ٢٨١هـ، المحقق: أبو إسحاق الحويني نشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤١٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

٩٣. **صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم**، محمود توفيق محمد سعد، التصنيف: التفسير الموضوعي، الكاتب: محمود توفيق محمد سعد، نشر: مطبعة الأمانة، ط١، سنة النشر: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩٤. **الصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة**، عبدالرحمن بن محمد الدوسري، نشر: مكتبة الرشد، تاريخ النشر: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكان النشر: الرياض.

٩٥. **ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره**، إعداد عبدالمجيد البيانوني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩٦. **الضوء المنير على التفسير**، المؤلف: ابن القيم، المحقق: علي الصالحي، مؤسسة النور، عنيزة.

٩٧. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١.

٩٨. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، نشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: ٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م عدد الأجزاء: ١.

٩٩. **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، (ط: مجمع الفقه)، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، المحقق: خالد بن عثمان السبت، حالة الفهرسة: غير مفهرس، نشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد، عدد المجلدات:٥، ط٢، سنة النشر: ١٤٢٦هـ.

١٠٠. **العزف على أنوار الذِّكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة**، إعداد محمود توفيق محمد سعد، أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، شبين الكوم، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٠١. **العودة إلى القرآن لماذا وكيف**، د. مجدي الهلالي، ط: مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٠٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام- ١٤٢٢هـ.

١٠٣. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى عام ١٢٥٠هـ، طبعة دار الفكر ودار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط١، عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠٤. **فصول في أصول التفسير**، مساعد بن سليمان الطيار، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الدمام ط ٣، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠٥. **فضائل القرآن** لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤ هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.

١٠٦. **فقه الأدعية والأذكار**، المؤلف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، نشر: الكويت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٣.

١٠٧. **فهم القرآن ومعانيه**، للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، نشر: دار الكندي، دار الفكر ١٩٧٨م.

١٠٨. **الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٠٩. **الفوز الكبير في أصول التفسير**، للإمام ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، ترجمة: سلمان الحُسيني الندوي، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

١١٠. **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله** ﷻ، د. عبدالرحمن حسن الميداني، ط دار القلم بدمشق١٤٠٩هـ.

١١١. **قوت القلوب**، أبو طالب مكى، المكتبة الحسينية، الأزهر، القاهرة ١٣٥١ هـ- ١٩٣٣ م.

١١٢. **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد عبد الله بن عدي المتوفى سنة (٣٦٥هـ)، نشر دار الفكر بيروت ط١ سنة ١٤٠٤هـ.

١١٣. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري، ط الكتاب العربي بيروت١٤٠٧هـ.

١١٤ . **كشف الأستار عن زوائد البزار**، للهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١١٥ . **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، ت٤٣٧هـ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م.

١١٦ . **الكشف والبيان**، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ .

١١٧ . **كنز العمال**، على المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤٠٩هـ.

١١٨ . **الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية**، لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

١١٩ . **لباب النقول في أسباب النزول**، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار المعارف القاهرة.

١٢٠ . **مباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، ط٥ مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢١ . **المبسوط في القراءات العشر**، أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني، ت ٣٨١ هـ، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

١٢٢ . **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧ هـ، ط ٣، ١٤٠٢ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٢٣ . **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم، أشرف على طباعته المكتب السعودي بالمغرب.

١٢٤ . محاسن التأويل «تفسير القاسمي»، محمد جمال الدين القاسمي، صححه ورقمه وخرجه محمود فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط ١، ١٣٧٦هـ.

١٢٥ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٢٦ . مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ - اختصار العلامة. أحمد بن علي المقريزي، ط فيصل أباد، باكستان ١٤٠٨ هـ.

١٢٧ . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام .محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ. محمد حامد الفقي، ط دار الكتاب العربي، بيروت١٣٩٣هـ.

١٢٨ . المدخل إلى الدراسات القرآنية، مبادئ تدبر القرآن لأبي الحسن الندوي(١٤٢٠هـ)، ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

١٢٩ . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٣٠ . مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٣١ . مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط الرسالة، بيروت١٤٢١ هـ.

١٣٢ . مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.

١٣٣ . معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٣٤ . **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٣٥ . **المعجزة الكبرى القرآن**، للإمام محمد أبي زهرة، ط: دار الفكر العربي، ١٩٧٧م القاهرة.

١٣٦ . **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم الطبراني، ت: محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف الرياض (١٩٨٥-١٩٩٥).

١٣٧ . **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٣٨ . **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، مقوع المسلم، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م.

١٣٩ . **مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على بعض ما يتعلق بالحِكم الشرح السادس عشر**، أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زرُّوق البرنسي الفاسي (٨٩٩هـ)، تحقيق الشيخ محمد الطيب، نشر: كتاب ناشرون، ط: بدون.

١٤٠ . **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- ط العلمية، بيروت.

١٤١ . **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم دمشق، ط٣ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٤٢ . **مفهوم التدبر عند اللغويين**، د. عويض العطوي، ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب: مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل.

١٤٣ . **مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل**، (مجموعة أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم)، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٤٤ . **مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم**، محمد عبد الله الربيعة، لملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.

١٤٥ . **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٧ هـ.

١٤٦ . **مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا**، د. محمد بن عبدالعزيز العواجي، نشر دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١ ١٤٣٨هـ.

١٤٧ . **من أساليب القرآن** تأليف: د. إبراهيم السامرائي، نشر: دار الفرقان، عمان مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢، ١٩٨٧م.

١٤٨ . **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: ٧٩٠ هـ، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

١٤٩ . **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، شيخ المقارئ بالديار المصرية، مكتبة الباز، مكة ١٤٢٣هـ.

١٥٠ . **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي، نشر: دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٩٦٩ م).

١٥١ . **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، بإشراف د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١.

١٥٢ . **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٤ م).

المقالات والمذكرات:

١. التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم عبدالمحسن الجزائري، ملتقى أهل اللغة: http://.ahlalloghah.com

٢. تفسير الفاتحة مثالا على تدبر القرآن، منشور ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=56899&d=1211367310.

٣. شرح الأربعين النووية، للشيخ عطية سالم رحمه الله، دروس المسجد النبوي مفرغة، منشور المكتبة الشاملة.

٤. قواعد وضوابط التدبر، د. عمر المقبل، شارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في ٥/ ٢/ ١٤٣٢هـ بالرياض، منشور: http://www.almoslim.net/node/139579.

٥. كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، بحث منشور بمنتديات «مكتوب»، بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah12581).

٦. لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net

٧. مقال مقام العبودية في رحلة الإسراء، خميس النقيب، موقع الألوكة: http://www.alukah.net/sharia/0/55745/.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

مجلة تدبر



البحث الثالث

العَمَلُ التَّطَوُّعِيُّ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ دِرَاسَةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ

د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ العَامِر

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

❁ حصل على درجة **الماجستير** من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، **بأطروحته:** الأخلاق في دائرة المعارف الإسلامية دراسة نقدية.

❁ حصل على درجة **الدكتوراه** من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، **بأطروحته:** كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي للمستشرق مايكل كوك دراسة تحليلية نقدية.

النتاج العلمي:

❁ حقوق الإنسان في الإسلام .

❁ مجالات العمل التطوعي كما جاءت في السنة الصحيحة.

❁ العمل التطوعي في السنة القولية في صحيح البخاري .

❁ التصور الاجتماعي للمحتسب عند الشباب.

❁ البريد الالكتروني : *Al-amer1427@hotmail.Com*

ملخص البحث

سعيت في هذا البحث إلى تعريف مفهوم التطوع لغة واصطلاحًا عند علماء الشريعة وعند علماء الاجتماع وعند جهات دولية معاصرة ثم عرفت بالعمل التطوعي المؤسسي وهو الذي يطغى على الساحة اليوم إذ تتبناه وتموله مؤسسات ودول وبينت ميزات هذا العمل المؤسسي ثم أصلت للعمل التطوعي في القرآن الكريم فذكرت الآيات التي تتحدث عن لفظ «التطوع» نصًا ثم الآيات التي تتحدث عن مضمون العمل التطوعي وحرصت على بيان تفسير هذه الآيات تفسيرًا مختصرًا يوضح ويجلي معنى هذه الآيات دون إسهاب وختمت البحث بنماذج وأمثلة عملية على العمل التطوعي ورد ذكرها في القرآن الكريم لأنبياء أو صالحين مارسوا العمل التطوعي بأنفسهم ثم خاتمة البحث ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها ومنها أن القرآن الكريم حث على العمل التطوعي في آيات كثيرة جعلته من أفضل القرب والطاعات المستحبة ومنها أن دائرة التطوع واسعة وغير محصورة بنموذج معين بل شاملة لكل ما يحقق خدمة الناس والسعي في تحقيق مصالحهم ومنها أن العمل التطوعي مدرسة يتعود الإنسان فيها على البذل والعطاء. وعقبت ذلك ببعض التوصيات التي رأيت السعي لعملها وتحقيقها لكي يرتقي ويتطور هذا العمل التطوعي عندنا كمسلمين.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله أجمعين.

كلمات مفتاحية : تأصيل العمل التطوعي في القرآن، الأدلة من القرآن على العمل التطوعي، أمثلة من القرآن على العمل التطوعي، الخير، البر، النفقة.

المقدمة

إن الحمدلله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن العمل التطوعي الذي يبذله الأفراد والمجموعات يعتبر عنصر إنتاج وبناء في حياة المجتمع إذ يبقى للعمل التطوعي وزنه وتأثيره على مناحٍ كثيرة في الحياة فجاء الإسلام وأعطى لهذا العمل التطوعي أهمية في حياة المسلمين ورتب الكثير من الأجر والثواب عليه ليكون عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله ﷻ ومن هنا كان الإنسان المسلم يقوم بعمله التطوعي قربة إلى الله وابتغاء الأجر منه ﷻ؛ لذا أحببت أن أبحث في هذا الموضوع، فوجدت كتاب الله خير ما أتجه إليه في بحثي هذا مستخرجًا منه الآيات التي تتحدث عن التطوع وكذلك الأمثلة التي ضربها لنا حوله وذلك محاولة مني لبعث كتابة جديدة تغوص في عمق التطوع لتحدد هويته القرآنية وتظهر للناس سبق ديننا إلى ما تتحدث عنه اليوم المنظمات الإنسانية.

لعلي أكون في هذا البحث قد أضأت شمعة في طريق طويل لم تتضح معالم إزاحة ظلمته إلا بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ؛ لنرجع قادةً للعالم في العمل التطوعي ونستعيد الريادة فيه ونكون بحق كما رضي الله لنا

حين وصفنا بأنَّا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فالله أرجو التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في أن التطوع اليوم صار داخلًا في حياة الناس في جميع المجتمعات والثقافات وإن كان بتسميات أخرى مثل «القطاع الثالث» أو «المنظمات غير الحكومية» أو «القطاع الخيري» أو «المؤسسات الخيرية الأهلية» أو «القطاع التطوعي» أو «المؤسسات الوقفية» أو «مؤسسات المجتمع المدني» أو «المؤسسات غير الربحية» أو «القطاع المستقل»، ونحو ذلك من أسماء.

لذا كانت محاولتي للسعي في تأصيله من القرآن الكريم لأساهم في إبراز هذه القيمة الإنسانية العالية التي غفلنا عنها كثيرًا وأهملناها أكثر وأكثر حتى صار العمل التطوعي اليوم غريبًا بيننا نحن المسلمين وذلك حين بدأت غربة ديننا فإلى الله المشتكى.

أهداف البحث:

١- حين تأملت كل آية في كتاب الله حول مفهوم التطوع فدرستها وجدت أن البئر مليئة وأن شرع الله قد ملأ الدلاء حول هذا الموضوع فجاهدت لأنزع بدلوي ما يروي عطش أمة مسلمة ويذكرها بنبع مائها.

٢- أن الموضوع على أهميته لا يزال غفلًا من الباحثين حتى عَلَق في أذهان الكثير من المسلمين أن التطوع هو ما كان بمفهومه الفقهي الضيق الذي يتحدث عن نوافل العبادات فحاولت هنا أن أبين أن التطوع باب واسع ومفهوم بحره متلاطم وزاخر.

٣- أن ثقافة التطوع صارت اليوم غائبة في ثقافة المسلم اليوم - إلا ما رحم الله- فحاولتُ إحياء جذوتها من خلال هذا الطرح المتواضع لعلي أشعل بهذه الجذوة ما ينير الدرب لمن يأت بعدي فيواصل نثر كنانته ويصيد من جوف الفرا.

لهذه الأسباب مجتمعة أحببت الكتابة حول هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث أو كتاب - من خلال بحثي و قراءتي المتواضعة - مستوف لموضوع تأصيل العمل التطوعي في القرآن الكريم بل وجدت مقالات منثورة حول التطوع دون أن تؤصله من كتاب الله ومن ذلك:

رسالة علمية مطبوعة وهي رسالة دكتوراه للدكتور عبدالله بن محمد المطوع تحت عنوان **(العمل الخيري المؤسسي)** دراسة وطنية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية.

تحدث فيها المؤلف عن العمل الخيري الإسلامي المقترن بالدعوة، والمؤسسات الخيرية في المملكة العربية السعودية والدراسة الميدانية عن مؤسستين خيريتين في المملكة[(١)].

وهناك دراسة للأستاذ معجب الحويقل عن **(العمل التطوعي في الإسلام)** تناول في تلك الدراسة أشكال الأعمال التطوعية في الإسلام ودورها في تحقيق التكافل الاجتماعي، ونماذج من المنظمات التطوعية في المملكة العربية السعودية، وأهمية العمل التطوعي في تحقيق الأمن في المجتمع.[(٢)]

---

(١) انظر: د. عبدالله بن محمد المطوع. «العمل الخيري المؤسسي» دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية.ط١. الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سلسة الرسائل الجامعية. ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر: معجب الحويقل. العمل التطوعي. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. بتاريخ ٢٥-٢٧/ ٩/ ٢٠٠٠م.

ودراسة للدكتور مانع الجهني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أحد أصحاب الخبرة في هذا المجال حيث رأس الندوة العالمية للشباب الإسلامي سنوات عديدة: عن «دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية» حيث تحدث في دراسته عن مفهوم العمل التطوعي وأهميته وأركانه ومشروعيته، وتناول عددًا من المنظمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، وما هي أبرز البرامج التطوعية التي يمكن القيام بها ومجالاتها، ثم تطرق للحديث عن كيفية إدارة العمل التطوعي المؤسسي.[١]

وكتاب للدكتور عبدالكريم بكار بعنوان **(ثقافة العمل الخيري.. كيف نرسخها.. وكيف نعممها)** لكنه كتاب يفتقد إلى التوثيق والمراجع العلمية حيث جاء فيه الكلام سردًا بجميع صفحاته دون أي توثيق للمعلومة.[٢]

وهناك كتاب تناول العمل التطوعي من منظور يغلب عليه الجانب الإقتصادي ولغة الأرقام، وهو كتاب **(القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية)** للدكتور محمد بن عبدالله السلومي.[٣]

وهذه الدراسات لم تتطرق إلى تأصيل التطوع من القرآن الكريم بل قد تذكر دليلًا أو دليلين عند الحديث عن مشروعية العمل التطوعي.

---

(١) انظر: دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية المؤتمر الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية د مانع الجهني. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. بتاريخ ٢٨-٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م.

(٢) انظر: ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها.. وكيف نعممها. عبد الكريم بكار. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. ١٤٣٣هـ.

(٣) انظر: القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية. د. محمد عبدالله السلومي. ط١. بدون ناشر. ١٤٣١هـ.

فمن هنا سعيت إلى أن أجمع ما تفرق في سور القرآن الكريم حول التطوع من آيات وما كان من أمثلة حول التطوع في آيات أُخر راجعًا إلى كتب التفسير ومختارًا منها ما كان أوفقها عندي وأكثرها اختصارًا لعدم الإطالة بالبحث والإسهاب فيه.[1]

منهج البحث:

١- حاولت استقصاء الآيات التي تتحدث عن عمل فيه تطوع أو تحث عليه.

٢- سعيت إلى التفسير المختصر لهذه الآيات، واخترت تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير معظم الآيات وذكرت في هامش إحدى الصفحات سبب ذلك.

٣- حاولت أن أبرز سبق القرآن الكريم من خلال استخراج الأمثلة والنصوص الدالة على العمل التطوعي المذكورة في القرآن الكريم.

٤- عزوت كل آية مذكورة في البحث إلى موضعها من كتاب الله.

٥- اقتصرت على ما في القرآن فقط دون ذكر لمصادر تشريعية أخرى.

خطة البحث: تضمن هذا البحث مقدمة وثلاثة مباحث:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهمية الموضوع والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم العمل التطوعي وفيه مطلبان.

(١) وقع اختيار الباحث في معظم تفسير الآيات على تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» وذلك للثقة في صحة معتقد المؤلف واختصار تفسيره وسهولة عبارته ولأنه استفاد من المفسرين الأوائل والبحث لا يحتاج إلى إطالة.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتطوع.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعمل التطوعي.

المبحث الثاني: مفهوم العمل التطوعي المؤسسي وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف العمل التطوعي المؤسسي.

المطلب الثاني: مميزات العمل التطوع المؤسسي.

المبحث الثالث: تأصيل العمل التطوعي في القرآن الكريم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على العمل التطوعي.

المطلب الثاني: أمثلة من القرآن الكريم على العمل التطوعي.

الخاتمة وفيها: أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

.....:::::::::::.....

المبحث الأول

مفهوم العمل التطوعي

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتطوع:

حين نتصفح قواميس اللغة العربية نجد أن هذه المادة تدور حول مفهوم التبرع في فعل الخير دون فرض أو أخذ أجرة عليه، فيخرج من هذا المفهوم اللغوي الأعمال التي يفعلها الإنسان لا بمحض اختياره، بل يكون مكلفًا بها بحكم وظيفته التي يأخذ عليها أجرًا، أو بحكم تكليفه بعمل معين لقاء أجر محدد متفق عليه.

حيث جاء في لسان العرب: «**التطوع ما تطوع به الإنسان من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه.. والمتطوعة: الذين يتطوعون بالجهاد**»(١).

وقال صاحب معجم مقاييس اللغة: «**وأما قولهم في التبرع بالشيء، قد تطوع به فهو من الباب لكنه لم يلزمه، لكنه انقاد مع خير أحب أن يفعله، ولا يقال هذا إلا في باب الخير والبر، ويقال للمجاهدة الذين يتطوعون بالجهاد المطوعة بتشديد الطاء والواو، وأصله المتطوعة ثم أدغمت التاء في الطاء، قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] **أراد الله -والله أعلم- المتطوعين**»(٢).

(١) لسان العرب. ابن منظور. ط٣.. بيروت: دار صادر. ١٤١٤هـ. (٨/ ١٤٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة. ابن فارس. ط١. بيروت. دار إحياء التراث العربي (١/ ٦٠٣-٦٠٤).

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعمل التطوعي:

لا شك أن التعريفات الاصطلاحية تتعدد بتعدد المعرفين لهذا المصطلح وكذلك تختلف باختلاف التخصص العلمي، وما هو العلم الذي يُعرِّف هذا المصطلح.

وعليه فسيكون تعريف الفقيه مختلفًا عن تعريف اللغوي، وسيكون مختلفًا عن تعريف عالم الاجتماع، وكذلك سيكون مختلفًا عن تعريف الفيلسوف وهكذا.

وسأحاول أن أذكر تعريفات متعددة لمصطلح (التطوع) ومرادفاته وذلك لكي تتضح صورة المصطلح ما أمكن، وذلك بتعدد المعرفين، وتعدد فروع المعرفة الإنسانية التي يتبعونها.

وكذلك لكي يظهر لنا أن التعريفات في المجالات الإنسانية دائمًا ما تواجه الباحثين مشكلة في إيجاد تعريفات منضبطة ودقيقة لها، لأنها تختلف باختلاف المعرفين لها، واختلاف بيئاتهم وتخصصاتهم.

فمن هذه التعريفات:

١- مفهوم التطوع عند علماء الشريعة:

ولقد عرف علماء الشريعة التطوع تعريفات مختلفة فبعضهم عرفه تعريفًا شاملًا لكل ما يطلق عليه تطوع أو يمكن أن يستوعبه المصطلح مستقبلًا، وبعضهم حصره في أمور العبادة المحضة وحدها التي يتقرب بها إلى الله من صلاة وصوم ونحو ذلك.

فعرفه بعضهم بأنه: «**تحمل المرء فعل خير غير واجب عليه، راغبًا فيه متبرعًا به من ذات نفسه**»[(١)].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن. ابن جرير الطبري.. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٥هـ. (٢/ ٥٢).

عرفه أحدهم بأنه: «التقرب إلى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات».[(١)]

وعرفه آخر بأنه: «ما شرع زيادة عن الفرض = النفل»[(٢)].

والتفت بعض المعاصرين[(٣)] للعمل الخيري وأهميته واعتبره مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية حين تحدث عن مقاصد التبرعات[(٤)].

٢- مفهوم التطوع عند علماء الاجتماع:

أخذنا تعريف علم الاجتماع للتطوع، لأن العمل التطوعي عمل اجتماعي تكون العلاقة -في الغالب- فيه بين أفراد المجتمع -سواء كمانحين أو متلقين لهذا العمل التطوعي-.

فعرف قاموس علم الاجتماع التطوع بأنه: **«اصطلاح يصف الطرق النظامية التي تستعمل في تقديم العون والمساعدة للمحتاجين الذين لا يستطيعون بأنفسهم التغلب على المشاكل والأزمات الحياتية التي تواجههم»[(٥)]. ويراد بـ(يصف) هنا أي أنه كل عمل متعلق بتقديم العون والمساعدة للمحتاجين ومواجهة الأزمات التي يمر بها الناس فهو عمل تطوعي.**

وعرَّفه أحد الباحثين الاجتماعيين بأنه: **«ذلك الجهد الذي يفعله الإنسان لمجتمعه بدافع منه، ودون انتظار مقابل له، قاصدًا بذلك تحمل بعض**

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة الزحيلي. ط٢.. بيروت: دار الفكر. ١٤١٧هـ. (٢/ ٥٨٧)

(٢) معجم لغة الفقهاء. د. محمد رواس قلعة جي ود. حامد صادق قنيبي.. ط١. بيروت: دار النفائس. ١٤٠٥هـ. ص١٣٤.

(٣) هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الطاهر بن عاشور.. ط١. تونس. مكتبة الاستقامة. ١٣٦٦هـ. ص٢٠٤.

(٥) معجم علم الاجتماع. ميشيل دنبكن. ترجمة إحسان محمد الحسين. بيروت: دار الطليعة. ١٩٨٦م. ص٤٩

المسؤوليات في مجال العمل الاجتماعي المنظم، الذي يستهدف تحقيق الرفاهية للإنسانية من منطلق أن فرص مشاركة المواطنين في العمل التطوعي المنظم ميزة والتزام»[١].

وهذا التعريف قيَّد العمل التطوعي بأنه يستهدف رفاهية الإنسان والعمل التطوعي قد لا يكون للرفاهية فقط كما يرى التعريف، بل قد يكون ضرورة كإنقاذ غريق، أو إطفاء حريق ونحو ذلك.

وعرفته جمعية الأخصائيين الاجتماعيين في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه: «**جهود يبذلها المتطوعون المتخصصون، أو شبه المتخصصين، الذين يملكون خبرة أو مهارة معينة ولهم دور فعال في المشاركة لتحقيق خدمات المهنة التي تهدف إلى رفاهية الأفراد والمجتمعات بطريقة تكاملية محققة أكبر نفع ممكن لهم**»[٢]. والمراد بالرفاهية هنا تحقيق الوضع المعيشي الأفضل لنقلهم من حالة البؤس والفقر إلى حالة أخرى تتوفر فيها متطلبات أفضل للعيش بكرامة إنسانية.

وهذا التعريف عرف التطوع من منظور علم الاجتماع الذي تنحصر بحوثه حول الإنسان كمجموعة أفراد ولا يتطرق لغير ذلك، فلذلك جاء التصور في التعريف هنا بعدم ذكر التطوع على الحيوان والجماد، لأن طبيعة تخصص هذا العلم تفرض عليه أن يتعامل مع مجموعة الإنسان فقط، وهذا التعريف للتطوع بمنظار اجتماعي يغفل المتعلقات الأخرى بالتطوع.

(١) تنظيم المجتمع. د. أحمد كمال أحمد. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٧٢م. (٣/ ٢٢٩).
(٢) ثقافة العمل التطوعي لدى الشباب السعودي. د. عثمان بن صالح العامر. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد السابع. ١٤٢٧هـ. ص١٧.

٣- تعريفات أخرى:

حاول برنامج الأمم المتحدة تعريف التطوع فقال بأنه: «**عمل غير ربحي لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم، أو المجتمعات البشرية بصفة عامة**»[(١)].

ويسري على هذا التعريف ما سرى على التعريفات السابقة من حصر التطوع بين إنسان وآخر وإغفاله التطوع على الحيوان والجماد.

وعرفته دائرة المعارف البريطانية بأنه يعني: «**الشخص الذي يقدم على المشاركة بشكل مجاني في عمل مؤسسي، أو القيام بمهمة**»[(٢)].

ولعل هذا التعريف -من وجهة نظري- هو أفضل من التعريفات السابقة بالنسبة للعمل الفردي التطوعي لأنه لم يقيد التطوع بعلاقة الإنسان بالإنسان كما فعلت تلك التعريفات، ولم يقيده بمحاولة تحقيق الرفاه للمجتمع لكن العمل التطوعي المؤسسي يحتاج إلى موظفين يعملون بالمؤسسة التي توصل العمل التطوعي لمستحقيه تبرعًا فتصرف على هؤلاء الموظفين الذين تفرغوا للعمل فيها.

والتعريفات السابقة تشمل العمل التطوعي بشكل عام ما كان منه مؤسسيًا، وما كان منه فرديًا لكن بما أن الحياة اليوم تقوم على العمل المؤسسي لذلك كانت الكتابات في السنوات الأخيرة تتناول هذا الجانب من التطوع لأن التطوع الفردي صار نوعًا من الماضي إلا في اجتهادات تطوعية خاصة.

---

(١) انظر: العمل التطوعي من منظور عالمي. ٢٠٠١م.إبراهيم حسن. بحث منشور على شبكة الانترنت عبر *http: //www. saaid. net/anshatah/dole. htm*

(٢) انظر: قوة التطوع. تطبيقاته السعودية. د. يوسف بن عثمان الخزيم من دون تاريخ. ص٣٧.

المبحث الثاني

مفهوم العمل التطوعي المؤسسي

أصبح التطوع اليوم عبارة عن مؤسسات من جمعيات، ومنظمات ومؤسسات تطوعية خاصة.

لذلك تعددت تسميات هذا النوع من العمل التطوعي، فيسمى (القطاع الثالث) تمييزًا له عن القطاع الأول وهو القطاع الحكومي، وعن القطاع الثاني وهو القطاع الخاص الربحي، ويسمى كذلك (المنظمات غير الحكومية) ويسمى (القطاع المستقل) ويسمى (القطاع الخيري) ويسمى (القطاع الخيري المانح) ويسمى (القطاع التطوعي)، ويسمى (المؤسسات الوقفية) ويسمى (مؤسسات المجتمع المدني) ويسمى (المؤسسات الخيرية الأهلية) ويسمى (المؤسسات غير الربحية)[(١)].

فتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقول العرب، حيث يعتبر العمل التطوعي اليوم جزءًا من واقع الإدارة الحديثة للدولة.

وتسميته بالقطاع الثالث تسمية اعتمدتها منظمة الأمم المتحدة في تسمية كل المؤسسات غير الحكومية وغير الربحية.[(٢)]

لذلك أصبح أي حديث اليوم عن العمل التطوعي، فإنه يعني العمل التطوعي المؤسسي.

وسيكون حديثنا هنا في مجمله عن العمل التطوعي المؤسسي.

(١) انظر: د. القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية.. محمد السلومي ط١. ص٦٤.

(٢) انظر: مرجع سابق. د. محمد السلومي. ص٦٤

المطلب الأول: تعريف العمل التطوعي المؤسسي:

عرفه بعضهم بأنه: «منظمات تطوعية غير ربحية تستهدف النفع العام، أو الصالح العام، وتتركز مجالات نشاطها في احتواء المواطن واجتذابه للإسهام في عملية التنمية من خلال توفير التعليم والتدريس والتأهيل والتثقيف وإيجاد فرصة عمل له تكفل له الاعتماد على النفس»(١).

وعرفه أحدهم بأنه: «مجموعة من المنظمات التي تنبع من مبادرات المواطنين وتحتل موقعًا ثالثًا بين مشروعات القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية، حيث لا تستهدف هذه المنظمات تحقيق الربح بل تسعى في المقام الأول إلى تحقيق النفع العام، ويقتصر دور الحكومات تجاهها على ما تصدره من تشريعات تنظم عمل هذه المنظمات إضافة إلى متابعة أعمالها كمراقب عليها»(٢).

وعرفه آخر: «كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى وفرق عمل، وإدارات متخصصة علمية، ودعوية، واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها»(٣).

وعرف آخر العمل الخيري المؤسسي الإسلامي بأنه: «هيئات منظمة رسمية أو غير رسمية تقوم بالدعوة إلى الله تعالى، وإحياء التكافل الاجتماعي بين المسلمين وفق الوسائل والأساليب المشروعة، نيابة عن المحسنين الذين يدعمونها ماديًا ومعنويًا طمعًا في رضا الله ﷻ، ثم رغبة في دلالة الناس إلى الدين الحق وتمسكهم به»(٤).

(١) قوة التطوع. د. يوسف الخزيم. ص١٧.

(٢) انظر. مرجع سابق. د. محمد السلومي. ص٦٣.

(٣) العمل المؤسسي معناه ومقوماته نجاحه. عبدالحكيم بن محمد بلال. مجلة البيان. العدد١٤٣. رجب. ١٤٢٠هـ. ص٤٣.

(٤) العمل الخيري المؤسسي. د. عبدالله محمد المطوع. ص١٢٠.

۞ المطلب الثاني: مميزات العمل التطوعي المؤسسي:

العمل المؤسسي هو عمل تعاوني بين أفراد من الناس، تظلله الروح الجماعية، ومن مميزات هذا العمل:

١- **أن العمل المؤسسي يؤدي إلى استقرار العمل ودوامه**، بخلاف العمل الفردي الذي يعتريه التغير لارتباطه بفرد واحد، فيتغير بمرضه، أو وفاته، أو تغير أفكاره.

٢- **تنوع الموارد المالية في العمل المؤسسي، حيث** تتعدد مصادر التمويل من جهات وأشخاص متبرعين.

٣- **العمل المؤسسي يقوم بتعزيز جانب الثقة لدى المتبرعين** حيث يضمنون أو يتوقعون -على الأقل- أن تكون تبرعاتهم لدى جهات أكثر ثقة وأمنًا.

٤- **صدور قرارات العمل المؤسسي من مجالس إدارية** تضم عناصر ذات تجربة وخبرة أفضل من صدور القرارات الفردية في العمل الفردي.

٥- **أن مجموع العاملين في العمل المؤسسي يلتزمون بقيم المؤسسة**، ويسعون لتحقيق أهدافها.

٦- **أن العمل المؤسسي يحظى بنظرة متميزة** لدى الجهات المانحة والجهات المستقبلة للمنحة، مما يجعله يكتسب صفة الشرعية لمشاريعه التطوعية، ويجعل الموافقة على تلك المشاريع أكثر قبولاً ومرونة.

٧- **بناء خبرات إدارية ومالية تراكمية للمؤسسة** على المدى الزمني وهذا يجعلها أكثر إنتاجية وأكثر مواردًا.[١]

---

(١) انظر: المنظمات الخيرية: الواقع وآفاق التطوير. محمد ناجي بن عطية. بحث منشور على موقع الإسلام اليوم. ١٠ محرم١٤٢٨هـ.، وهو ملخص لدراسة ميدانية غير منشورة قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء. اليمن. ٢٠٠٦م.

المبحث الثالث

تأصيل العمل التطوعي في القرآن الكريم

العمل التطوعي في الإسلام له أصل شرعي من الكتاب والسنة، حيث وردت آيات وأحاديث كُثر تأمر بالتطوع وفعل الخير وترغب فيه، حيث يعتبر العمل التطوعي في الإسلام ركيزة أساسية في علاقة المسلم بأخيه المسلم، أو علاقته بالوسط المحيط به من حيوان أو جماد.

لذلك شجع الإسلام على العمل التطوعي ودعا إليه، وذكر صورًا متعددة للقيام بهذا العمل.

۞ المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على العمل التطوعي:

جاءت الآيات القرآنية مهتمة بعمل الخير وحاثّة عليه، ومرغبة به، وكانت جميع صور العمل التطوعي في الإسلام مرتبطة بالإيمان بالله سبحانه تعالى، وهذا ما يجعلها ذات طاقة روحية دافعة للعمل والإنتاج والتفاعل، كما أن العمل التطوعي في الإسلام ليس محصورًا في صورة نمطية واحدة، بل جاء بصور وأشكال متعددة من صدقة وإماطة أذى عن طريق، وإطعام مسكين، وغرس شجرة ونحو ذلك، فأصبح العمل التطوعي متسعًا يشمل المجتمع جميعه، والإنسان جميعه بحقوقه الأساسية من حرية، وحياة، ومأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، وتعليم، وصحة وغير ذلك من حقوق.

ومن خلال السبر والتقسيم لآيات القرآن الكريم وجدت أن هذه الآيات حول التطوع لا تخلو من حالتين:

أولًا: الآيات التي جاء فيها لفظ التطوع «نصًا»:

لقد جاء لفظ (التطوع) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط، وماعدا ذلك من آيات في التطوع وأبوابه فإنها جاءت بألفاظ مرادفة له من الخير، وفعل الخير والتسابق إلى فعله، ونحو ذلك.

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال ابن سعدي(١) في تفسير هذه الآية: «﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي فعل الطاعة مخلصًا بها لله تعالى... فدل هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله لزيادة إيمانه»(٢).

والعمل التطوعي قربه يتقرب بها المسلم لله لتزداد درجته عنده.

٢- قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وكان الحديث في هذه الآية عن الصيام أول ما فرض لذلك كان حديث المفسرين حول المراد بالتطوع هنا وهو الزيادة في الإطعام لمن اختار الفدية على الصوم، وهذه الآية منسوخة عند الجمهور في حكمها بالتخيير بين الصوم

---

(١) ابن سعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ بعنيزة، تعلم بها حتى صار مرجعًا للفتيا، له مؤلفات منها: تفسيره «تيسير الكريم الرحمن» ومجموعة فتاوى مطبوعة، ورسائل علمية صغيرة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٧٦هـ انظر ابن بسام. علماء نجد خلال ستة قرون. ط١. ج٢. مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة ١٤٠٠هـ. ص٤٢٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.. ابن سعدي. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ.. ص٧٧.

والفديـة[1]، ولكن يبقى مفهوم التطـوع في أنه دائمًا خير باق، فالعمل التطوعي يبقى دائمًا خير دال على خير.

٣- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

قال الشوكاني[2]: «والمطوعين أي المتطوعين، والتطوع: التبرع، والمعنى أن المنافقين كانوا يعيبون المسـلمين إذا تطوعوا بشيء من أموالهم وأخرجوه للصدقة...»[3].

ثانيًا: الآيات التي جاءت حول التطوع معنى ومفهومًا:

جاءت آيات أخرى تحث على العمل التطوعي وترغب فيه ومنها:

١- آيات جاءت مرغبة في فعل العمل التطوعي «الخيري»:

- قوله تعالـى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قـال الشـوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ أي إلـى الخيـرات...وإن كان ظاهره الأمر بالاسـتباق إلى كل ما يصـدق عليه أنه خير كما يفيده العموم المستفاد من تعريف الخيرات»[4].

(١) انظـر: فتـح القدير الجامع بيـن فني الرواية والدراية من علم التفسـير. الشـوكاني.دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط١. ١٤١٨هـ. ج١. ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) الشـوكاني هو محمد بن علي، فقيه، مجتهد، ولي قضاء صنعاء ألف مؤلفات مشـهورة منها تفسـيره «فتح القدير» و«السيل الجرار» في الفقه، وغيرها كثير، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر الزركلي. الأعلام. ج٦. ص٢٩٨.

(٣) انظر: فتح القدير. ج٢ الشوكاني. ص٣٨٧.

(٤) انظر: فتح القدير الشوكاني. (١/ ١٧٨).

والله هنا أمر بالاستباق إلى فعل الخير لا مجرد فعله.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: «والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات»[1]. وهذه الآية تحث على العمل الخيري، أو العمل التطوعي، بل وتدعو إلى التسابق على فعله، وفي هذا تشجيع للإنسان المسلم على المسارعة للعمل التطوعي.

٢- آيات جاءت تحث على الصدقة:

١- قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال الشوكاني: «... ﴿بِصَدَقَةٍ﴾ الظاهر أنها صدقة التطوع... والمعروف لفظ عام يشمل جميع أنواع البر... والإصلاح بين الناس عام في الدماء والأعراض والأموال، وفي كل شيء يقع التداعي فيه»[2].

فالله سبحانه يحث في الآية على فعل الخير، وهو العمل التطوعي من صدقة أو إصلاح بين متخاصمين، أو أي وجه من وجوه البر.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

(١) ابن سعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص٧٢-٧٣.

(٢) فتح القدير. الشوكاني. (١/ ٥٦٠-٥٦١).

جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن سعدي: «﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير سابقًا لغيره مستوليًا على الأمر، إلا بأمرين: المبادرة إليها وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به»(١).

وهذه آية حاثة على المسارعة والاجتهاد لفعل الخير والاندفاع لفعله، وهو دليل على فضل العمل التطوعي.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال ابن سعدي: «﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات من حقوق الله وحقوق العباد»(٢).

فالآية تدل على أن كل عمل خير فالإنسان مأمور بفعله لا على الوجوب دومًا ولكن قد يكون بعض الخير على الاستحباب وهو ما يقوم به المتطوع في عمله الخيري فيكون العمل التطوعي دائرًا في الحكم بين الوجوب والاستحباب وهذا دليل على أهميته في شريعة الإسلام.

(١) تيسير الكريم الرحمن ابن سعدي.. ص٢٣٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٥٢٧.

٤- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

قال ابن سعدي: «... ويأمرهم بفعل الخير عمومًا، وعلَّق الفلاح على هذه الأمور فقال: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ أي تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه والمرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق في ذلك فله القدح المعلى من السعادة والنجاح والفلاح»(١).

فالله تعالى أمر بفعل الخير على إطلاقه دون تقييده بصورة معينة، فيقتضي ذلك إجابته بفعل الخير في جميع مخلوقات الله وذلك بالعمل الخيري التطوعي الذي يحقق ذلك.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [البقرة:١١٠].

قال ابن سعدي: «... ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير فإنه لا يضيع عند الله بل يجدونه عنده وافرًا موفرًا قد حفظه». (٢)

فالإنسان مهما كان العمل الذي يقدمه صغيرًا في مقاييس البشر، فهو عند الله عظيم يجد جزاءه فلا يحتقر الإنسان العمل التطوعي مهما كان صغيرًا أو محدود التأثير فكل صغير له أجره عند الله.

٦- قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٥٤٦-٥٤٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٦٢.

ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال ابن سعدي: «﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ وهو كل ما يَتَمَوَّلُه الإنسان من مال قليلًا كان أو كثيرًا، أي أعطى المال.

﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ أي: حب المال، بين به أن المال محبوب للنفوس فلا يكاد يخرجه العبد، فمن أخرجه مع حبه له تقربًا إلى الله تعالى، كان هذا برهانًا لإيمانه... ثم ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ببرك وإحسانك من الأقارب الذين تتوجَّع لمصابهم، و تفرح بسرورهم... ومن اليتامى الذين لا كاسب لهم وليس لهم قوة يستغنون بها.

و﴿ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ وهم الذين أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر، فلهم حق على الأغنياء بما يدفع مسكنتهم أو يخففها...

﴿ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحثَّ الله عباده على إعطائه من المال بما يعينه على سفره، لكونه مظنة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوَّله نعمته، أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة على حسب استطاعته...

﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج توجب السؤال كمن ابتلى بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة كالمساجد والمدارس والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان غنيًا.

﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ فيدخل فيه العتق والإعانة عليه ببذل مال... وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة»(١).

فالله سبحانه بين هنا بعضًا من أوجه الإنفاق الخيري، وبين أن هذا الإنفاق هو البر بعينه، فجدير بالمسلم أن يعمل بما أمره الله من الإنفاق في أوجه الخير فالعمل التطوعي يشمل هنا التطوع في إنفاق المال على الأقارب وعلى المساكين وعلى اليتامى وعلى عابري الطريق الذين تقطعت بهم السبل وعلى الذين يسألون ذلك المال لحاجتهم وكذلك التطوع في إنفاقه على إعتاق الرقاب فكلها طرق تطوع مفتوحة للمسلم يختار منها أي طريق شاء.

٧- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال ابن سعدي: «ولما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف لشدة الحاجة عمَّم تعالى فقال: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾: من صدقة على هؤلاء وغيرهم بل ومن جميع الطاعات والقربات لأنها تدخل في اسم الخير.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ فيجازيكم عليه ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها »(٢).

فأبواب النفقة واسعة، وكلٌ يُجازَى عليه الإنسان، واتساع باب النفقة هو اتساع لباب العمل التطوعي فدل ذلك على أن العمل التطوعي في الإسلام

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٨٢-٨٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٩٦.

أبوابه متعددة ومجالاته متنوعة ففي كل باب خير والتطوع على كل مجال كذلك خير.

٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

يقول ابن سعدي عن هذه الآية: «يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض فكما منَّ عليكم بتسهيل تحصيله فأنفقوا منه شكرًا لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتطهيرًا لأموالكم، واقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم»(١).

فالله سبحانه يأمر المسلمين بالإنفاق من أموالهم التي حصلوها وكسبوها على من يحتاجها من المسلمين، وكذلك ينفقون مما تنبت لهم الأرض من زروع وأشجار، وهذا دليل على عناية القرآن الكريم بالنفقة الواجبة والطوعية، وفيه دليل على حرص الإسلام على البذل تطوعًا.

فالعمل التطوعي مأمور به الإنسان من الشارع الحكيم في كل ما يتحقق به معنى الإنفاق من مال أو زرع أو ثمر بل ويؤكد أن يكون من هذا الإنفاق التطوعي من أفضل المال وأطيب الزرع وأحسن الثمرات فهو يرشد إلى الرقي في الإنفاق التطوعي وبذل الأفضل دائمًا.

٩- قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص١١٥.

يقول ابن سعدي: «وإياكم أن تتبعوا عدوَّكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك ويخوِّفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم،... بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو ﴿يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وتطهيرًا لعيوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ وإحسانًا إليكم في الدنيا والآخرة».(١)

فالقرآن الكريم في هذه الآية يعالج مشكلة الخوف من الافتقار حين النفقة، ويبين أن هذا من الشيطان، وأن الله هو الذي وعدكم بالجزاء على هذا الإنفاق والتعويض عنه لأن الصدقة لا تنقص المال بل تضاعفه.

فالقرآن يغرس في نفس المسلم حب النفقة التطوعية وإن الإنسان عندما يتطوع منفقًا فإنه يجب عليه ألا يخشى الفقر ولا تخطر بباله تلك الوساوس.

١٠- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢- ٢٧٤].

قال ابن سعدي: «﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: قليل أو كثير على أي شخص كان من مسلم وكافر ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي نفعه راجع إليكم... ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة تستوفون أجوركم ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص١١٥.

أي: لا تنقصون من أعمالكم شيئًا ولا مثقال ذرة... وأما النفقة من حيث هي على أي شخص كان فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر، فلهذا قال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾، ثم ذكر حالة المتصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾ أي طاعته ومرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم، ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف المقصرون، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول المطلوب»[1].

فبين القرآن أن المنفعة من صدقة التطوع راجعة على المنفق، لأنه ينال الأجر من الله، وينال رضاه عليه، فيكون هو المستفيد حقيقة من تطوعه هذا، وأن الإنسان سوف يُجازى على هذا الإنفاق ويعطى أجره وافيًا كاملًا، وبين أن النفقة تكون بالسر والعلن، وكلها يؤجر عليها الإنسان فبين القرآن أن العمل التطوعي يكون في جميع الأحوال حسنًا إن كان ظاهرًا أو كان مخفيًا فالأجر حاصل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١١- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

قال ابن سعدي عن تفسير هذه الآية: «وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة واجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخرًا وأجرًا مُوَفّرًا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص١١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص ١١٠.

وفي هـذه الآية حث للإنفاق في الحياة الدنيا في سـبل الخير، قبل أن ينتقل الإنسان إلى الآخرة فلا يستطيع النفقة لأنه لا يملك آلية النفقة كما كان يملكها في الدنيا.

فالقرآن يحث الإنسـان المسـلم على فعل العمل التطوعـي ما دام في دار الدنيـا ليحصل لـه الأجر لأنه يوم القيامـة لا مجال فيه لعمـل يحصل منه هذا الأجر وهذا عمق من القرآن لغرس هذه القيمة الإنسـانية في نفوس المسـلمين وهي قيمة العمل التطوعي لخدمة الآخرين.

١٢- وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٩٢].

قـال ابـن سـعدي في تفسـير هـذه الآية: «هـذا حث مـن الله لعبـاده على الإنفـاق في طرق الخيرات... البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبـات الموصـل لصاحبه إلى الجنـة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من أموالكم النفيسـة التي تحبها نفوسـكم، فإنكم إذا قدمتـم محبة الله على محبة الأمـوال فبذلتموهـا في مرضاتـه، دل ذلك على إيمانكم الصـادق وبر قلوبكم ويقيـن تقواكـم... ولما كان الإنفاق على أي وجه كان مُثابًا عليه العبد، سـواء كان قليـلًا أو كثيرًا، محبوبًا للنفـس أم لا، وكان قوله ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ممـا يوهـم أن إنفاق غير هـذا المقيد غير نافع، احترز تعالى من هذا الوهـم بقوله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ فـلا يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه»(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص١٣٨.

فالآية ترغب في إنفاق الأغلى والأثمن والأحب إلى النفس، ولو حصل وأنفق الإنسان ما هو أقل أو ليس محبوبًا لنفسه فإن الله سوف يعطيه أجرًا على ذلك ولن يضيعه، وفي هذا دليل على أن الإنفاق التطوعي له منزلة عالية في الإسلام وأنه شيء أساس في مقاييس الشريعة لأنها تبحث عن الأفضل وترغب فيه، وتُجازي حتى عن القليل منه، وإن كان عند صاحبه مفضولًا.

١٣- وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تفسير هذه الآية: «أي في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قلَّ... وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم»(١).

فبين الله في كتابه أن هناك من المنفقين المتطوعين من تكون نفقته دائمة سواء كان ميسور الحال أو كان معسرًا فهم يقدمون العمل التطوعي فينفقون وهم على أية حال كانوا عليها وكذلك هم لا يحتقرون أي عمل تطوعي يقومون بعمله والإنفاق عليه قليلًا أو كثيرًا.

١٤- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

[الأنفال: ٣، ٤].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص١٤٨-١٤٩.

قال ابن سعدي عند تفسير هذه الآية: «﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير»(١).

فالله سبحانه جعل الذين ينفقون نفقة التطوع مع النفقة الواجبة، بأنهم من المؤمنين الذين لهم المنزلة العالية عند الله تعالى يوم القيامة، والمغفرة لذنوبهم، وما أعده الله لهم في دار كرامته من الرزق الذي لا يخطر على بال بشر. وهذا دليل على أن العمل التطوعي بالإنفاق، يُجازِي عليه الله في الآخرة، ويؤكد على اتصاف صاحبه بالإيمان في الدنيا وهكذا هو موقف الإسلام كدين من العمل التطوعي تأكيد وثناء عليه ومدح لفاعله.

١٥- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]

قال ابن سعدي في تفسير هذه الآية: «﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم، وغير ذلك ﴿ فَهُوَ ﴾ تعالى ﴿ يُخْلِفُهُۥ ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق بل وعد بالخلف للمنفق» (٢).

وفي هذا دليل على أن الله يعوض على من أنفق ماله في عمل الخير، وهو حث من الله في كتابه لعباده المؤمنين بالتطوع في بذل المال، وأن الله سيعوضه لهم أضعافًا مضاعفة.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٣١٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن.ابن سعدي.. ص٦٨١.

فالعمل التطوعي بالنفقة لا ينقص المال بل يزيده أضعافًا مضاعفة وفي هذا يحث القرآن على بذل العمل التطوعي ويعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يعوضه أضعافًا كثيرة فكأن القرآن يسأل المسلم ويقول: لماذا لا تقدم على العمل التطوعي لتأخذ عليه أضعافًا كثيرة فينمو مالك وتزيد ثروتك.

١٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]

قال ابن سعدي: «﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد أي: الذين أكثروا من الصدقات والنفقات المرضية، ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مُدَّخرًا لهم عند ربهم، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة»(١).

وفي هذا حث على الإنفاق في أوجه الخير، ومنه الإنفاق التطوعي، فدل ذلك على حث الإسلام على العمل التطوعي وتشجيعه له في صورة نفقة على مسكين أو فقير أو بناء مدرسة أو دفع أجرة مريض في مستشفى أو أجرة معلم، ونحو ذلك.

١٧- قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فيدخل في هذا النفقات الواجبة من الزكاة والكفارات ونفقة الزوجات والمماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة، كبذل المال في جميع المصالح»(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٨٤٠.
(٢) مرجع سابق. ابن سعدي. ص٨٦٥.

فدل ذلك على أن المسلم مطالب بالإنفاق الواجب والتطوعي، وهذا دليل آخر على حث الإسلام على فعل العمل التطوعي الذي يخدم الإنسانية ومطالبته للمسلمين بذلك ويطلب منهم فعل ذلك قبل أن يدركهم الأجل فلا يستطيعون فعل ذلك فيندمون ويتحسرون على عدم إقدامهم على فعل ذلك العمل التطوعي.

١٨- قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿ وَأَنفِقُواْ ﴾ من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة... فمن وقاه الله شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب»[(١)].

فالمسلم يجب عليه أن يتخلص من شُحِّ نفسه وبخلها، وينفق في وجوه العمل التطوعي.

والآية القرآنية تأمر بالإنفاق على العمل التطوعي والأمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف ولا صارف له هنا فدل ذلك على وجوب البذل التطوعي وعدم الخوف من النقص بسبب الصدقة وترك صفة مذمومة في الإنسان وهي البخل لتصبح النفقة والعطاء بالمال والعمل صفة ملازمة للإنسان المسلم.

١٩- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

قال ابن سعدي في تفسير هذه الآية: «﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ من زكاة وصدقة ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الذي يتعرض للسؤال، و﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفطن له فيتصدق عليه»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص٨٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ابن سعدي. ص٨٨٧.

فهـذه الآية بينـت أن من صفات المؤمنيـن أنهم يجـودون بأموالهم على المحتاجين من البشر، ويخرجون جزءًا من أموالهم لذلك، وفي هذا دليل على مشروعية الإنفاق في أعمال الخير.

وهـذا الإنفاق عمل تطوعـي إذا كان من باب الصدقـة لا الزكاة فيخفف المسلم عن أخيه المسلم المحروم لضيق يده بالإنفاق عليه والتبرع له.

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

قال ابن سـعدي في تفسـيره: «﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله تعالى على محبة نفوسـهم، ويتحرُّون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم ﴿مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا جزاء ماليًا ولا ثناء قوليًا»[(١)].

وهنا يتحدث القرآن عن صفة إنسانية سامية لا توجد إلا في قلة من الناس، وهـم الذيـن يؤثرون الفقـراء والمسـاكين، فيتبرعون لهم وينفقـون عليهم مع حبهـم الغريزي للمال لكنهم يتغلبون على هذه الغريزة ويتسـامون عليها طلبًا للأجر من الله وابتغاء مرضاته.

٣- جاءت آيات تحث على الجهاد في سبيل الله:

- قولـه تعالـى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص٩٠١.

قال ابن سعدي: «﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها[1] مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ هذه المضاعفة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها موقعها»[2].

وهذا تأكيد من الله بمضاعفة ثواب الإنفاق، حيث يتضاعف الأجر إلى سبعمائة ضعف، ففي الآية حث على الإنفاق التطوعي، ومساعدة الناس بهذه النفقة والتخفيف عنهم، وأشار الله بعد ذلك إلى أن الإنفاق يجب أن يكون بكل حب ورغبة وقناعة ورحابة صدر، حتى لا يؤذوا مشاعر من تصدقوا عليهم في إنفاقهم، حين يشعرون أنها متبوعة بمنٍّ أو احتقار، أو شعور بالتفضل عليهم، أو شعور بالفوقية عليهم كذلك.

هذه أبرز الآيات التي تتحدث عن الإنفاق التطوعي، مع دخول الإنفاق الواجب من باب أولى لتؤكد هذه الآيات حرص الشريعة على فعل الخير والتعاون عليه، من القادر لغير القادر، ومن الغني للفقير، ومن القوي للضعيف، ليحصل الترابط والوئام داخل المجتمع وليتحقق التوازن الذي أراده الله بين أفراده، بين قادر تعب في الكسب ومحتاج لا يبخل بالدعاء فلتلتقي حبات العرق مع أكف الدعاء لتخلق عجينة مجتمع يوصف بالتميز وأنه مجتمع مسلم.

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب سامحة به لأن الضمير يعود على الإنفاق وهو مذكر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص١١٢-١١٣

۞ المطلب الثاني: أمثلة من القرآن الكريم على العمل التطوعي:

هنـاك آيات ذكـر الله فيها أمثلة علـى عمل التطوع أذكرهـا كنماذج قرآنية لتحقيق العمل التطوعي سـلوكًا، بعد أن ذكـرت الآيات التي حثت على عمل التطوع على إطلاقه ورغبت فيه، وبينت الأجر من الله على ذلك.

١- **تطـوع موسـى عليه السلام** في سـقيه لغنـم الفتاتين حين رآهمـا تنتظران عند البئر، حتى ينتهي الناس من سُـقيا أغنامهم، ولقـد حكاها القرآن بما لا يحتاج معـه لبيـان فقـال الله تعالـى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤].

قال ابن سـعدي: «﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غيـر وجه الله تعالى، فلما سـقى لهما وكان ذلك وقت شـدة حر وسـط النهار بدليل قوله ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ ﴾ مستريحًا لذلك الظلال بعد التعب»(١).

وهـذا عمل تطوعي من نبـي من أنبياء الله قام به رغبـة بالأجر من الله فهو أقدم عليه ولـم يطلب منه ذلك وكذلك قام به مع مشـقة تلحقه من حر الشمس ووهجها ولكنه حب فعل الخير للغير فهو سنة الأنبياء وعباد الله الصالحين.

٢- **والمثال الآخر هو تطوع الخضر في قصة موسـى عليه السلام**، حيث تطوع في بناء الجدار لكي يحمي الكنز الذي تحته، وهذا تطوع في فعل الخير معتمد على الجهـد البدني، قـال تعالـى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي.. ص٦١٤.

﴿تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الذي أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين عُدِما أباهما، وحفظهما الله أيضًا بصلاح والدهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجانًا»[١] فهذا عمل تطوعي تبعه جهد بدني في بناء الجدار لكنه أراد من وراء ذلك طلب الأجر من الله والرحمة بهذين الغلامين الصغيرين لمستقبل قادم ينتظرهما حين العثور على كنزهما.

٣- **والمثال الثالث هو تطوع ذي القرنين ببناء السد**، حيث تطوع بدون أجر ببنائه كما أخبرنا الله بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥].

قال ابن سعدي: «﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جُعلاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بُنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان مقصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من

(١) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٤٨٣.

المصلحـة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم»[1].

فكان عمل ذي القرنين مثالًا للتطوع في فعل الخير، حيث أنه صنع لهم السد ولم يقبل منهم أجرة على ذلك، مع عرضهم ذلك عليه، لكنه أراد الأجر من الله في عمل هذا السد، وإبعاد شر يأجوج ومأجوج عنهم فدل ذلك على أن العمل التطوعي هو من شرائع الأنبياء ومن أعمال المتقين.

٤- المثال الرابع: كفالة زكريا لمريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال ابن سعدي عند تفسير هذه الآية: «... لأن الله قيَّض لها زكريا عليه السلام ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها»[2].

وقال الشوكاني: «﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي ضمها إليه وقرأ الكوفيون ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بالتشديد أي جعله الله كافلًا لها وملتزمًا بمصالحها»[3].

والكفالة أمر تطوعي قام بها زكريا عليه السلام، قاصدًا بذلك الأجر من الله تعالى بعد أن وهبتها أمها لله وعبادته وفاء لنذرها الخالص لله سبحانه الذي لا يشوبه

(١) مرجع سابق ابن سعدي. ص٤٨٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي ص١٢٩.
(٣) فتح القدير. الشوكاني (١ / ٣٦٩).

شيء من أمر الدنيا والذي كانت تريد أن يكون مولودها خادمًا للكنيسة.[1]

وهذا دليل على أن العمل التطوعي -وهو الكفالة هنا- من أعمال الأنبياء عليهم السلام.

٥- المثال الخامس: تفسير يوسف عليه السلام الرؤيا للسجينين اللذان كانا معه، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧].

قال ابن سعدي عند تفسير هذه الآية: «﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾ أي بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا بتعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه»[2].

فيوسف عليه السلام تطوع في تفسير الرؤيا ولم يكن ذلك واجبًا عليه.

فهذا عمل تطوعي من نبي كريم ليكون أسوة وقدوة لنا في صنع الخير للآخرين دون مقابل أو تفكير دنيوي... **وفي هذه الأمثلة إشارة قرآنية إلى أن التطوع أمر مشروع شرعًا وطبعًا وعقلًا.**

(١) انظر: مرجع سابق. الشوكاني (١. / ٣٦٨.)

(٢) تيسير الكريم الرحمن. ابن سعدي. ص٣٩٨.

الخاتمة

بعد التطواف بين هذه الآيات القرآنية وتفسيرها حول العمل التطوعي خرجت بنتائج كخاتمة لهذا البحث وهذه أبرزها:

١- حث القرآن على العمل التطوعي في آيات كثيرة جعلت هذا الباب يكاد يصل لدرجة الوجوب أو هو من أفضل القرب والطاعات المستحبة.

٢- ضرب القرآن أمثلة حية تبين مدى حرص القرآن على العمل التطوعي ومحاولة الاقتداء بتلك الأمثلة لتحقيق الصالح العام للفرد والمجتمع فمثَّل بيوسف عليه السلام، وبموسى عليه السلام، وبزكريا عليه السلام، وبالخضر وبذي القرنين كل ذلك استشعارًا بوجود قدوات وأمثلة حية يقتدي بها الإنسان المسلم في حياته، ويترسم خطاها بالقيام بالعمل التطوعي.

٣- أن القرآن لم يكتفِ بطلب القيام بالعمل التطوعي بل حثَّ على المسارعة لفعله والتسابق لذلك بين المؤمنين.

٤- أن دائرة التطوع واسعة وغير محصورة بنموذج معين بل هي شاملة لكل ما يحقق خدمة الناس والسعي في تحقيق مصالحهم.

٥- أرشدت الآيات القرآنية إلى أن العمل التطوعي مضاعف أجره وثوابه.

٦- أشار القرآن إلى أن العمل التطوعي يجب أن يُصنع بكل حب ورغبة ورحابة صدر؛ حتى لا يؤذي المتطوع مشاعر من تطوع في خدمته؛ إذا أتبعها بمنٍّ وشعور بالتفضل عليه وهي تربية أخلاقية قرآنية سامية ترتقي بالإنسان إلى أقصى ما يحقق إنسانيته.

٧- الآيـات القرآنيـة عالجت مشـكلة القلق النفسـي - الذي قد تعيشـه النفـس الإنسـانية- حين الإنفاق علـى العمل التطوعي بالخـوف من الافتقار وذلـك ببيـان أن ذلك من وسـاوس الشـيطان وأن الله سـوف يعوض صاحب ذلك العمل تطهيرًا لذنوبه وإحسانًا له في الدنيا والآخرة.

٨- بيَّـن القـرآن الكريـم أن الإنسـان المتطـوع هو المسـتفيد مـن عمله التطوعي أكثر من استفادة المتطوَّع عليه وذلك لأن العمل التطوعي يعود على المتطوع بالأجر والثواب فيكون هو المستفيد حقيقة من تطوعه.

٩- أن القرآن الكريم بيَّن أن ما ينبغي إنفاقه وصرفه في العمل التطوعي هو أفضل ما عند الإنسان وأغلاه وأثمنه وأحبه إلى نفسه.

١٠- بيَّـن القرآن الكريـم أن العمل التطوعي منه ما يكـون علانية ظاهرًا للنـاس لتحصـل به القدوة ومنه ما يكون في السـر بعيدًا عـن حظوظ النفس في الثناء وكلاهما محبوب عند الله ومأجور عليه.

١١- أن القـرآن الكريم بيَّن أن ما ينفقه الإنسـان تطوعًا فإنه مُعَوَّض عليه من الله سواء كان هذا التعويض ماديًا أو جسديًا أو معنويًا.

١٢- بيَّـن القرآن الكريم أن العمل التطوعي مدرسـة يتعود الإنسـان فيها على العطاء والبذل ويتخلص بسبب تلك المدرسة من الشح والبخل.

خرج الباحث من بحثه هذا بتوصيات ينبغي ذكرها لكي تتبنى الجهة المسؤولة في كل قطاع مسؤوليتها حول هذا العمل التطوعي الإنساني النبيل وأبرز هذه التوصيات:

١- التأكيد على تضمين العمل التطوعي لمناهج التعليم والاستدلال عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح ليعرف الشاب المسلم أن شريعتنا السمحة هي من دعت إليه.

٢- وجوب الاستشهاد بسيرة الأنبياء -صلوات الله عليهم- وكذلك عباد الله الصالحين الذين كان العمل التطوعي لديهم حسًّا إنسانيًا غرسته شريعة الله وقربة إلى الله يؤجر عليها ليكونوا قدوة لشبابنا المسلم.

٣- أن العمل التطوعي يتحقق ولو بأقلِّ القليل من المال والجهد والوقت.

٤- وجوب التأكيد على خطباء الجمعة بأن يجعلوا خطبهم داعية ومحرضة على العمل التطوعي كشعيرة إسلامية تؤجر عليها من الله تعالى.

وبهذه الخاتمة أكون قد ختمت بحثي راجيًا من الله القبول والتوفيق، فإن أصبت فمن توفيق الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

....

المصادر والمراجع

١. تنظيم المجتمع. د. أحمد كمال أحمد القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٧٢م.

٢. علماء نجد خلال ستة قرون. ابن بسام. ط١ . مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة ١٤٠٠هـ.

٣. جامع البيان في تفسير القرآن. ابن جرير الطبري بيروت: دار الفكر. ١٤٠٥هـ..

٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ابن سعدي. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ.

٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط١. ١٤١٨هـ.

٦. «العمل الخيري المؤسسي» دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية. د. عبدالله بن محمد المطوع. ط١. الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سلسة الرسائل الجامعية. ١٤٢٩هـ.

٧. ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها.. وكيف نعممها. عبد الكريم بكار القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. ١٤٣٣هـ.

٨. معجم مقاييس اللغة. ابن فارس ط١ بيروت. دار إحياء التراث العربي.

٩. معجم لغة الفقهاء. د. محمد رواس قلعة جي ود. حامد صادق قنيبي. ط١. بيروت: دار النفائس. ١٤٠٥هـ

١٠. مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الطاهر بن عاشور ط١. تونس. مكتبة الاستقامة. ١٣٦٦هـ

١١. القطاع الثالث والفرص السانحة. د. محمد عبدالله السلومي. ط١. بدون ناشر. ١٤٣١هـ

١٢. لسان العرب. ابن منظور ط٣. بيروت: دار صادر. ١٤١٤هـ.

١٣. معجم علم الاجتماع. ميشيل دنبكن. ترجمة إحسان محمد الحسين. بيروت: دار الطليعة. ١٩٨٦م

١٤ . **الفقه الإسلامي وأدلته**. د. وهبة الزحيلي.ط٢.. بيروت: دار الفكر. ١٤١٧هـ.

١٥ . **قوة التطوع. تطبيقاته السعودية**. د. يوسف بن عثمان الخزيم. من دون تاريخ.

المجلات والدوريات:

١ . **العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه**. عبدالحكيم بن محمد بلال.. مجلة البيان. العدد١٤٣. رجب. ١٤٢٠هـ

٢ . **ثقافة العمل التطوعي لدى الشباب السعودي**. د. عثمان بن صالح العامر. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد السابع. ١٤٢٧هـ.

مؤتمرات علمية:

١ . **دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية المؤتمر الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية**. د. مانع الجهني. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. بتاريخ ٢٨-٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م.

٢ . **العمل التطوعي. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية**. معجب الحويقل. الرياض. بتاريخ ٢٥-٢٧/ ٩/ ٢٠٠٠م.

مواقع على الانترنت:

١ . **العمل التطوعي من منظور عالمي. ٢٠٠١م**. إبراهيم حسن.بحث منشور على شبكة الانترنت عبر *http: //www. saaid. net/anshatah/dole. htm*

٢ . **المنظمات الخيرية**: الواقع وآفاق التطوير. محمد ناجي بن عطية بحث منشور على موقع الإسلام اليوم. ١٠ محرم ١٤٢٨هـ.، وهو ملخص لدراسة ميدانية غير منشورة قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء. اليمن. ٢٠٠٦م.

....

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الرابع

المُنهج القُرآني في عَرضِ اقتِراحاتِ المُعاندينَ والرَّدِّ عليها دِراسةٌ تحليليةٌ موضوعيّة

د. عَليّ بنُ حَميد السِّناني

أستاذ مشارك في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- حاصل على درجة الماجستير تخصص تفسير وعلوم قرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عبر اطروحته: تحقيق جزء من مخطوطة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للعلامة الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣) وهي عبارة عن حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري.
- حاصل على درجة الدكتوراه تخصص تفسير وعلوم قرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عبر اطروحته: اختيارات الإمام الشوكاني في المعاني التفسيرية من خلال كتابه: فتح القدير، من أول الكتاب إلى آخر سورة الإسراء، دراسة تحليلية.

النتاج العلمي:

- المواضع المنهي عن الصلاة فيها (بحث في الفقه).
- الاتحاف في بيان أن الناس لم يخلقوا للإختلاف (بحث تفسيري).
- خلاصة أقوال المفسرين في الرد على منكري رؤية رب العالمين.
- تنبيه أولي الالباب إلى متعلق ثناء القران على طائفة من أهل الكتاب.

البريد الالكتروني: dr.alialsenani82@gmail.com

مستلخص بحث

أهداف البحث:

١- إلقاء الضوء على أسـلوب القرآن في إبطال حجج المعاندين بالحجة والبرهان.

٢- الإفـادة من العرض القرآني لآيات الاقـتراح في مجال الدعوة، فإن ما يجده الدعاة من عتو وعناد إنما هو سنة ماضية،فعلى الداعية أن يثبت ولا يثنيه إصرار المعاندين باطلاً.

٣- معرفـة ما جُبـل عليه أولئك المعاندون من إصـرار على الباطل مهما ظهر لهم من الآيات.

٤- إبـراز التبايـن بين موقف المؤمنيـن والمعاندين عنـد ظهور الآيات، فالمؤمنـون يـزدادون بهـا إيمانـًا،بينما يـزداد بها المعانـدون بعداً عـن القبول والإذعان، وغيره.

ويُعنى البحث بالوقوف على منهج القرآن في عرض اقتراحات المعاندين وردها وفق منهج استقرائي موضوعي للمادة العلمية وجمعها وتحليلها ووضع عناوين مناسـبة لها،وقد أُسـتهل البحث بتمهيد تضمـن تعريف آيات الاقتراح وبيان أن ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس لبيان الحق لهم،ويستعرض البحث في خاتمته أهم النتائج:

١- أن المعاندين لا حيلة في اقناعهم،لأن مقصودهم مجرد العناد لا طلب الحق،فلا يجدي معهم كثرة الآيات.

٢- بيـان سـعة رحمة الله بأولـئك المعانديـن فقد أمهلهم فلـم يعاجلهم بالعقوبة،ولم يجبهم رحمة بهم.

٣- بيان صفاء معادن الصحابة الكرام فإنهم لما ظهر لهم الحق لأول مرة قبلوه بدون اشـتراط على ربهم، إذ لم يربطوا إيمانهم بظهور آيات يشـترطونها على ربهم.

٤- بيان سـوء أدب أولئك المعاندين مـع الله تعالى، فليس من الأدب أن يشـترط المكلف على ربه شـروطًا يربط بها إيمانه، بل واجبه أن يقول: اللهم بيّن لي الحق وأرشدني لاتباعه، فهو تعالى أعلم بما يصلح عباده.

٥- ماعقّـب الله تعالـى بـه علـى اقتراحات أولئـك المعانديـن تبين عدم أحقيتهم في اقتراحاتهم.

٦- لـم ينزل من الآيات المقترحة إلا المائدة، فقد نزلت كما طلبوا، فلما كفروا بها حل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم.

ثم ختم البحث بفهارس علميه تقرب محتواه.

الكلمات المفتاحية:

منهـج القرآن الكريم الاقـتراح، أهل الكتـاب، المعاندين، المعجزات، عـدم الانتفاع، نماذج من آيات الاقتراح، التعنت والإصرار، الكفر، في إفحام المقترحين.

المقدمة

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد، الحي القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام، المتكلم بالقرآن، الخالق للإنسان، المنعم عليه بالإيمان، المرسل رسوله بالبيان، محمدًا ﷺ ما اختلف الملوان[(١)]، أرسله بكتابه المبين، حجةً على العالمين، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، جعل أمثاله عِبرًا لمن تدبَّرها، وأوامره هدًى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرَّق فيه بين الحلال والحرام، وضرب فيه الأمثال، وقصَّ فيه غيب الأخبار، وخاطب به أولياءه ففهموا، وبيَّن لهم فيه مراده فعلموا[(٢)]، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، خير من بين القرآن، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والإيقان،

وبعد:

فإن من تدبَّر كتاب الله تعالى وتأمَّله؛ سيجد فيه بغيته وربيع نفسه وقُرَّة فؤاده، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، إذ ما من شيء إلا وفي كتاب الله عنه خبر وبيان، ومن هنا فالاشتغال بِبَيان القرآن وتدبُّر معانيه، والوقوف عند حكمه وأحكامه -من أجلِّ المهام وأسنى المطالب، وقد رأيت أن من الموضوعات التي حوتها دفَّتا هذا الكتاب العزيز موضوع

(١) الليل والنهار. ينظر: العين (٨/ ٣٤٤)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٤)، معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٢).

(٢) اقتبست بعض هذا التقديم من مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

المشركين والمعاندين، والجِدال معهم وبيان سوء سيرتهم وأدبهم مع ربهم -جل وعلا- ومع كتبه وأنبيائه وعباده المؤمنين، فرغم ما أظهره الله تعالى من البيِّنات والمعجزات، والبراهين التي أيَّد بها الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام، إلا إن فئة من المعاندين والمكابرين أداروا لتلك البينات والمعجزات ظهورهم، فلم يلقوا لها بالًا، فبدلًا من أن يستدلوا بها على الحق؛ ومن ثَمَّ يقبلونه إن ظهر لهم، لكنهم أخذوا يشترطون على ربهم العديد من الآيات، زاعمين أنهم سيؤمنون ويتابعون، والحقيقة أنهم لو ظهر لهم من البينات عدد نجوم السماء؛ فإنهم لن يزدادوا إلا عنادًا وإصرارًا على سلوك اللَّجاج والمحاجَّة بالباطل؛ لذلك أحببت أن أتطرَّق إلى بعض جزئيات هذا الموضوع، وهو إبراز منهج القرآن الكريم في الرد على مقترحي الآيات؛ بعرض وتحليل نماذج من آيات الاقتراح التي اقترحها أولئك المعاندون على ربهم، وجعلوها شرطًا لإيمانهم في زعمهم، وقد جعلته بعنوان: **«المنهج القرآني في عرض اقتراحات المعاندين والرد عليها، دراسة تحليلية موضوعية»**.

أهمية الموضوع وسبب اختياره: وأحسب أن لدراسة هذا الموضوع فوائد جمَّة؛ منها:

- الاستفادة من أسلوب القرآن الكريم في إسكات المعاندين وإبطال حُجَجِهم بالحجَّة والبرهان.
- الإفادة من هذا العرض القرآني لآيات الاقتراح في مجال الدعوة.
- معرفة ما جُبل عليه أولئك المعاندون من إصرار على الباطل ورفض للحق مهما ظهر لهم من الآيات والبينات.

◈ تسـلية الدعاة؛ فإن ما يجدونه مـن المعاندين إنما هو من جنس أفعال مَن سبقهم، فعلى الداعية إذن أن يثبت ولا ينثني لما يجد من تصلُّب في الباطل وعناد من أولئك المعاندين.

◈ إبـراز التبايـن بيـن موقـف المؤمنيـن والمعانديـن عند ظهـور الآيات، فالمؤمنون يزدادون بها إيمانًا، بينما يزداد بها المعاندون بعداً عن القبول والإذعان.

وغير ذلك من الفوائد.

الدراسات السابقة:

موضوع الجدال مع المشـركين ومحاجة المعانديـن وإقامة الحجة على أهل الكتاب وبيان تأييد الله تعالى لرسـله شـغل حيِّزًا في الكتاب العزيز، ومن الطبيعـي أن يُتعـرض له مـن جوانب متعـدِّدة، وهناك جزئيات مـن الموضوع مبثوثة عبر الشـبكة العنكبوتية، لكنه في الحقيقة عبارة عن حطب ليل لا يُعتمد عليه غالبًا، ومن خلال البحث عن جهود سـابقة مماثلة في الموضوع، مما هو عبارة عن عمل بحثي؛ وجدت ما يلي:

١- **المقولات التي أبطلها القرآن الكريم ومنهجه في إبطالها**، وهي رسـالة دكتوراه، من إعداد الطالب: وليد بن عبد المحسـن العمري، نوقشت بجامعة الملك سـعود، وطبعها كرسـي القـرآن الكريم وعلومه فيها، سـنة:١٤٣٦هـ، وموضوعي خاص بالاقتراحات.

٢- **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، للدكتور: حمود بـن أحمد بن فـرج الرحيلي، من منشـورات عمادة البحث العلمـي بالجامعة الإسـلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، وعقـد المصنف فيه مبحثًا

أسماه: إعناتهم للرسول ﷺ بطلب المعجزات والخوارق، وتحدَّث فيه باختصار عن جانب من المعجزات التي اقترحوها.

٣- الإعجاز البياني في آيات الاقتراح في القرآن الكريم، للباحث: أحمد محمد شتيوي منشور عام ٢٠١٢، وقد ركّز الباحث على الإعجاز البياني والسمات البلاغة للردود القرآنية.

٤- كفار قريش وآيات الاقتراح، دراسة في ضوء القرآن الكريم، للباحث سليمان السويكت، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٠ هـ، وكما يظهر من عنوان البحث فإنه لم يتعرض لما اقترحه غير كفار قريش.

وسيكون سيري في هذه البحث المختصر وَفق الخُطَّة التالية بإذن الله، راجيًا من ربي التوفيق والإعانة والتسديد، فهو خير معين وهو حسبي ونعم الوكيل.

خُطة كتابة البحث:

يتكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمَّن: أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج كتابة البحث.

التمهيد: ويتضمَّن:

التعريف بآيات الاقتراح.

ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس.

حُكم اقتراح الآيات على الله.

الفصل الأول: تباين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف المؤمنين والمعارضين حِيال الآيات.

المبحث الثاني: أسباب عدم الانتفاع بالآيات.

الفصل الثاني: عرضٌ مُجمَلٌ لنماذج من آيات الاقتراح التي طلبها المعاندون؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اقتراحات أهل الكتاب.

المبحث الثاني: اقتراحات المشركين.

الفصل الثالث: المقترحون والإصرار على الكفر؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مظاهر التعنُّت والإصرار على الكفر واقتراحات المعاندين.

المبحث الثاني: من سمات منهج القرآن الكريم في إفحام المقترحين.

الخاتمة: وتتضمَّن أهم نتائج البحث.

منهج كتابة البحث:

- استقراء المادة العلمية المتعلِّقة بالموضوع، وجمعها وتحليلها، ووضعها تحت عناوين مناسبة لها وفق منهج تحليلي استقرائي موضوعي، وقد اكتفيت بذكر نماذج من الاقتراحات التي وردت في القرآن الكريم؛ وذلك مراعاة للاختصار؛ ولأن الغرض التمثيل لا الاستقصاء، وأحسب أن فيما جمعته كفاية لإيضاح الفكرة؛ وهي بيان منهج القرآن في عرض اقتراحات المعاندين والرد عليها، ودراسة بعض ما جُبِل عليه أولئك المعارضون من عناد وتصلُّب في الكفر، ومباهتة للحق.

◈ التعريـف بالمفـردة اللغوية، وغير ذلك مما أرى ضـرورة بيانه، ومما تتطلَّبه المعالجة البحثية للموضوع باختصار.

◈ كتابة الآيات القرآنية بالرسـم العثماني بين قوسـين مزهرين، وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع السير مع ترتيب الآيات والسور الكريمة في المصحف الشريف.

◈ التوثيـق العلمـي لأقـوال المفسـرين؛ من خـلال الرجـوع إلى كتب التفسـير، مع بيان طريقتي في الإفادة، وسـوف أسـير مع المفسـرين من خلال كتبهـم عند الإحالات دون توسُّـع واسـتقصاء لبحث المسـائل خـارج كتب التفسـير، وعند الإحالة، قد أُحيل إلى اسـم المؤلف؛ فأقول مثلًا: انظر تفسـير الطبري، وقد أحيل إلى اسـم الكتاب، فأقول مثلًا: انظر جامع البيان؛ لأن كلا المنهجين أراه يؤدّي المطلوب.

◈ تخريـج الأحاديـث والآثار الـواردة في البحـث تخريجًـا علميًّا؛ من خلال الرجوع إلى كتب السـنة، فمـا كان في الصحيحين أو في أحدهما خرَّجته منهمـا، وما لـم يكن في الصحيحين؛ فإننـي أذكر كلام النقـاد المعتبرين حوله صحَّة وضعفًا.

التعريف بما يحتاج إلى تعريف.

تذييل البحث بفهارس علمية تُقرِّب محتواه.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

....

التمهيد

تعريف آيات الاقتراح

المقصود بآيات الاقتراح: تلك المطالب التعجيزية التي تَقدَّم بها المعاندون لإحراج المُطالب، حسدًا وبغضًا له[1]، أو هي ما اقترحه المعاندون والمعترضون للوحي على ربهم من آيات، ليريهم إياها؛ ليؤمنوا على زعمهم.

❁ ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس ليعرفوا الحق ويقبلوه:

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأظهر المعجزات وأبان السبيل، كل ذلك لبيان الحق وإقامة الحجة على العباد، فمن شاء الله له الهداية فقد اهتدى، ومن شاء إضلاله فقد غوى وضل وتاه عن الطريق القويم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال ﷺ في هذا المعنى: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[2]، وحينئذ فقد ظهر الحق لمن كان مريدًا الحق، أما من كان معاندًا مصرًّا على الإعراض؛ فلا تجدي معه كثرة الآيات وتنوعها، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ

(١) المعجم الوسيط (قرح)، وراجع رسالة الإعجاز البياني في آيات الاقتراح في القرآن الكريم، ص ٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٦/ ١٨٢/ ٤٩٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٤/ ١٥٢).

كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. وغير ذلك مما جاء في هذا المعنى من آيات الكتاب العزيز، فهذا الإباء والرفض والاستمرار على العِناد لم يكن بسبب خفاء الحق وعدم وضوحه، وإنما كان لعيب في النفوس، فهناك فئة من أهل العناد والاستكبار والإباء والعتو لم تُطِق نفوسهم الاستجابة لدين الله، متعللين بعلل وحجج كثيرة، أتى القرآن الكريم على الكثير منها، ومجملها إنما هو بسبب استحكام الهوى في النفوس، ورافق ذلك حب الدنيا والرياسة والتعالي على الخَلْق، فهذا ممهِّد للإعراض والتولي مهما بُذل من جهود في سبيل بيان الحق، وكم ورد في كتاب الله من تلك المعاذير الباطلة للاستمرار على الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وغيرها من الآيات في هذا المعنى، ولإمعان أولئك المعارضين المعاندين في الصلف والعناد، فقد أخذوا يشترطون على ربهم ظهور آيات ومعجزات لكي يؤمنوا بزعمهم، ومن هذه الاقتراحات الباطلة والاشتراطات ما سيأتي بيانه في الفصل الأول[1] بإذن الله.

حكم اقتراح الآيات على الله ﷻ:

إن مما لا ريب أن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أعلم بما يصلح عباده ويقيم أحوالهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وغير ذلك من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة في هذا المعنى، إذن فمن أراد الله تعالى به الخير هداه إلى القبول، ومن أراد الله إضلاله وَلَج باب العناد واللجاج؛ فحلَّ

(١) (سيأتي ص١٠).

بهم العقاب المؤلم عاجلًا أم آجلًا، وليُعلم أن في تغليظ العقاب لمقترحي الآيات تحذيرًا من سلوك سبيلهم، ولا ريب أنه ليس من الأدب مع الله تعالى التقدُّم بين يديه باقتراح الآيات، كما إن الإصرار على الكفر بعد ظهور ما يوجب الإيمان وظهور المعجزات مما هو سبب لنزول أشد العذاب قال الله تعالى: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال ابن كثير: معقِّبًا على تنزيه الله تعالى لنفسه العلية على إثر اقتراح المشركين جملة من الاقتراحات أي: سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وتقدَّس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعّال لما يشاء، إن شاء أجابهم إلى ما سألوا، وإن شاء لم يجبهم، وما محمد ﷺ إلا رسول إليهم مبلغ رسالات ربه ناصح لهم، وقد فعل ذلك، وأمرهم فيما سألوه إلى الله ﷻ[(١)].

قال الواحدي[(٢)] عند قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]: وإنَّما أخذتهم الصَّاعقة لأنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسى عليه السلام بعد ظهور معجزته حتى يُريهم ربَّهم جهرةً، والإيمانُ بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليه؛ فلهذا عاقبهم الله تعالى، وهذه الآية توبيخٌ لهم على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة[(٣)]، وقال الشوكاني: وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم؛ لأنهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٢١) بتصرف.

(٢) الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير)، صنَّف التفاسير الثلاثة: (البسيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز)، وبتلك الأسماء سمى الغزالي كتبه الثلاثة في الفقه. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٤٠)، طبقات المفسرين للسيوطي (٧٨)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٩٤).

(٣) الوجيز (١/ ١٠٦).

طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤيته في الدنيا، وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة، وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا: أن العقل قد حكم بها، وهي دعوى مبنيَّة على شفا جُرُف هارٍ، وقواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب، وما تمسَّكوا به من الأدلة القرآنية فغير مسلَّم، وكلها خارج عن محل النزاع، بعيد من موضع الحجة[1].

قلت: إذن تقرَّر أن عدم الإيمان بالآيات إنما هو سبب لنزول العقاب العاجل، ولتعلم أن هذا إنما يكون عند الكفر بآية معينة، دون الكفر والتكذيب بمطلق الآيات، فإن الله تعالى يعاجل المشركين بالهلاك إذا كذبوا بالآية المعينة التي طلبوها، أما إذا لم يطلبوا آية معيَّنة، وإنما طلبوا جنس الآيات كما قال فرعون لموسى: ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، فإن الله لم يعاجلهم بالهلاك على تكذيبهم، بل يمهلهم ويعطيهم الفرصة لعلهم يرجعون عن غيِّهم، وربما أشكل على هذا كيف نجمع بين هذه الحقيقة الثابتة في القرآن؛ وهي أن الكفر بالآيات بعد نزولها يوجب نزول العذاب العاجل، وبين ما حصل لمشركي قريش، فإنهم لم يؤمنوا ببعض المعجزات والآيات التي أظهرها الله تأييدًا لنبيه ﷺ، ومع ذلك لم يعاجلوا بالعذاب، وقد أراهم القمر شقين كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ويُجاب عنه: أنه ليس في الأحاديث أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يشقَّ لهم القمر شقين، بل سألوا آية غير معينة، ولأجل ذلك لم يكن لزامًا أن يحل بهم العذاب لما

(١) فتح القدير (١/ ١٠٣).

كذبـوا[١]، وقد يقال أيضًـا: إن الله تعالى رحم هذه الآمَّـة، فلم يحل بها عذاب استـئصال كما حل بالأمم السابقة؛ كما وقع بقوم صالح، وعلى كل حال، فإن رحمة الله تعالى بأولئك المقترحين عظيمة، فسـبحانه ما أحلمه وما ألطفه وما أكثر شـفقته ورحمته بعباده كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧]، قـال الحافظ ابـن كثيـر -رحمـه الله تعالى-: أي هو تعالـى قادر على ذلـك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وَفق ما طلبوا، ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة، كما فعل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسـراء: ٥٩]، وقـال تعالـى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤][٢].

وقـال في اللبـاب: معنـاه: لـو أعطاهم مـا طلبوا من المعجـزات القاهرة، فلـو لـم يؤمنوا عند ظهورها لاسـتحقّوا عذاب الاسـتئصال، فاقتضت رحمته صونهـم عن هذا البلاء، فما أعطاهم هذا المطلـوب رحمةً منه -تعالى- لهم، وإن كانـوا لا يعلمـون كيفية هذه الرحمة، ثم إنه -تعالى- علم منهم أن طلبهم هذه المعجـزات لأجل العناد لا لطلب فائدة، وعلم أنـه -تعالى- لو أعطاهم مطلوبهم لم يؤمنوا، فلهذا السـبب ما أعطاهـم؛ لأنه لا فائدة في ذلك[٣]. قلت:

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب، *http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=sh owfatwa&Option=FatwaId&Id=333415* عبر الشبكة العنكبوتية.

(٢) تفسير القرآن العظيم بتصرف (٣/ ٢٣٥).

(٣) اللباب لابن عادل بتصرف (٨/ ١٢٢).

وهذا من جنس رحمته تعالى بعباده، فمظاهر الرحمة بالناس كثيرة جدًّا، ومن ذلك عدم المعاجلة بالعقوبة، وعدم التكليف بما لا يُطاق، والاستعطاف ببيان سعة رحمته للمعرضين رغم توليهم، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢]، ولا يهلك على الله إلا هالك، فاللهم اشملنا بواسع رحمتك وعظيم فضلك يا رب العالمين.

....

الفصل الأول

تباين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات

وفيه مبحثان:

۞ المبحث الأول: موقف المؤمنين والمعارضين حِيال الآيات:

قد تباينت مواقف المؤمنين والمعاندين حيال الآيات والمعجزات والبراهين التي أظهرها الله تعالى في كتابه وعلى أيدي رسله الكرام لبيان الحق، ودحْر الباطل وإزهاقه، فقد ذكر الله تعالى في كتابه موقفين متباينين حِيال تلك الآيات والمعجزات عمومًا، سواء المقترحة أم غيرها، فالمؤمنون يزدادون برؤية الآيات إيمانًا ويقينًا، وذلك حينما أنزلوها المنزلة اللائقة بها، وفي المقابل ازداد المعاندون بظهور الآيات بُعدًا، عياذًا بالله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فقد وصف الله تعالى من خلال الآية الحالين، قال الإمام البغوي -رحمه الله تعالى-: وفيه أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾، وفي المقابل يزداد الآخرون مرضًا، كما قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شك ونفاق ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾، كفرًا إلى كفرهم، فعند نزول كل سورة ينكرونها ويزدادون بها كفرًا[(١)].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١١٤)، وحكي عن مجاهد: هذه الآية إشارة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيمانًا، وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في

من مسائل الآية الكريمة: اعلم أن في هذه الآية الكريمة دليلاً على مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حُكي الإجماع على ذلك غير واحد[(١)]، قلت: وهذه الحقيقة المقرَّرة في الآية الكريمة، أي التفريق بين حالي المؤمنين والمعاندين حيال الآيات، وأنهما لا يستويان، مبسوطة في آيات كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

فقد نفع الله تعالى بظهور هذه الآيات أو المعجزات من أراد له الهداية، وأما من أراد الله تعالى له الشقاء عدلًا، فإنه لا يستفيد بظهور الآيات والمعجزات إلا بعدًا، كما قال ابن كثير رحمه الله: وهذا من جملة شقائهم، أن ما يهدي القلوب يكون سببًا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غُذي بما غُذي به لا يزيده إلا خبالًا ونقصًا[(٢)].

القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد السواد؛ حتى يسود القلب كله، وقد بحث عن هذه الآثار التي حكاها عمن ذكر فلم أجدها في مظانها، ومعنى لمظة: أي نكتة بياض، واللحظة بالفَرَس: بياض يكون بإحدى جحفلتيه. ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢١١).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٣٩). وقد ذكر هذه المسألة في أول البقرة وفي أول الأنفال قائلا: واستدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيَّنا ذلك مستقصًى في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة. انظر تفسير القرآن العظيم له ١/ ١٦٥، ٤/ ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٩.

قلت: فهناك تباين كبير بين الطائفتين والمنهجين في التعامل مع الآيات التي أظهرها الله تعالى في كتابة وعلى أيدي رسله لكرام، وهنا تظهر معادن المكلفين، فمن أراد الله له النجاة قبِل وانتفع واتعظ بهذه الآيات، كما قال تعالى عند ضرب الأمثال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وفي مقام الثناء في وصف المؤمنين عند سماع الآيات أو رؤيتها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]،وقال تعالى عند ذكر الأمثال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣]، وهكذا.

لكن الوضع مختلف مع الكفار والمعاندين، فإنهم يستقبلون الآيات بالسخرية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٣- ١٥]، أسند الإمام الطبري عن قتادة ومجاهد، قالا: يسخرون منها ويستهزئون [1]، قال في التحرير والتنوير: فالسخرية المذكورة في قوله: ﴿ويسخرون﴾ سخرية من محاجة النبي ﷺ إياهم بالأدلة، والسخرية المذكورة هنا سخرية من ظهور الآيات المعجزات، أي يزيدون في السخرية بمن ظنَّ منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم، ألا ترى أنهم قالوا: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] [2].

(١) جامع البيان ٢١/ ٢٤.
(٢) التحرير والتنوير (٢٣/ ٩٨).

المبحث الثاني: أسباب عدم الانتفاع بالآيات:

اعلم أن قسوة القلوب وغلبة الأهواء والحرص على الدنيا وأطماعها من أهم موانع الاستجابة والقبول، وكم نعى الله تعالى على أقوام أنهم لم تَرِقَّ قلوبهم عند مشاهدة الآيات رغم ظهورها، بل ازدادوا قسوة وبُعدًا، ومن ذلك ما عِيب عليه اليهود من قسوة قلوبهم رغم الآيات العجيبة التي رأوها، ومن أظهرها وأبينها قصة إحياء القتيل الذي وُجد ميتًا بينهم، فأُمروا بذبح البقرة لفض النزاع ومعرفة القاتل، وبعد عناء طويل ومحاولات مستميتة امتثلوا الأمر وذبحوا البقرة، وقد حكى الله عنهم ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١]، فأخذوا بعضًا من البقرة، فرموا به الجثة الهامدة؛ فقامت سميعةً بصيرةً بإذن الله، فدل ذلك الميت على قاتله، ثم رجع ميتًا كما كان، فسبحان الله! هذه الآية العجيبة التي رأوها عيانًا من أظهر الأمثلة على عظيم قدرة الله، وأن البعث حق لا مرية فيه، لكنهم بدلًا من أن ترق قلوبهم ويستفيدوا من هذه الآية التي رأوها، فقد ازدادت قلوبهم قسوة، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: هذا تضمن توبيخًا لبني إسرائيل، وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى، وإحيائه الموتى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ كله ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ التي لا تلين أبدًا، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] [1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٠٤، بتصرف.

وفي هذا السياق وهو عدم الاتعاظ والانتفاع بالآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢- ٤٤]، ففي الآيات تسلية للنبي ﷺ لئلا يحزنه إعراض قومه وتوليهم عنه رغم ما بذل لهم من النصح، فقد سبقهم من الأقوام ما بلغت بهم القسوة أنهم لم يلجؤوا إلى الله ولم يتضرعوا إليه حتى في حال الشدائد والصعاب، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ فلم يفعلوا، وذلك نتيجة لقسوة قلوبهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلما قست القلوب صار الجو مناسبًا للشيطان أن يوقعهم في المعاصي، فوقعوا بها حتى أُخذوا على غِرَّة، ذكر الله تعالى ذلك لئلا يُفعل مثل فعلهم؛ فيحل بالفاعل ما حل بهم.

ثم ليُعلم أن إسباغ النعم مع التمادي في المعاصي استدراج، فكما شنّع تعالى على أولئك الذين سلّى الله تعالى نبيه والمؤمنين بذكر ما حل بهم بأن قلوبهم لم تَلِنْ حتى مع الشدائد، فقد تضمنت الآية خبرًا آخر، وهو أن الله تعالى يعطي العاصي ويفيض عليه من مزيد النعم، من باب الاستدراج له(١)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء

---

(١) قال في الكليات: الاستدراج: هو أن يُعطي الله العَبْد كل مَا يُريده في الدُّنيا ليزداد غيُّه وضلاله وجهله وعناده؛ فيزداد كل يوم بعدًا من الله تعالى ١/ ١١٣ وبعضهم قال: استدراج الله تعالى العبد: أنه كلما جدَّد خطيئة جدَّد له نعمة، وأنساه الاستغفار، أو أن يأخذه قليلًا قليلًا، ولا يباغته. معجم الفروق اللغوية (١/ ٧٣)، القاموس المحيط (١/ ١٨٨).

ظهورهم، حينها فتحنا عليهم أبواب كل شيء، أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاءٌ لهم، عياذًا بالله من مكره؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾ أي: على غفلة ﴿بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير، عند الإمام أحمد: عن عقبة بن عامر(١)، عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾(٢) (٣).

قلت: من لم ينتفع بالآيات التي أظهرها الله تعالى بيانًا للحق وتأييدًا للرسل، فهو ليس بمؤمن، بل قد ألمَّ بقلبه حائل منعه من الاستفادة، ولعل ذلك يتبين من خلال ما سأعرضه في الفصل الثاني بإذن الله.

(١) عقبة بن عامر بن عبس الجهني، أبو حماد. صحابي مشهور، له رواية وفضل كان شجاعًا فقيهًا شاعرًا قارئًا، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن. توفي سنة ٦٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٦٨)، الاستيعاب (٣/ ١٠٧٣)، الإصابة (٤/ ٤٣٠)، الأعلام (٤/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد (١/ ١٠٩/ ٣٢١)، أحمد في مسنده (٢٨/ ٥٤٧/ ١٧٣١١). قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن. ينظر: (١/ ١٤٧٧)، وقال الألباني إسناده جيد ينظر: مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٣٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٦) بتصرف، واستطرد ابن كثير رحمه الله في ذكر الروايات عن مفسري السلف في معنى الاستدراج، قائلًا: قال الحسن البصري: «من وسَّع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتَّر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿يَعۡمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾، وقال الحسن أيضًا: مكْر بالقوم ورب الكعبة؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا. وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعيمهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون). وقال مالك، عن الزهري ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ قال: إرخاء الدنيا وسترها.

الفصل الثاني

عرض مجمل لنماذج من آيات الاقتراح التي طلبها المعاندون

وفيه مبحثان:

في هذا الفصل سأذكر بإذن الله تعالى نماذج من الاقتراحات الباطلة التي اقترحها المعارضون وشرطوها على ربهم، زاعمين أنهم سيؤمنون إن هم رأوها وظهرت لهم وفق اقتراحهم، وسأذكرها بحسب ورودها في المصحف الشريف، وعند التأمل في هذه الاقتراحات يمكن أن نقسمها إلى قسمين؛ اقتراحات أهل الكتاب، واقتراحات المشركين.

۞ المبحث الأول: اقتراحات أهل الكتاب:

١- طلبهم أن يروا الله جهرة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥]، اعلم أنه وإن كان غالب الآيات المقترحة إنما اقترحها المشركون بمكة، كما ستأتي الإشارة إليه في آخر الفصل، لكن هذه الاقتراح المذكور في هذه الآية إنما هي من قِبَل اليهود، إذ لا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت فيهم، كما قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-: يذكر جل ذكره اختلاف آبائهم -أي اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة معاينتهم من آيات الله -جل وعز- وعبره ما تثلج بأقلها الصدور، وتطمئن بالتصديق معها النفوس، وذلك مع تتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم، وهم مع ذلك مرَّة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهًا غير الله، ومرة يعبدون العِجْل من دون الله، ومرة

يقولـون: لا نصدقـك حتى نـرى الله جهرة، وأخـرى يقولون لـه إذا دعوا إلى القتـال: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ثم أسـند عن مجموعة من مفسري السلف قالوا: معنى ﴿جَهْرَةً﴾ أي: عيانًا[1].

٢- طلبهم أن يكلمهم الله وأن تأتيهم آية:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

اختلف المفسـرون فيمن نزلـت فيهم هذه الآية على قوليـن، **الأول**: أنها في اليهود والنصارى، وهو ما أسـنده الطبري عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ورجحه، لأن السِّياق فيهم.

والثاني: أنها في مُشـرِكي العرب وقد أسـنده الطبري عن قَتَادَة، وَالسُّدِّيِّ، ورجحـه ابن كثيـر رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلم[2]، وعلـى كل حال فالآية تُصـوِّر لونًا من التعنُّت والاقتراح على الله بغير حق.

٣- طلب نزول كتاب من السماء:

قـال تعالـى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ..... فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾ [النساء: ١٥٣]. لا خلاف بين المفسـرين أن هذه الآيـة نزلت في اليهود حين اقترحوا على نبيهم موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الاقتراحات، قـال الحافـظ ابـن كثير-رحمـه الله تعالـى-: قال محمـد بن كعـب القرظي،

(١) جامع البيان ٢/ ٨١ بتصرف.

(٢) انظر جامع البيان ٢/ ٥٥٠، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٩٩

والسدي، وقتادة قالوا: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء. كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة.

قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صحفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان، بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنُّت والعناد والكفر والإلحاد، كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك، كما هو مذكور في: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] الآيات[(١)].

٤- سؤال نزول المائدة:

قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ ..... قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢- ١١٥]، بلا خلاف أن هذه الآية نزلت على إثر سؤال الحواريين نزول مائدة من السماء وعليها من الطعام ما يشتهون، فنزلت كما اقترحوا، فحل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم، وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو قال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فأنزل تعالى المائدة آية ودلالة ومعجزة باهرة وحجة قاطعة، ثم ذكر العديد من الروايات عن السلف فيها، وكيفية نزولها، وما كان عليها من الطعام، لكنهم كفروا بها، فاستحقوا بذلك أشد العذاب

(١) وانظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٦ بتصرف.

(٢) تفسير جامع البيان ١١/ ٢٣٣، وقد أخرج الحديث، وبيَّن محققه أحمد شاكر رحمه الله أن فيه «أبا المغيرة القواس»، روى عن عبد الله بن عمرو. روى عنه عوف. وسئل أبو زرعة عن اسمه فقال: «لا أعلم أحدًا يسميه». ضعفه سليمان التيمي، ووثقه ابن معين. مترجم له في الكنى للبخاري: ٧٠، وابن أبي حاتم ٤/ ٢/ ٤٣٩،١١/ ٢٣٣.

يوم القيامة، وقد تناقل بعض المفسرين عن مجاهد، والحسن قالا: لم تنزل المائدة، فإن الله ﷻ لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة؛ خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى، وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفَّر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد، والله أعلم، ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، قال: لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ووعَدَ الله ووعيده حق وصدق، وهذا القول هو -والله أعلم- الصواب، كما دلَّت عليه الأخبار والآثار عن السلف[1]. قلت: وهو ما ذهب إليه جلة المفسرين، وهو الراجح لظاهر السياق القرآني، والعلم عند الله[2].

المبحث الثاني: اقتراحات المشركين:

نزول مَلَك من السماء يكلمهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨، ٩].

لا خلاف بين أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في المشركين، وهو ما لم يذكر غيره أغلب المفسرين.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٣١.

(٢) جامع البيان ١١/ ٢٣٢، ومعالم التنزيل ١/ ٣٩٩، وغيرهم. وهو ما عليه جِلَّة المفسرين.

أن يوحى إليهم كما أوحى إلى الرسل:

يقول تعالى مخبراً عنهم:

﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- جملة من اقتراحات المشركين أجملها تعالى في آيات من سورة الإسراء:

- أن تفجر لهم ينابيع الأرض.
- وأن تكون للنبي جنة من بساتين تتفجَّر خلالها الأنهار.
- أن تسقط السماء عليهم كسفًا.
- أن يروا الملائكة عيانًا.
- أن يكون للنبي ﷺ بيت من زخرف.
- أن يرقى في السماء فيأتيهم بكتاب يقرؤنه.

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣].

قلت: هذه جملة من الاقتراحات التي طلبوها، وقد تعسفوا فيما طلبوا أيما تعسف.

وفيما يلي شرح لبعض المفردات اللغوية في الآيات: قال صاحب مقاييس اللغة: (نبع)، النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْعَيْنُ كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا نُبُوعُ الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ

الَّذِي يَنْبُعُ مِنْهُ يَنْبُوعٌ، وَمَنَابِعُ الْمَاءِ: مَخَارِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ[1]، وقال أيضًا: (كَسَفَ)، الْكَافُ وَالسِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَغَيُّرٍ فِي حَالِ الشَّيْءِ إِلَى مَا لَا يُحَبُّ، وَعَلَى قَطْعِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ كُسُوفُ الْقَمَرِ، وَهُوَ زوال ضَوْئِهِ، وأما الْقَطْعُ فَيُقَالُ: كَسَفَ الْعُرْقُوبُ بِالسَّيْفِ كَسْفًا يُكْسِفُهُ. وَالْكِسْفَةُ: الطَّائِفَةُ مِنَ الثَّوْبِ، يُقَالُ: أَعْطِنِي كِسْفَةً مِنْ ثَوْبِكَ. وَالْكِسْفَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْغَيْمِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا ﴾ [الطور: ٤٤][2]، قال في الصحاح: (زخرف) الزُخْرُفُ: الذهبُ ثمَّ يُشَبَّهُ به كل مموَّهٍ مزوَّرٍ. والمُزَخْرَفُ: المزين. وزخارف الماء: طرائقه[3].

ومما اقترحوه:

- نزول ملك يرافق النبي ﷺ.
- وأن يُلقى إليه كَنز.
- وأن تكون له جنة يأكل منها.

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَا ﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

وفي السياق ذاته:

يريدون أن يُنزل القرآن جملةً واحدة على النبي ﷺ.

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، عامَّة المفسرين أن

---

(١) مقاييس اللغة (نَبَع) ٥/ ٣٨١.

(٢) وانظر مقاييس اللغة ٥/ ١٧٨.

(٣) الصحاح (زخرف) ٤/ ١٣٩٦.

الآية في مشركي قريش[1]، قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- أي: هَلاَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَـذَا الْكِتَابُ الَّذِي أُوحِـيَ إِلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَمَا نَزَلَـتِ الْكُتُبُ قَبْلَهُ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـلِ وَالزَّبُورِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَأَجَابَهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أُنْزِلَ مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْـرِينَ سَـنَةً بِحَسَـبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْـهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِتَثْبِيتِ قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ به كَمَا قَالَ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأن يؤتى مثلما أوتي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨، ٤٩].

قال مقيِّده -عفا الله عنه-: هـذه الآيـة الكريمة نزلت في مشـركي مكة حينما أمرتهم اليهود أن يسـألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما أوتي موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم أمر الله نبيه: قل لقريش يقولوا لليهود: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾، وهو ما أسنده الطبري عن مجاهد وغير واحد من المفسرين[2].

ومن جملة ما اقترحوه -أن يأتيهم بالوحي رجل عظيم، غير محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ...﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

---

(١) جامع البيان ١٩/ ٢٤، ولم يذكر غيره، وكذلك القرطبي في الجامع ١٣/ ١٤، وأجمل ابن كثير فقال: الذين كفروا، بينما قال البغوي: المراد باللذين كفروا، يَعْنِي النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَأَصْحَابَهُ، إِنْ هَـذا، يعني مَا هَذَا الْقُرْآنُ، إِلَّا إِفْكٌ، كَذِبٌ، افْتَرَاهُ، اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْيَهُودَ. انظر تفسيره ٣/ ٤٣٥، والأول هو الأشهر، والعلم عند الله.

(٢) تفسير جامع البيان١٩/ ٥٨٨، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١٠٩.

➢ **ومنه: أن يأتيهم النبي ﷺ محلًّى بالأسورة الذهبية مرفوقًا بالملائكة:**

كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].

وبعد: فهذه أمثلة للاقتراحات، فقد تضمَّن ما اقترحوه جملةً من الآيات التي وعدوا بالإيمان إن هي ظهرت لهم كما طلبوا، ومن هذه الاقتراحات: أنهم طلبوا: أن يروا الله جهرةً، وأن يكلمهم، وأن يأتيهم بآية وفق اقتراحهم، وأن ينزل عليهم كتابًا من السماء، وطلبوا مائدة من السماء، وأن يأتيهم مثلما أوتي الرسل، يعني يوحى إليهم كما أوحي إلى الرسل، وطلبوا أن تُفجَّر لهم ينابيع الأرض، وأن تكون للرسول ﷺ جنة من نخيل وعنب يُفجر لهم من خلالها الأنهار، وأن يُسقط عليهم السماء كسفًا، وتأتيهم الملائكة عيانًا، وأن يكون للنبي ﷺ بيت من ذهب، وأن يرقى في السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤنه بأنفسهم، وأن يُلقى إليهم من الكنوز، وأن يلقى الكتاب إلى الرسول جملة واحدة، ويُؤتى مثلما أوتي موسى، وأن يُلقى عليه أسورة من ذهب، وأن يأتي معه الملائكة مقترنين، وغير ذلك الكثير...، هذه جملة مما اقترحوه على ربهم، زاعمين أنهم سيؤمنون ويتابعون. وتقدم ما عقّب به القرآن الكريم على هذه الاقتراحات، والله أعلم.

الفصل الثالث

المقترحون والإصرار على الكفر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مظاهر التعنُّت والإصرار على الكفر واقتراحات المعاندين:

لقد اتضح من خلال العرض السابق لبعض اقتراحات المعاندين أن أولئك المعاندين لن يؤمنوا مهما ظهر لهم من الآيات، وذلك أن بعضًا مما اقترحوه فيه تعجيز للنبي ﷺ؛ ومن ذلك: طلبهم أن يرقى إلى السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤنه، وأن يُفجِّر لهم من الأرض ينبوعًا، ونحو ذلك مما يعد في حقيقته تعجيزًا وتعسُّفًا، ولذلك أخبر تعالى النبي ﷺ مؤيسًا له من متابعة أهل الكتاب له، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وكما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: يقول تعالى مخبراً عن كفر وعناد المشركين ومكابرتهم للحق، وتصلبهم على الباطل، ومباهتتهم ومنازعتهم فيه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: عاينوه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للمحسوسات: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] (١)، فالقضية ليست استرشادًا وإنما قصدهم الكفر والمعاندة حرصًا

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤١)، بتصرف.

على حظوظ الدنيا ورياستها، قال السعدي[1]، -رحمه الله تعالى- عند شرح الآية: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، فأي بيِّنة أعظم من هذه البيِّنة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَن له أدنى مُسْكَة مِن عقل دفعه، ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أيضا تعنتًا مبنيًّا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله لا تكون إلا على أيدي الملائكة[2].

وقال الشنقيطي[3] -رحمه الله تعالى-: أي لو عاينوا ذلك الكتاب المنزَّل، ولمسته أيديهم، لعاندوا، وادعوا أن ذلك سحرهم، وهذا العناد واللجاج العظيم والمكابرة الذي هو شأن الكفار، وقد بينه تعالى في آيات كثيرة من كتابة[4].

قلت: ومن أظهر الأمثلة عل التعنت ورد الحق بعد ظهوره وإلقاء التهم الجزاف ما حصل من فرعون حيال ما أيّد الله تعالى به موسى من البيِّنات

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسِّر، محدِّث، فقيه، أصولي، متكلم، واعظ. ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، منهم: محمد بن عبد الكريم الشبل ومحمد بن مانع ومحمد الشنقيطي، ثم درس ووعظ وأفتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي في عنيزة ١٣٧٦هـ. من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول، والحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين. ينظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٥١).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧هـ) واستقر مدرسًا في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ) وتوفي بمكة. سنة ١٣٩٣هـ. له كتب؛ منها (أضواء البيان في تفسير القرآن - و(منع جواز المجاز - ط)، و(منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات). ينظر: الأعلام (٦/ ٤٥)، طبقات النسابين (١/ ١٩٨).

(٤) أضواء البيان بتصرف (١/ ٤٧١).

الواضحات، والمحصِّلة أن فرعون اتهم موسى بأنه ساحر، وقد جاء هذا في القرآن في آيات كثيرة كما قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وقال فرعون قولًا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ (١)، أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى(٢) وهكذا، إذن القضية في الحقيقة إنما هي إضاعة وقت وتصلب في الكفر، مهما ظهر من الآيات، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ ومن دعا بدعوته ألا يثنيهم ديدن المعارضين للدعوة من إصرار واستكبار، بل إلقاء بالتهم الجزاف، فإن هذه سنة ماضية، أن الأنبياء وأتباعهم سيُتهمون بالتهم الباطلة، وستشوه سمعتهم بغية تنفير الناس منهم، فهذا فرعون يقول عن موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، قلت: والمنافقون في عهد النبي ﷺ قد حكى الله تعالى عنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: يعنون -لعنهم الله- أصحاب رسول الله ﷺ -رضي الله عنهم-، وقد قالوا: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟! وقد تولى الله سبحانه، جوابهم في هذه المواطن كلها، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، فأكَّد وحصر السفاهة فيهم بعبارة بليغة(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٠٤).
(٢) المرجع السابق:٥/ ٣٠٤
(٣) المرجع السابق (١/ ١٨٢).

قلت: غير أنه مما يلاحظ في سياق سرد الآيات التي اقترحها المعاندون أن الله تعالى لم يجبهم إلى شيء منها إلا في نزول المائدة، فقد نزلت وفق ما طلبوه كما هو الراجح، فحل بهم أليم العذاب تصديقًا لوعده تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

ومن الملاحظ أيضًا أن الآيات المقترحة إنما جلها ورد في السور المكية، وغالب المجادلة والمحاجَّة هناك إنما كانت حول ما اقترحه المشركون المعاندون، إلا إنه قد جاء مثل ذلك من قبل اليهود أقمأهم الله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥].

قلت: لم يختلف المفسرون أن هذه الآية نزلت في اليهود حين اقترحوا على موسى عليه السلام أن يريهم الله عيانًا، أو علانية كما أسنده الطبري -رحمه الله تعالى-: عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس، فعاقبهم الله تعالى بالصاعقة، وهي صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أو نار مع صوت شديد[1]، ولا شك أن هذا مما عيب اليهود عليه، كما عابهم الله تعالى بمزيد حرصهم على البقاء في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦]، فالراجح أن هذه الآية فيها ذم لليهود على مزيد حرصهم على الدنيا وهم أهل كتاب يؤمنون بالميعاد، ومع ذلك فقد فاق حرصهم حرص المشركين الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا بالحساب، وهذا دال على جزمهم بسوء مآلهم وأن ما قدموه من الأعمال السيئة لا يؤهلهم للقدوم على الله؛ لذلك حرصوا على

(١) جامع البيان ٢/ ٨١، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه الآية عند الكلام عن حكم طلب الآيات.

البقـاء في الدنيا، وكرهوا لقاء الله، كما قال تعالى مكذبًا لهم ومبطلًا لمزاعمهم الباطلـة: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥]. والله أعلم.

المبحث الثاني: من سمات منهج القرآن الكريم في إفحام المقترحين:

من خلال التأمل فيما عقّب الله تعالى به اقتراحات أولئك المعاندين، فإن الأسلوب القرآني في تعقّب الاقتراحات والرد عليها إنما جاء على أوجه مختلفة، منها:

- **تعنيفهم**، وبيان أنهم غير محقين فيما طلبوا، إذ لا يجوز اقتراح الآيات عليه سبحانه، فليس من الأدب مع الرب تعالى أن يُشترط للإيمان ظهور آيات مقنعة، ولذلك غلّظ عقابهم، فلو أن لما طلبوه وجهًا سنيًا أو مسوغًا مقبولًا لما حصل لهم ما حصل.

- **المعاجلة بالعقوبة**، فلما طلب اليهود رؤيته تعالى، ونزول كتاب عليهم من السـماء، عاجلهم تعالى بالصاعقة، جزاءً لهم وتحذيرًا من سـلوك سبيلهم، وكذلك أصحاب المائدة، فلما طلب الحواريون نزول المائدة فأنزلها الله تعالى وفق اقتراحهم، فلما لم يؤمنوا حل بهم من العذاب ما لم يأت غيرهم من الأمم.

- **التحذير من نزول العقاب العاجل**، وحذرهم سبحانه لما طلبوا نزول الملك من عقاب عاجل لا يُمهلون بعد نزوله طرفة عين للتوبة.

- **الإعراض عن طلبهم**، لما طلب أولئك المعاندون أن يوحى إليهم كما يُوحى إلى الرسل، عقّب الله عليهم بأنه تعالى ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤] إسكاتًا لهم وإلجامًا لألسنتهم، فمفاد الخبر أنه تعالى أعلم بمن يصلح لمنصب الاصطفاء للوحي ومن لا يصلح له.

➢ **تنزيه ذاته العلية سبحانه،** لما اقترح المشركون جملة من الاقتراحات؛ ومنها: أن يفجِّر لهم النبي ينابيع الأرض، نزَّه تعالى نفسه العلية عن ساقط قولهم: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله أي: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ سُلْطَانِهِ وَمَلَكُوتِهِ، بَلْ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْكُمْ، أي: وَمَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَأَمْرُكُمْ فِيمَا سَأَلْتُمْ إِلَى اللهِ عز وجل[1].

➢ **التكذيب لهم ومواجهتهم بالاستفهام التقريعي،** ولما اقترح المشركون أن يؤتى النبي ﷺ كما أوتي موسى: ﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾، أكذبهم الله تعالى مستفهمًا استفهامًا توبيخيًا تقريعيًا: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾، ثم أعقب ذلك الخبر عنهم أنهم أهل هوى: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

➢ **الالتفات والإعراض عنهم تسفيها لهم،** ولما اقترح المعارضون على ربهم أن ينزل القرآن على نبيه ﷺ جملة واحدة، أعرض عن طلبهم، وأقبل على نبيه مبينًا بعضًا من حِكم تنجيم القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فالتفت عنهم مُسفِّهًا لهم، غير مُعتدٍّ باقتراحهم.

(١) القرآن العظيم ٥/ ١٢١.

➤ **التعقيب بالاستفهام الإنكاري**، ولما اقترحوا على الله أن ينزل القرآن على رجل عظيم بخلاف محمد ﷺ، استفهم منكرًا عليهم اقتراحهم ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، استفهام تقريعي، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وبعد: فهذه جملة من تعقُّب الرحمن -جل وعلا- تلك الاقتراحات الباطلة، ظهر من خلالها أن الله تعالى شنّع على أولئك المقترحين. وتوعَّدهم، وقبَّح فعلهم، إذن ظهر من خلال هذا العرض أنهم غير محقين فيما اقترحوه وطلبوه، وأن المؤمن الحق إذا بان له الحق فإنه يقبله ولا يشترط على ربه ظهور آيات ليؤمن، ولئن سجَّل القرآن الكريم على أولئك المقترحين سوء أدبهم مع خالقهم؛ حيث لم يطلبوا من ربهم أن يبين لهم الحق ويهديهم إلى اتباعه، بل اقترحوا عليه تعالى ما ليس من حقهم وما لا يجوز لهم، فقد ظهرت منقبة صحابة رسول الله ﷺ، فإن القرآن لم يسجل عليهم اقتراحًا واحدًا، وإنما آمنوا حالًا لما ظهر لهم الحق، ولم يربطوا إيمانهم بطلب آية؛ فَرَضِيَ الله عنهم ورحمهم.

والله تعالى أعلم

.....:::::::::.....

الخاتمة

الحمـد لله معطي الجـزل، واهب الفضل، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وفضلًا، والصلاة والسـلام على إمام الهدى وقدوة الحنفاء، وعلى آله وصحبه الشـرفاء، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم البعث واللقاء، وبعد:

فقـد يسـر الله تعالى إتمام هذا البحث المختصر الـذي هو جهد مُقلٍّ راجٍ عفو ربه، وقد حاولت أن أصل فيه إلى درجة مُرضِية، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسـي ومن الشـيطان، وأسـتغفر الله من كل ذنب وخطيئة، وقد توصَّلت في خاتمة البحث إلى النتائج الآتية:

- إن المعانديـن لا حيلة في إقناعهم، فمهمـا رأوا من الآيات فلن يقبلوا الحـق ولو رأوه عيانًا؛ لأن مقصودهـم مجرَّد العناد لا طلب الحق، فلا تجدي معهم كثرة الآيات وظهور المعجزات.
- بيـان صفاء معادن الصحابة الكرام، فإنهم لما ظهر لهم الحق أول مرة قبلوه من دون مماطلة أو اشتراط على ربهم، إذ لم يربطوا إيمانهم بظهور آيات يشترطونها على ربهم.
- بيان سـعة رحمـة الله بأولئـك المعاندين، فقد أمهلهـم فلم يعاجلهم بالعقوبـة، ولـم يجبهـم رحمة بهم، وكثيرًا ما يلفت أنظارهم إلى سـعة رحمته، وفتح باب التوبة لأولئك المعاندين رغم إعراضهم.

◈ أن المعارضيـن للذيـن المكذبين للرسـل عليهم السلام قد جُبلـوا على العناد والمشاقَّة، وفي هذا تسلية للرسل عليهم السلام ومن سار على نهجهم من الدعاة.

◈ سوء أدب أولئك المعاندين مع الله تعالى، فليس من الأدب أن يشترط المكلَّف على ربه شـروطًا يربـط بها إيمانه، بل واجبه أن يقـول: اللهم بيّن لي الحق وأرشدني إلى اتباعه.

◈ مـا عقّـب الله تعالـى به علـى اقتراحات أولئـك المعانديـن يُبيِّن عدم أحقيتهم في اقتراح ما اقترحوه.

◈ لـم ينزل من الآيات المقترحـة إلا المائدة، فقد نزلت كما طلبوا، فلما كفروا بها حل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم.

هذه بعض النتائج التي توصَّلت إليها، سائلًا المولى القدير التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣. **الأعلام**: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٤. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٥. **تفسير القرآن العظيم**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. **تهذيب الأسماء واللغات**: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عُنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسَّسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨. الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي): الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠. الجرح والتعديل: المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.

١١. الزاهر في معاني كلمات الناس: المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسَّسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١٢. الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدًا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣. سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤. **الطبقات الكبرى**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

١٥. **طبقات المفسرين للداوودي**: المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

١٦. **طبقات النسابين**، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٧. **فتح القدير**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

١٨. **القاموس المحيط**: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩. **كتاب العين**: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٠. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢١ . اللبـاب في علوم الكتاب: المؤلف: أبو حفص سـراج الدين عمـر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشـقي النعمـاني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٢ . مسـند الإمـام أحمد بـن حنبل: المؤلف: أبو عبـد الله أحمد بن محمـد بن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيباني (المتـوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شـعيب الأرنـؤوط - عادل مرشـد، وآخرون، إشـراف: د. عبد الله بن عبد المحسـن التركي، الناشـر: مؤسسـة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٣ . المسـند الصحيـح المختصر بنقل العدل عـن العدل إلى رسـول الله ﷺ: المؤلف: مسـلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسـابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤ . مشـكاة المصابيح: المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الديـن، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشـر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٥ . معالم التنزيل في تفسـير القرآن = تفسـير البغوي: المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسـين بن مسـعود البغـوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حقَّقه وخـرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سـليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٦ . معجم الفروق اللغوية: المؤلف: أبو هلال الحسـن بن عبد الله بن سـهل بن سـعيد بـن يحيى بن مهران العسـكري (المتـوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشـيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشـر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٧. **معجـم المؤلفيـن**: المؤلف: عمر بـن رضا بن محمـد راغب بن عبـد الغني كحالة الدمشـق (المتـوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشـر: مكتبة المثنى - بيـروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨. **معجـم مقاييـس اللغة**: المؤلف: أحمد بن فـارس بن زكرياء القزوينـي الرازي، أبو الحسـين (المتـوفى: ٣٩٥هــ)، المحقق: عبد السـلام محمـد هارون، الناشـر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩. **مغاني الأخيار في شـرح أسـامي رجال معاني الآثار**: المؤلف: أبـو محمد محمود بن أحمد بن موسـى بن أحمد بن حسـين الغيتابي الحنفي بدر الديـن العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠. **المغني عن حمل الأسـفار في الأسـفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)**، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشـر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣١. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٣٢. **الـوافي بالوفيـات**: المؤلـف: صـلاح الديـن خليل بـن أيبك بـن عبـد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشـر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٣. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشـافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



ثانيًا: مُسْتَخْلَصَاتُ الرَّسَائِلِ والمَشَارِيعِ العِلْمِيَّة

مجلة تدبر



تقرير عن
مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية في محافظة عنيزة

أ. محمد بن صالح الدليقان

عنوان الرسالة: مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة عنيزة.

الباحث: محمد بن صالح الدليقان.

المشرف: أ.د. فريد بن علي الغامدي.

الدرجة: متطلب تكميلي لنيل درجة **الماجستير** في المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية.

الجهة المانحة: جامعة أم القرى - كلية التربية.

سنة الإجازة: ١٤٣٨هـ.

الوصف المادي: تقع في مجلد واحد من (١٣١) صفحة.

تقرير رسالة ماجستير

التعريف بالرسالة: تكونت الدراسة من خمسة فصول دراسية:

الفصل الأول: مشكلة الدراسة وأبعادها.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة.

الفصل الثالث: إجراءات الدراسة.

الفصل الرابع: نتائج الدِّراسَة وتفسيرها ومناقشتها.

الفصل الخامس: ملخص نتائج الدِّراسَة والتوصيات والمقترحات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن دور المعلم أصبح أكثر أهمية من أي وقت مضى، وبخاصة مع التطور في وسائل التعليم، وعلى الرغم من ذلك لا يزال معلمو التربية الإسلامية يركزون على تزويد المتعلم بكم هائل من المعلومات والحقائق والمفاهيم الموضوعة بين صفحات الكتاب المدرسي، كما لو كان هو الهدف الوحيد لتدريس التربية الإسلامية، دون الاهتمام الكافي بالمهارات التي تؤهل المتعلمين للتوافق مع المعنى الأسمى لتدريس مواد التربية الإسلامية، وترتب على ذلك عدم شعورهم بالقيم والمعنى الحقيقي المراد تحقيقه من مواد التربية الإسلامية وخاصة مادة القرآن الكريم.

فقد أظهرت دراسة (الخطيب، ١٤٢١هـ) إلى أن مناقشة المعلمين لطلابهم؛ وذلك للوصول إلى المعنى الإجمالي لآيات الدرس الجديد لم تنل من عناية المعلمين سوى ١٣٫٣٪. والواجب على معلمي مرحلة التعليم العام

والتعليم الجامعي: الاهتمام الشديد بالمعنى الإجمالي للآيات، واستنتاج أهم الفوائد والأحكام، وربط تلك الآيات بحياة الطالب لتزيد إحساسه بأهمية القرآن لحياته في الدنيا والآخرة. ولا يعني ذلك تحويل حصة التلاوة للتفسير، مع أن نشرات إدارات التعليم تحث على بيان معاني الكلمات، وبيان أسباب النزول. (ص ٣٨).

أيضًا أظهرت دراسة المالكي (١٤٣٥هـ) أن درجة إسهام معلم التربية الإسلامية في تنمية مهارات التركيز والتحليل وجمع وتنظيم المعلومات والمهارات الإنتاجية للطلاب كانت بالدرجة المتوسطة، وكذلك أظهرت دراسة المهداوي (١٤٣٤هـ) أن درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لتنمية مهارات التفكير العلمي كانت متوسطة.

وهذه النتائج تدل على وجود قصور لدى معلمي التربية الإسلامية في تنمية بعض مهارات التفكير لدى الطلاب، ومن هذه المهارات التي تناولتها الدراسات السابقة: التفسير، الملاحظة، المقارنة، الاستنباط، التحليل، وهذه كلها مهارات أساسية يحتاجها الطالب أثناء قراءته لآيات الله البينات، فهي تساعده بعد توفيق الله على تدبر ما يقرؤه وبهذا يحصل الهدف المنشود.

ومما دفع الباحث لإجراء هذه الدراسة، ما ذكر من نتائج وتوصيات في البحوث العلمية والمؤتمرات المتعلقة بموضوع تدبر القرآن الكريم، التي تشير على أن الاهتمام مُنصَب على التلاوة والحفظ دون تدبر وفهم لمعاني القرآن الكريم وأنه لابد من الاهتمام بموضوع التدبر وعدم إغفاله، ومن هذه النتائج ما ذكره الفريح (٢٠١٥م)، فقد كان من نتائج دراسته:

◈ كثير من الجهات التي تعنى بتعليم القرآن الكريم كان اهتمامها الأول في تحفيظ القرآن وتصحيح التلاوة، ولا شك أن ذلك جانب مهم من عملية تعليم القرآن الكريم، إلا انهم أغفلوا تنمية جانب التدبر والعمل بالقرآن الكريم؛ ولذا فلابد من الاهتمام بجانب التدبر وعدم إغفاله.

◈ الحاجة إلى إعادة النظر في طرق تعليم القرآن الكريم، والتركيز على جانب التدبر. (ص٢٢).

وقد جاء في توصيات الملتقى الثاني لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم والذي كان بعنوان (أساليب وتقنيات تحقيق الريادة) عام ١٤٢٦هـ ما يلي:

◈ العناية بطالب القرآن الكريم من كافة المراحل التعليمية والتركيز على جانب تدبر القرآن وإتقان حفظه وتجويده.

◈ العناية بتأهيل المعلم والمشرف وذلك برفع كفاءته العلمية وتحفيزه ليكون قادرًا على إنشاء جيل خُلُقُهُ القرآن.

وقد لاحظ الباحث من واقع عمله كمعلم لمادة القرآن الكريم أن هناك قصورًا وعدم اهتمام من معلمي هذه المادة في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم، وأن تدريس مادة القرآن الكريم كان مُنصبًّا على التلقين والحفظ وضبط النطق دون الاهتمام بالتدبر والتفكر في الآيات.

كما أن هنالك ندرة في الدراسات التي تبحث في موضوع الدراسة -مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم-، لذلك جاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم والتي تساعدهم في تحسين وتطوير مهاراتهم التعليمية والدينية.

ومن هنا تبلورت لدى الباحث مشكلة الدراسة، والتي يمكن صياغتها بالتساؤل التالي:

➢ ما مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة عنيزة؟

وتتفرع منه التساؤلات التالية:

➢ **السؤال الأول:** ما مهارات تدبر القرآن الكريم اللازمة لمعلمي التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية؟

➢ **السؤال الثاني:** ما مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية؟

➢ **السؤال الثالث:** هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0.05$) بين متوسطات تقدير مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية لتلك المهارات في العملية التعليمية تُعزَى لمتغير (عدد سنوات الخبرة، والمؤهل الدراسي والدورات التدريبية)؟

أهداف الدراسة:

يمكن تلخيص أهداف الدراسة في الأمور التالية:

- التعريف بمهارات تدبر القرآن الكريم المناسبة لطلاب المرحلة الثانوية.
- قياس مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة عنيزة.
- معرفة أثر الخبرة والمؤهل العلمي والدورات التدريبية على مستوى أداء المعلمين في تنمية هذه المهارات لدى الطلاب.

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة في ما يلي:

أولًا: الأهمية العلمية:

- تنبثق أهمية هذا البحث من أهمية موضوعة، حيثُ سلط الضوء في هذه الدراسة على تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى الطلاب وقياس أداء المعلمين في ذلك، فالقرآن أعظم كتاب، وقراءته من أعظم العبادات وتدبر معانيه والتفكر فيه وفهمه هو الغاية المقصودة.
- ندرة الدراسات العلمية التي تناولت موضوع تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم، حيث تفتقر مكتبة التربية الإسلامية لوجود دراسات تُعنى بهذا الموضوع.
- فتح المجال لإجراء المزيد من الدراسات العلمية حول مهارات التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم وأثرها على المعلمين والطلاب.

ثانيًا: الأهمية العملية:

- تساعد معدي المناهج والكتب المدرسية وأدلة المعلمين في تضمين مهارات تدبر آيات القرآن الكريم التي توصل لها الباحث في مناهج التربية الإسلامية.
- تساعد القائمين على برامج تدريب معلمين التربية الإسلامية بوزارة التعليم في المملكة العربية السعودية في بناء حقائب تدريبية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم؛ وذلك استنادًا إلى المهارات التي حددها الباحث.
- تقديم قائمة بمهارات تدبر القرآن الكريم يستفيد منها معلمو مادة القرآن الكريم.

حدود الدراسة:

يمكن تعميم نتائج الدراسة في ضوء المحددات التالية:

- **الحدود الموضوعية:** مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية.
- **الحدود المكانية:** تم تطبيق الدراسة بمحافظة عنيزة.
- **الحدود البشرية:** عينة ممثلة لمعلمي التربية الإسلامية الذين يقومون بتدريس مادة القرآن الكريم للمرحلة الثانوية باعتبار أنهم الفئة المستهدفة في الدراسة بالدرجة الأولى.
- **الحدود الزمنية:** الفصل الدراسي الثاني للعام ١٤٣٦ - ١٤٣٧هـ.

مصطلحات الدراسة:

مستوى الأداء: يعرف بأنه «السلوك الملاحظ للفرد في أثناء قيامه بتنفيذ مهارة أو مهمة أو القيام بعمل ما» (أبوعابد، ١٤٢٥هـ: ٣٤٣).

ويعرفه الباحث إجرائيًا: مقدار ما يقوم معلم التربية الإسلامية بتنفيذه من مهارات أثناء تدريسه لمادة القرآن الكريم.

معلم التربية الإسلامية:

يعرفه عفيف «هو ذلك الفرد الذي يقوم بتدريس مواد التربية الإسلامية بعد أن يكون قد أعد إعدادًا جيدًا وتم إعطائه الصلاحية للقيام بذلك من الجهات المختصة» (١٤٣٠: ٢٤).

ويعرفه الباحث إجرائيًا: هو معلم التربية الإسلامية الذي أسند إليه تدريس مادة القرآن الكريم للمرحلة الثانوية.

المهارة لغة:

الإحكام والحذق بالشيء ويقال مهر في العلم وفي الصناعة وغيرهما. (مصطفى وآخرون، ص ٨٨٩).

وذكر (عمر، ١٤٢٩هـ) أن «مهارة» من «مهر» فهو «ماهر» والمفعول «ممهور»، يقال: مهر الشخص في الشيء أي أتقنه وبرع فيه، فالمهارة هي القدرة على أداء العمل بحذق وبراعة. (ص ٢١٣٢).

ويعرف شحاته والنجار (١٤٢٤هـ، ص٣٠١) المهارة بأنها «المهارة هي السهولة والدقة في إجراء عمل من الأعمال، وهي تنمو نتيجة لعملية التعليم».

تدبر القرآن الكريم:

التدبر لغة: دبر: الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أن جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء». (ابن فارس، ١٣٩٩: ٣٢٤).

وعرفه (عمر، ١٤٢٩هـ) «تدبر في الأمر: تأمله وتفكر فيه على مهل ونظر في عاقبته» (ص٧٢). ويعرفه سرحان «بأنه النظر والتفكر في غايته ومقصوده، التي يرمي إليها، وعاقبة العمل به، والمخالف له». (سرحان، ٢٠١٣: ١٧).

مهارات تدبر القرآن الكريم:

هي تلك المهارات التي تساعد الطالب على تحقيق تدبر القرآن الكريم، والتي توصل الباحث إليها من أجل قياس مستوى أداء معلمي التربية الإسلامية في تنميتها لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة عنيزة، والتي تم قياسها من خلال بطاقة ملاحظة من إعداد الباحث.

نتائج الدراسة :

أسفرت الدراسة الحالية عن النتائج التالية:

أولاً : بينـت النتائج أن المهارات اللازمة لتدبر القرآن الكريم لمعلمي التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية قد انحصرت في (١٤) مهارة هي: الإصغاء، والقـراءة المجـودة، والانتباه، والملاحظة، والتسـاؤل، وهـذه تُعد المهارات الضروريـة للتهيئة للتدبر، وبقيـة المهارات فهي لتطبيق التدبر، وعددها تسـع مهـارات هـي: التحليـل، والربط، والاسـتنباط، والاسـتقراء، والاسـتدلال، والمقارنة، والتصنيف، والتمثيل، والتطبيق.

ثانياً: كما بينت النتائج أن المتوسط الحسابي الكلي لجميع مهارات تدبـر القـرآن الكريم لـدى معلمـي التربية الإسـلامية الذين يدرسـون القرآن الكريـم في عنيـزة بلغت قيمتـه (١,٨٠) وبمسـتوى توافر متوسـط. كما بينت النتائـج أن المهارات الرئيسـة لتدبر القرآن الكريم قد تراوح مسـتوى توافرها لدى المعلمين بين منخفض ومرتفع، وقد تراوحت قيم المتوسطات الحسابية للمهارات الرئيسة لتدبر القرآن الكريم إسلامية بين (١٥ , ١ – ٩٠ , ٢)، وكانت أعلـى مهارة من حيث مسـتوى التوافر هي مهارة الإصغاء بمتوسـط حسـابي بلغ (٩٠ , ٢) تلتها القراءة المجودة بمتوسـط حسـابي بلغ (٧٦ , ٢) وكلاهما بمسـتوى توافر مرتفع، وقد جاءت خمس مهارات بمستوى متوسط تراوحت قيم المتوسط الحسابي لها بين (١,٦٨ - ٢١ , ٢) وهي على الترتيب تنازليـاً: (الانتبـاه، التسـاؤل، التحليل، الملاحظة، التطبيق)، بينمـا بقية المهارات فقد جاءت بمسـتوى تمكن منخفض، وهي سـبع مهارات علـى الترتيب التنازلي (الاستنباط، المقارنة، التصنيف، الاستدلال، الربط، الاستقراء، التمثيل).

ثالثًا: كشفت النتائج عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لمستوى أداء مهارات تدبر القرآن الكريم تُعزَى لمتغير سنوات الخبرة في التدريس. كما كشفت النتائج عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لمستوى أداء مهارات تدبر القرآن الكريم تُعزَى لمتغير المؤهل الدراسي.

رابعًا: كشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية للفرق بين المتوسطات الحسابية لمستوى أداء مهارات تدبر القرآن الكريم تُعزَى لمتغير الدورات التدريبية، وهذا الفرق لصالح المعلمين الذين لديهم أكثر من دورتين تدريبيتين لأنهم أصحاب المتوسط الحسابي الأعلى.

التوصيات:

من خلال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

١- ضرورة إيلاء موضوع تدبر القرآن الكريم الاهتمام الكافي في حصص القرآن الكريم للمرحلة الثانوية، والتأكيد على المعلمين بممارسته وتوجيه الطلاب إلى التدبر من خلال تطبيق جميع مهارات التدبر التي اشتملت عليها الدراسة، وعدم الاكتفاء بالقراءة العادية فقط للقرآن الكريم من غير تدبر وتفكر.

٢- ضرورة تدريب معلمي التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية بشكل خاص وبقية المراحل بشكل عام على ممارسة مهارات التدبر للقرآن الكريم، وذلك من خلال برامج متخصصة بالتدبر والتفكر بآيات الله.

٣- تعميم نتائج الدراسة وخاصة المهارات اللازمة لتدبر القرآن الكريم التي توصلت اليها الدراسة على مكتب التربية والتعليم في محافظة عنيزة، وتعميمها كذلك على إدارة المدارس الثانوية لتطبيقها في حصص القرآن الكريم.

٤- تعديـل منهج التربية الإسـلامية وخاصـة ما يتعلق بالتـلاوة ليتضمن المهـارات اللازمة لتدبر القرآن الكريم، وكذلك دليل المعلم الخاص بالتلاوة مع ذكر الأمثلة الكافية للتدبر، وتطبيق المهارات.

مقترحات الدراسة:

١- تصميم برنامج تدريبي لمعلمي التربية الإسـلامية حول مهارات تدبر القرآن الكريم، ودراسة أثر هذا البرنامج على مستوى أداء مهارات التدبر عند المعلمين بعد التدريب.

٢- دراسـة أهـم معوقات اسـتخدام مهـارات التدبر للقـرآن الكريم من وجهة نظر المعلمين أنفسـهم، مع تقديم أهم المقترحات للتغلب عليها ونشر مهارات التدبر بين جميع معلمي التربية الإسلامية.



تقرير

مشروع منهج المتدبر الصغير

د. شريف بن طه يونس

إعداد: د. شريف بن طه يونس.

المشرف العام على المشروع.

١- فكرة المنهج ومنهجيته:

هو منهج يعتني بتعليم الأطفال القرآن **وتربيتهم عليه**، بمنهجية **ترتكز على المنهجية** التي عَلَّم الرسول ﷺ بها أطفال الصحابة القرآن «**الإيمان قبل القرآن**»، أي: (**المعاني** «تفهمًا وتدبرًا وعملًا» **قبل المباني** «تلاوة وضبطا وحفظا»، في الأولوية والتراتبية التعليمية).

وهذا المنهج هو واحد من مناهج (**مشروع القرآن علم وعمل**)؛ والذي يهدف إلى **إحياء المنهج النبوي** في التعامل مع القرآن **تأصيلًا وتفعيلًا**.

٢- شعار المنهج:

وقع اختيارنا على عبارة «**الإيمان قبل القرآن**»؛ لتكون **شعارًا** للمنهج، يُلخِّص **فكرتنا** ويُفصِح عن **منهجيتنا**.

٣- رسالة المنهج:

وتتلخص رسالة المنهج في **إحياء منهج «الإيمان قبل القرآن»**، مفاهيميًا ومهاريًا، **تأصيلًا وتفعيلًا**، في كل ربوع الأرض من خلال الوحي الشريف، بأحدث الوسائل **المشروعة**.

٤- رؤية المنهج:

وتتلخص رؤية المنهج في أن يطبق كل طفل مسلم في العالم منهج **«الإيمان قبل القرآن»**، وأن يتمكن الطفل المسلم من التحقق بوصف أهل القرآن، والتخلق بالقرآن في خلال **عشر سنوات على الأكثر**، وأن يكون ذلك هو **طموح الطفل المسلم** فيما يتعلق بالقرآن.

٥- أهداف المنهج:

وهدف المنهج إجمالا: هـو **تزكية الطفل** (تطهيره وتطويره) تزكيةً **متكاملة** (معرفيا ومهاريا ووجدانيا واجتماعيا ونفسيا)، وتمكينه مـن أن يكون من **أهـل القـرآن** (المتخلقين به) من الدرجة **الأولى** (**العاملين** «فيصبح: تمرة» + **الحافظين** «فيصبح: أترجة» + **المعلمين** «فيصبح خيركم أو رباني»)

لكـن على التفصيل لـكل إطار (مفاهيمـي أو تطبيقي) أهدافـه الخاصة؛ ولـكل وحدة مفاهيمية أو جزء تطبيقي أهدافهما، ولكل درس مفاهيمي أو آية أو سورة تطبيقية مفاهيمهم.

كما يهدف المنهج إلى تيسير وتحسين **تعلم القرآن والعمل** به لدى الأطفال، وزيـادة رقعة **محبتهم للقـرآن وإقبالهم عليه** تعلُّمًا وتدبُّـرًا واتباعًا، وتبديد كل **الحواجـز** التي تحـول بينهم وبين التخلُّـق بالقرآن، وبناء صـرح الإيمان لدى الأطفـال من خـلال القـرآن، وتحصينهم من **الأفـكار المنحرفـة والمتطرفة**، ووضـع الحلول الجذريـة **لمشـاكل الأطفال** التربوية والسـلوكية، والنفسـية والاجتماعيـة، من خلال منظومة قرآنية عملية، وتزويد الأطفال بمجموعة من **المهارات المتميزة**، التي لها أبلغ الأثر في تجويد حياتهم، والارتقاء بها.

٦- سر تسمية المنهج:

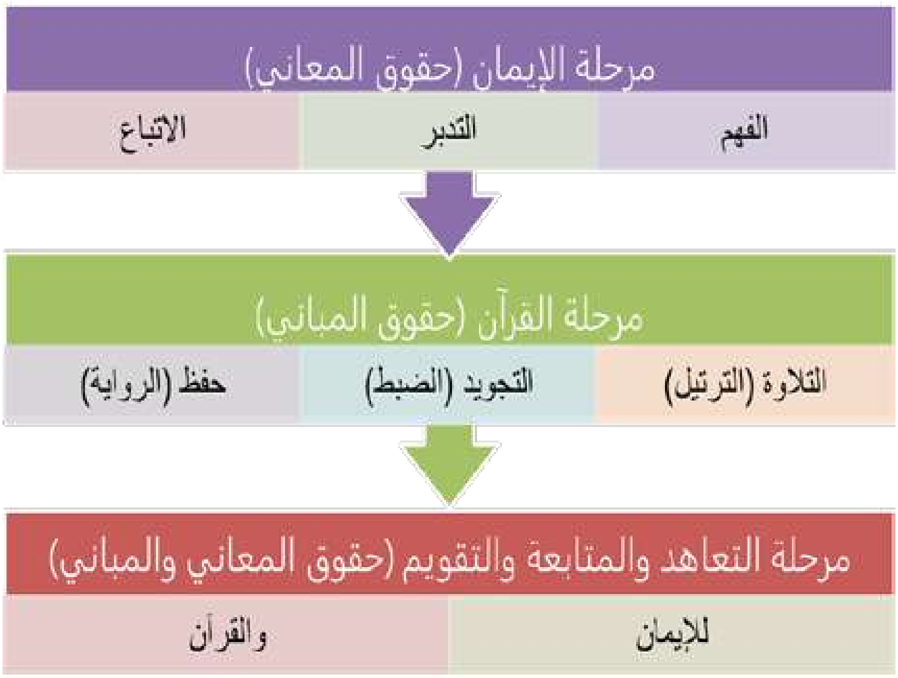
ورغـم أنه قـد يُتَوَهم للوهلـة الأولى أن هـدف المنهج هو تيسـير التدبر لـدى الأطفال؛ إلا أننا نؤكد أن **هدف المنهج يشـمل مـا هو أعمق وأكمل من ذلك**؛ حيث يشـمل تيسـير الانتفاع الأمثـل بالقرآن، وتيسـير التحقق بوصف (أهـل القرآن) على مُـراد الله علمًا وعملًا وتعليمًا. لكننا لمَّا لمسـنا أن الخلل

في تحرير التدبر وتيسيره؛ كان **المتهم الأول** في غياب المفهوم الصحيح لأهل القرآن، وتخلُّف الصورة المنشودة من اتباعه؛ **آثرنا تسمية المشروع بما تميز به وبوسيلته، والتي تحقق -ولا شك- غايته الأكبر.**

٧- مُلخص آلية المنهج:

نُفَهِّم الطفل الآيات بأنسب الوسائل المشروعة له، ونساعده على تدبرها، **ونُعَلِّمه كيف يعمل بها،** ويبدأ العمل بها، ثم **نُحَفِّظها له** رواية، **ونتعاهده** فيما تعلمه من الإيمان والقرآن.

وفيما يلي عرض إجمالي لمراحل التعامل مع الآية أو السورة:



وفيما يلي عرض تفصيلي لخطوات مرحلة (الإيمان) بالآية أو السورة:

١- الفهم بالأنماط

٢- الوصايا العملية

٣- الإسقاط (عرض النفس على الآية)

٤- الثمرات (العواقب الحسنة)

٥- المغبّات (العواقب السيئة)

٦- الدعوات المناسبة

٧- الأسماء والصفات

٨- أهل الآية أو السورة

٩- المُخرجات الوجدانية

١٠- الخطة التشغيلية للاتباع

٨- أصول وأسس بناء المنهج:

وتم بناء المنهج على **أسس علمية وتربوية محكمة** تراعي طبيعة الطفل؛ وتقدم له أنسب **الطرق والوسائل التعليمية والتربوية**، بواسطة مختصين في تربية الطفل وتعليمه. إلا أن **المنهج قد تميز بالارتكاز على المنهج النبوي** في التعليم القرآني، في **كل عناصر بنائه**: من أسس، وأهداف، ومحتوى، وتدريس، وتقويم وغيرها.

والأسلوب الرئيسي الذي تم اعتماده في بناء المنهج، هو الأسلوب القصصي والحواري، وليس هذا فحسب؛ بل تم الحرص على اختيار الأسلوب القصصي المناسب **لطبيعة الأطفال** من ناحية، **ولطبيعة المادة التعليمية المعروضة** من ناحية أخرى؛ لأن الأسلوب القصصي -باختصار-؛ تتجلَّى فيه بسهولة معظم الأسس المنشودة في بناء المناهج للأطفال. **فالقصص تناسب معظم الأطفال** في عملية البناء المعرفي؛ **وتخاطب الأنماط التعليمية الثلاثة** للأطفال (البصري والسمعي والحسي)، هذا بالإضافة لما تتميز به القصص من **تجسيد المعاني** المعنوية المحسوسة في صورة مادية ملموسة، مما يجعلها أدعى للإدراك والاستيعاب، علاوة على ما تتضمنه القصة من خطاب تدبري **عملي تشويقي تحفيزي**.

ولطالما تساءلتُ، أين خطاب القرآن المناسب للأطفال؟

فإنني أوقن أن **القرآن ما ترك شيئًا مما نحتاج إليه في التربية والتزكية؛ إلا وقد كفانا إياه أكمل كفاية**، فلاحظت أن القرآن قد اعتمد في تزكية وتوجيه الأطفال (**الخطاب غير المباشر**)، بل كان الأسلوب صاحب نصيب الأسد هو الأسلوب القصصي.

ولعل هذا كان **أقوى في تحفيزنا لبناء المنهج بطريقة قصصية أكثر مما سطَّره المتخصصون** في الثناء على الأسلوب القصصي ومناسبته -وخصوصا في تعليم الأطفال-.

وقد تَفَرَّد منهجنا -ولله الحمد- بما أسميناه (القصة التدبرية التزكوية)، وهي قصص لها (سمات مميزة) مناسبة للمنهج، نذكر منها:

- اختيار **أسماء للأبطال مرتبطة لفظيًا ومعنويًا بمقصد الآية أو السورة** ووصيتها الرئيسية، «كشاكر»، «وناكر»، إذا كانت الوصية متعلقة (بالشكر).
- **وتجسيدها للمعاني** والصفات المراد عرضها (مدحًا أو ذمًا)، في صورة **أبطال داخل القصة**، يطالع المتابع للقصة **حالهم ومآلهم** مُتَجَسِّدًا أمامه.
- واشتمال القصة بوضوح على **المُخرجات التعليمية الثلاثة** (المعرفية والوجدانية والمهارية).
- واشتمال القصة على **الشرح الضمني البسيط** لكلمات وجُمَل النص الذي وُضِعَت لعرضه.
- واشتمالها على الوصف التفصيلي **للحال والمآل** (الحسن والسيء).
- اشتمالها على **الترغيب والترهيب**، مع تغليب جانب **الترغيب**.
- واشتمالها على **الخطة التشغيلية** لتنفيذ الوصية الرئيسية للقصة، **والتَزَكِّي بها تطهيرًا وتطويرًا**.
- ربط القصة **بأسماء الله وصفاته**، وتجْلية **قضايا الإيمان** في ثناياها.
- واشتمالها على **صياغة غير مباشرة للعقل الباطن** للطفل، من خلال كلمات وممارسات معينة يتابعها في القصة.
- **انطلاقها من بيئة الأطفال**، ومراعاتها لواقعهم وهمومهم، ومشكلاتهم الحياتية الحالية.
- مراعاة أن تحقق القصة القناعة العقلية التامة، فتكون **واقعية ومنطقية** قدر الإمكان، بلا مثالية زائدة، أو خرافية مُدَمِّرة.

- الحرص على تجْلية **ارتباط القرآن بالحياة، وبممارسات الإنسان**، وكون القرآن كتابٌ ينبض بالحياة والواقعية.

- الاعتماد على **التشويق واستثارة الذهن**؛ ليتمكن الطفل من ربط القصة بكثير من المعاني الشرعية والحياتية المتعلقة بها.

- مراعاة **التدرج والتراكمية** في عرض المفاهيم، والانتقال **من البنية المعرفية المعلومة إلى اللامعلومة**.

- **تهيئة الطفل وتجهيزه لاستقبال الأفكار** التي يتم طرحها في الوحدة التعليمية التي تنتمي إليها القصة.

- تدعيم القصة **برسومات وتصاوير** تُقَرّب للطفل أحداثها ومضامينها.

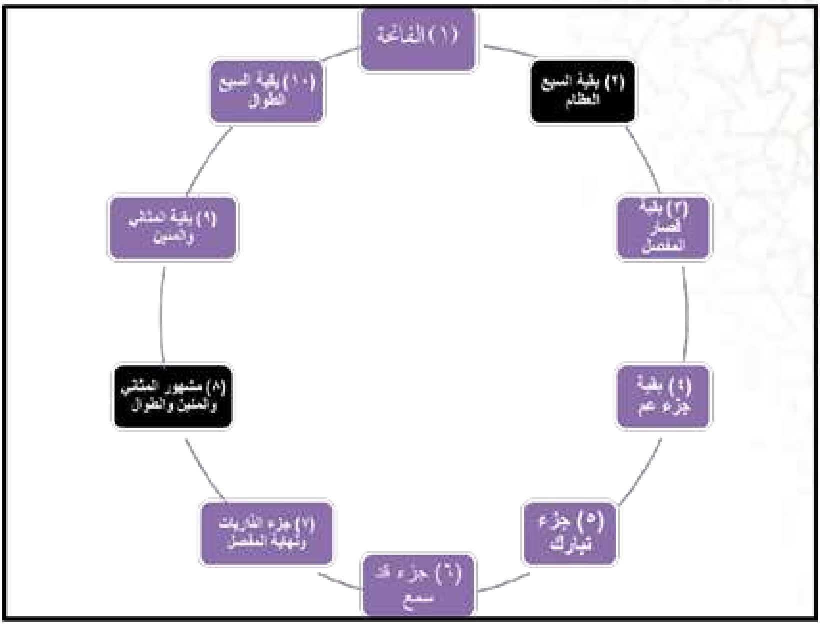
- تدعيم القصة **بأسئلة إسقاطية وتمكينية**؛ لإبراز وتدعيم العبر والدروس المستفادة من القصة.

٩- محتوى المنهج:

ويعمل المنهج في إطارين، وينقسم محتواه -تَبْعًا لهما- إلى قسمين:

- الأول: **الإطار المفاهيمي (التأصيلي)**؛ ويشمل عشر وحدات، تهدف إلى **تسديد** النية والمنهجية، **وإبراز** الأهمية **وتوليد** الدافعية، **وتوضيح** الآلية.

- والثاني: **الإطار المهاري (التطبيقي)**؛ ويشمل عشرة أجزاء، تبدأ بالفاتحة، ثم بقية السبع العظام: آية الكرسي، وخواتيم البقرة، ومشهور القصار -الإخلاص والفلق والناس والكافرون-، ثم قصار المفصل، ثم بقية المفصل، ثم مشهور المثاني والمئين والطوال، ثم بقية المثاني والمئين والطوال. **وقد استندنا في هذا التقسيم والترتيب** لأدلة يُرجى مراجعتها في كتاب المنهج.



ملاحظات على مُخَطط تقسيم محتوى الإطار المهاري (التطبيقي):

١- هذا التقسيم **توفيقي لا توقيفي**؛ اجتهدنا في وضعه ورأيناه الأنسب؛ لأن الأمر في ترتيب التعليم واسع والحمد لله.

٢- التقسيم طبقًا لعامِلَين مُتداخلَين معًا، الأول: **الدوائر**، والثاني: **الاستعمال والشهرة**.

٣- أول السور التي يتم تدارسها في كل جزءٍ من الأجزاء العشر، تكون هي السورة الأكثر استعمالًا أو الأشهر؛ فمثلًا: في الجزء الثالث (بقية عمّ)، نبدأ بالأعلى والغاشية، وفي الجزء الرابع (تبارك)، نبدأ بسورة تبارك ثم الإنسان، وهكذا.

١٠- التدريس:

لم يكن اهتمامنا -بحثًا وتأصيلًا- **بطرائق واستراتيجيات التدريس** التي

استخدمها النبي ﷺ وأصحابه؛ أقلَّ أبدًا من اهتمامنا بتحرير **المنهج** الأمثل لتعليم الأطفال، والوقوف على الترتيب الأنسب **للمحتوى** التعليمي.

فقد اجتهدنا في **حصر المواقف التعليمية للنبي** ﷺ بصفة عامة، وتلك التي تتعلق بتعليم القرآن بصفة خاصة، وتم تقسيم المواقف التي تتعلق بالتعليم إلى مواقف تتعلق بتعليم الكبار، وأخرى تتعلق بتعليم الأطفال، وقمنا بتحليل كل تلك المواقف، واستخراج قواعد منها.

وقد خَلَّف لنا ذلك كَمًّا كافيًا شافيًا -إن شاء الله- من **طرائق واستراتيجيات** التدريس، **والوسائل** التعليمية، **والمهارات** التي ينبغي أن يتحلَّى بها المعلم، والحالة التي ينبغي أن تكون عليها **البيئة التعليمية**، والمواصفات المنشودة لها.

ثم أقبلنا على ما أنتجته علوم التربية الحديثة؛ فوجدنا النبي ﷺ قد سبق في تقرير تلك الأمور وتطبيقها ومراعاتها بقرون من الزمان، فدعمنا ما توصلنا إليه من التراث النبوي ببعض ما أنتجته علوم التربية الحديثة، من وسائل لا تخالف الشريعة؛ لنصل إلى أكمل صورة من التدريس الفعال.

لقد أدركنا حقًا بالدليل العملي القاطع، والبرهان الساطع، أننا **لسنا متأخرين عن الغرب أو الشرق وعلومهم الحديثة؛ بل نحن على الحقيقة متأخرون عن النبي ﷺ وسنته النفيسة.**

لقد انبهرنا بِكَمِّ وروعةِ وإبداعيةِ الوسائل والاستراتيجيات التعليمية، التي استخدمها النبي ﷺ. فمعظم -إن لم يكن كل- ما يتفاخر به الغرب والشرق اليوم من وسائل واستراتيجيات تربوية تعليمية؛ قد سبقهم النبي ﷺ في استخدامها **أكمل استخدام، رغم بساطة البيئة التي كان يعيش فيها، وضعف مواردها وإمكانياتها المادية.**

◈ المُعَلِّم أو المُدَرِّس:

وقامت العملية التدريسية للمنهج على أن المعلم **لا يؤدي إلا دورًا قد تم تأديته معه**؛ فالمعلمة التي تدرس لطفل سورة الناس مثلًا؛ لابد أن تدرسها -أولًا- لنفسها بالمنهجية النبوية؛ فتتفهمها وتتدبرها وتعمل بها، وتضبطها وتحفظها، ثم يتم تدريبها على الطريقة الأمثل لتعليم تلك السورة للطفل؛ وبذلك يؤدي المعلم دوره على أكمل وجه، **ويتم الارتقاء بالمتعلم والمعلم على السواء.**

ومما اعتنينا به في عملية التدريس، **التأهيل الشامل الكامل للمعلم فيما يطلبه دوره التربوي والتعليمي**، فلا نكتفي بتأهيله فيما يخص المادة العلمية التي يقوم بتدريسها؛ بل نعتني بتأهيله **تأهيلًا شرعيًا وتربويًا عامًّا.**

ولا نميل لتأهيل المعلم بدورات أو محاضرات عامة في معزِل عن منهج تطبيقي؛ تتجلَّى من خلاله تلك المهارات كما يحصل في كثير من المؤسسات، وإنما ننشغل كثيرًا **بتدريبه على المهارات، واعتبار المنهج الذي يقوم بتدريسه ميدانًا تطبيقيًا لذلك التدريب والتأهيل.** **ومما يُفجِع القلب**؛ أننا نرى أن معظم مؤسسات التعليم القرآني، يكون كل مؤهلات معلم القرآن هي إجادته للحفظ والتجويد، وغيرها مما يتعلق بالمباني فقط، وقدرته على تلقين المباني للمتعلم، رغم أنه **يباشر أعظم عملية تربوية وتعليمية في الوجود.**

◈ العملية التعليمية:

ونركز كثيرًا على **التعليم النشط**؛ والتعليم التعاوني؛ وورش العمل؛ والعصف الذهني؛ ولعب الأدوار؛ ومراعاة الأنماط؛ واستخدام القصص؛

والاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة؛ وغيرها من الآليات والطرائق والوسائل التي تمت الإشارة لها في أسس بناء المنهج.

ونجتهد بكل ما أوتينا من قوة في **تحرير العملية التعليمية من العبئية**؛ وفي استخدام اللعب والترفيه على أنسب نطاق في البيئة التعليمية؛ وفي توليد **الدافعية الذاتية للتعلم** في داخل الطفل.

◈ التقويم:

إننا في منهجنا نباشر (**عملية بناء إنساني إيماني**)، ولذا فإننا في تقييم المنهج نعتمد آليات تقييمية على المدى القصير، وأخرى على المدى البعيد، ويعتمد تقييمنا على تقييم الجهود التزكوية والتعليمية المُخَطط لها.

ومعلوم أن الشريعة اعتبرت سن السابعة هو سن التعليم، وسن العاشرة هو سن الإلزام بالتدريب على التكليف، وسن البلوغ هو سن التكليف. وعليه، فلا نحاول إلزام الأطفال بممارسات تقويمية إلزامية قبل سن العاشرة. **لذا نعتمد في آليات التقويم ووسائله على تلك التي لا تشعر الطفل بالعبئية والتكليف، ولا تُنَفِّره من البيئة التعليمية**، ونركز أكثر على الملاحظة **الأسرية** من خلال الوالد أو الوالدة، والملاحظة الصَّفية من خلال المعلمة أو المشرفة.

ورغم أن من أراد القياسات الظاهرة للعملية التعليمية؛ سيجد منتجنا التعليمي قد نجح فيها نجاحًا مبهرًا؛ إلا أننا نقول أن **منهجنا له قياسات خاصة؛ لابد من التعرف عليها من خلالنا أولًا، ثم استخدامها لكيلا نظلم المنهج أو نهضمه.**

ونركز في آليات ووسائل التقويم على محورين:

- **الأول:** السداد **المفاهيمي**.
- **الثاني:** التزكية (التطهر والتطور **المهاري** والسلوكي).

١١- التحكيم:

وقد تم **تحكيم** المنهج من قِبَل **أكبر المؤسسات التدبرية**، وحظي بتزكية كثيرٍ من المختصين في التربية، وحصل على **المركز الأول** -بفضل الله- كأفضل منهج تدبري؛ حين شارك في المؤتمر العالمي الثاني لتدبر القرآن الكريم بالمغرب (أكتوبر ٢٠١٥).

كما تم **تحكيم** البحث التأصيلي للمنهج وتجربته العملية (دور التدبر في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به لدى الأطفال، «برنامج المتدبر الصغير أنموذجًا»)، بواسطة **المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض**، وتم عرضه في المؤتمر، وطباعته ضمن أعمال المؤتمر.

١٢- مراحل إعداد المنهج وتطبيقه:

ننتهج في كل برامجنا الانتقال من **(الفكرة)** تأصيلًا وتحريرًا، إلى **(التجربة)** تطبيقًا وتفعيلًا، إلى **(المنهج)** تصميمًا وتعميمًا، إلى **(المؤسسة)** تدشينًا وتطويرًا. **فلا نؤمن** بتلك الأفكار التي لا ترتكز على قاعدة صلبة من التأصيل والتحرير الشرعي، **ولا نتكلم** في تلك الأفكار التي لم تأخذ حيزًا من التجربة والتطبيق. **ولا نكتفي** بتطبيق الأفكار وتجريبها، بل نسعى لتصميم مناهج ترتكز عليها، وتدشين مؤسسات تنفذها في أرض الواقع.

وفيما يتعلق بتعليم الأطفال القرآن الكريم، قمنا بتأصيل وتحرير المفاهيم والأفكار الأنسب في تعليم الأطفال القرآن ارتكازًا على المنهج النبوي في ذلك (**بحث المنهج النبوي في تعليم الأطفال القرآن**)، ثم قمنا بتفعيل ما تم تأصيله في صورة تجربة علمية محكمة (**تجربة برنامج المتدبر الصغير**)، ثم قمنا بتصميم منهج بمواصفات المنهج الحديث (**منهج المتدبر الصغير**)، ثم قمنا بتدشين مؤسسة لتنفيذ ذلك المنهج وتطبيقه في أرض الواقع وتطويره (**أكاديمية المتدبر الصغير**).



١٣- المؤسسات الحاضنة لمنهج المتدبر الصغير:

- أكاديمية المتدبر الصغير (< ٦ سنوات): أكاديمية **نوعية**، **غير ربحية**.
- روضة المتدبر الصغير (> ٦ سنوات): روضة **نوعية**، **غير ربحية**.

تم -بفضل الله- تطبيق المنهج على ما يزيد على ٥٠٠٠ طفل في مصر، ومكة المكرمة، والمغرب، وغيرها.

١٤- دبلومة إعداد معلمي ومعلمات المتدبر الصغير:

دورة تدريبية **مجانية**؛ تهدف إلى التأهيل **المفاهيمي** (التأصيلي)، **والمهاري** (التطبيقي)، للمعلمين والمعلمات الذين سيباشرون تعليم الأطفال

القرآن من خلال منهج المتدبر الصغير، وتسعى هذه الدبلومة لتزويد المعلمين والمعلمات بكل **المؤهلات والكفايات** التي يحتاجون إليها لمباشرة هذه المهمة العظيمة **على أكمل وجه**.

١٥- أبرز السمات المُميِّزة لمنهج المتدبر الصغير:

١- منهج قد **تم تحكيمه، وحظى بتزكية** كثير من المختصين في التربية.

٢- منهج قد تم بناؤه على **أسس علمية وتربوية محكمة**؛ تراعي طبيعة الطفل، وتقدم له **أنسب وأفضل الطرق والوسائل التعليمية والتربوية**، بواسطة مختصين في تربية الطفل وتعليمه.

٣- يعتني بتعليم الأطفال القرآن، وتربيتهم بالطريقة التي عَلَّم الرسول ﷺ بها أطفال الصحابة ورباهم (الإيمان قبل القرآن)؛ **فيفهم الآيات بالأنماط، ويتدبرها، ويتعلم كيف يعمل بها، ويبدأ العمل بها، ثم يحفظها**، ونتعاهده فيما تعلمه من الإيمان والقرآن.

٤- **يُيَسِّر ويُحَسِّن** عملية تعلم القرآن وحفظه لدى الأطفال، **ويزيد حبهم للقرآن وإقبالهم عليه** تعلمًا واتباعًا.

٥- منهج لايعتني بالجوانب التعليمية فقط؛ بل **تعليمي تربوي متكامل يهتم بتزكية الطفل** (تطهيره وتطويره): فكريًا ومهاريًا ووجدانيًا واجتماعيًا ونفسيًا.

٦- يزود الطفل بمجموعة من **المهارات المتميزة**، ويُنَمِّي لديه **قدرات رائعة**، لها أبلغ الأثر في تجويد حياته.

٧- يساعد على **بناء صرح الإيمان** لدى الأطفال من خلال القرآن؛

وتحصينهم من الأفكار المنحرفة والمتطرفة.

٨- يضع **الحلول الجذرية لمشاكل الأطفال** التربوية والسلوكية والنفسية، من خلال منظومة قرآنية عملية.

للتواصل والمتابعة:

١- للتواصل مع مؤسس المنهج والمشرف العام عليه: د. شريف طه يونس:

أخصائي طب الأطفال - باحث دكتوراه بكلية الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، رئيس مجلس إدارة أكاديمية المتدبر الصغير ومعهد العلم والعمل.

- رقم الهاتف المتنقل الدولي والواتس أب والتليجرام: *00201142573880*
- البريد الإلكتروني: *sh.t.younos@gmail.com*

٢- للتواصل معنا عبر خدماتنا وقنواتنا على الإنترنت:

- خدمة بالوحي نحيا (على الواتس أب): ٠٠٢٠١١١٤١١٦٧٦٠
- خدمة بالوحي نحيا، قناة د.شريف طه يونس (على التليجرام).
- صفحة أكاديمية المتدبر الصغير، وصفحة بالوحي نحيا (على الفيس بوك)
- قناة المتدبر الصغير، وقناة بالوحي نحيا -الصفحة الرسمية (على اليوتيوب)

٣- يمكنكم تحميل أحدث نشرة تعريفية بمنهج المتدبر الصغير (سبتمبر ٢٠١٦) من خلال الروابط التالي:

- النشرة التعريفية لمنهج المتدبر الصغير فقط- رابط على البوكس:

https://app.box.com/s/ivj66mefi4adq0jh2w1h91inz9256j9e

☜ رابط على ميديا فاير:

http://www.mediafire.com/file/zxtu55q9x1dgq9u/النشرة_التعريفية_لمنهج_المتدبر.pdf/file

٣- يمكنكم تحميل عرض باوربوينت عن منهج المتدبر الصغير من خلال الروابط التالية:

☜ عرض إجمالي لمنهج المتدبر فقط- رابط على البوكس:

https://app.box.com/s/nzqtwkifktgn7t6ki3lkqh94lgdwne85

☜ رابط على ميديا فاير:

http://www.mediafire.com/file/8uokj018s09k4zo/عرض_إجمالي_لمنهج_المتدبر.pdf/file



ثالثاً: تقارير المؤتمرات العلمية

مجلة تدبر



تقرير عن المؤتمر الثامن في مجال المخطوطات
تحت عنوان "القرآن الكريم من التنزيل إلى التدوين"

تقرير عن المؤتمر الثامن في مجال المخطوطات، تحت عنوان «القرآن الكريم من التنزيل إلى التَّدوين» وذلك يومي السبت ٨ ربيع الأول والأحد ٩ ربيع الأول ١٤٣٩ (الموافق لـ ٢٦-٢٧ نوفمبر ٢٠١٧) بإستانبول.

مجلة تدبر

نظمت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مؤتمرًا دوليًا حول القرآن الكريم تحت عنوان: القرآن الكريم من التنزيل إلى التَّدوين، وذلك يومي السبت ٨ ربيع الأول، والأحد ٩ ربيع الأول الموافق لـ ٢٦-٢٧ نوفمبر بمدينة إستانبول، وبحضور علمي مميز، حيث شارك فيه ثلاثة عشر باحثًا متخصصًا من مختلف بقاع العالم.

ويأتي هذا المؤتمر -في دورته الثامنة- على خلفية إعلان جامعة برمنجهام في ٢٢ يوليو ٢٠١٥ عن نتيجة الفحص الكربوني المشع لواحدة من مخطوطاتها القرآنية القديمة (تُعرف إعلاميًا باسم «مصحف برمنجهام»)، حيث أرجعها الفحص إلى الفترة ٥٦٨-٦٤٥م بنسبة دقة ٩٥,٤٪، أي إلى القرن الأول الهجري، لا الثاني أو الثالث، كما كان يُعتقد سابقًا. وقد أثار هذا الخبر موجة عارمة من ردود الأفعال المتباينة إلى وقت قريب، لا سيما وأن هناك من استخدم نتائج الفحص خطأً للقول بأن القرآن الكريم سابق للنبي محمد ﷺ، فرأت مؤسسة الفرقان أن تعقد مؤتمرًا يتناول موضوع المصاحف المخطوطة من حيث التعريف بها وبيان أهميتها، وضرورة فهرستها ورقمنتها وإتاحتها للباحثين، ومتابعة المشاريع الغربية المهتمة بنشرها، كمشروع المدونة القرآنية كوربوس كورانيكوم *(Corpus Coranicum)*، وغيرها من القضايا المتقاطعة والدراسات القرآنية.

وقد قدمت في هذا المؤتمر اثني عشر ورقة علمية، قام بإعدادها نخبة من الباحثين، وفق منهجية علمية محددة عالجت محاور المؤتمر وهي:

١- مشروع المصاحف العثمانية والإختلاف الواقع في تحديد تاريخه وعدد نسخه: د. عمر بن عبد الغني حمدان.

٢- **علامات الضبط في المصاحف المخطوطة: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري**: د. عادل إبراهيم أبو شعر.

٣- **القـراءاتُ القرآنيـةُ في المصاحف المنقوطة التي ترجـع إلى القرون الثلاثة الأولى**: د. غانم قدوري الحمد.

٤- **المصحف المنسوب إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان، المحفوظ بقصر طوب قابي، من خلال ملاحظات تاريخية وكوديكولوجية**: د. أكمل الدين إحسان أوغلو.

٥- **أثر رخصة الأحرف السبعة في تدوين النص القرآني**: د. سالم قدوري الحمد.

٦- **أنظار في حديث: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)**: د. بشار عواد معروف.

٧- **النقل الشـفاهي للقرآن الكريم ومنهج النقد التاريخي**: د. عبد الحكيم بن يوسف الخليفي.

٨- **تاريـخ المصحـف الشـريف من الشـفاهية إلـى الكتابية**: دراسـة نقدية، كوديكولوجية للمدرسة الاستشراقية: د. كريم إفراق أحمد.

٩- **القـراءات من زمن النشـأة حتى عصـر ابن مجاهد، ورد شـبهات الدكتور فرنسوا ديروش حولها**: د. سامي محمد سعيد عبد الشكور.

١٠- **الحواشـي النقدية للقرآن الكريم في فجر مشروع الكوربيس كورانيكوم**: د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.

١١- **القراءات الاستشـراقية للقرآن الكريم أنموذج مشـروع المدونة القرآنية كوربيس كورانيكوم**: د. عبد الله الخطيب.

١٢- **دقة الاختبار الكربوني *C14* في توريخ الرُّقوق القرآنية وعلاقته بالطُّروس**: د. قاسم السامرائي.

المنهج الجمالي لدراسة المصاحف المخطوطة: د.إدهام محمد حنش.

وتميز اليوم الأول منه **بتنظيم ثلاث جلسات علمية،** بعد الجلسة الافتتاحية التي بدأت بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، اتبعها عرض فيلم تسجيلي يبين جهود مؤسسة الفرقان ومراكزها المتعددة في خدمة التراث الإسلامي، كإعداد المؤتمرات، وفهرسة المخطوطات، والإصدارات النقدية؛ ألقى بعدها الأستاذ صالح شهسواري، المدير التنفيذي لمؤسسة الفرقان، كلمة رحب فيها بالسادة العلماء والباحثين المشاركين في المؤتمر، وشكرهم على حسن تعاونهم مع اللجنة العلمية المنظمة لهذه المأدبة العلمية، مع تمنياته الصادقة لهم بمقام طيب في مدينة إستانبول، ودوام النجاح والتَّألق العلمي. وذكَّر بأن هذا المؤتمر يأتي تتميمًا لمؤتمرات مؤسسة الفرقان السابقة، التي اهتمت بالكتاب المخطوط في مختلف العلوم والمعارف، وتلبية لتوصيات أعضاء مجلس الخبراء، الذي أوصى بأن يتجه اهتمام المؤسسة بعد نهاية المؤتمر السابع حول مخطوطات الأدب واللغة العربية، إلى التركيز على المصحف الشريف من مرحلة الوحي إلى التدوين. ثم ذكر بالمجهودات العلمية الجبارة التي تبذلها المؤسسة في مختلف العلوم التي تهتم بها، والتي تعودت الرِّيادة والتَّميز في تنظيم المؤتمرات والدورات العلمية في مختلف بقاع العالم؛ منوهًا بأن هذا المؤتمر الذي ينظم اليوم بمدينة إستانبول، يتناول قضية علمية دقيقة وشائكة، وتتعلق بالقرآن الكريم من مرحلة التَّنزيل إلى مرحلة التَّدوين، ويهدف إلى الرَّد على بعض الشُّبهات التي أثيرت في هذه المرحلة بالذات في مجموعة من الكتابات الاستشراقية، وغيرها ممن نحا منحاها.

وقـد تلت هـذه الجلسـة، الجلسـة العلمية الأولـى، التي تولى تسـيير ها الدكتور بشـار عواد معـروف، وتميزت بمشـاركة ثلاثة أسـاتذة باحثين، هم: الدكتور عمر بن عبد الغني حمدان، والدكتور عادل إبراهيم أبو شعر، والدكتور غانم قدوري الحمد.

أما الدكتور غانم قدوري الحمد، فقد تناول في بحثه **"القراءاتُ القرآنيةُ في المصاحـف المنقوطة التي ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى"**، وقد لاحظ عدم تطابق طريقة ضبط تلك المصاحف مع أي من القراءات السَّبع أو العشر التي تميَّزت على عهـد ابن مجاهد (ت.٣٢٤هـ) وتلامذته، ووضح بالدّليل تهافت الرأي القائل بأن أيَّ قراءة مخالفة لهذه القراءات تعدُّ شاذة.

وتميـزت هذه الجلسـة بنقاش علمي مثمر، تركـز خصوصا على ضرورة التفريق بين تدوين المصحف الشريف في عهد أبي بكر الصِّديق، وإعادة نسخه في عهد عثمان بن عفان، بالإضافة إلى ضرورة دراسـة سـند الآثار التي تصف هذه المرحلة، ومعرفة مدى صحتها، لبناء أحكام سليمة على ضوئها.

۞ أما الجلسة العلمية المسائية الأولى، فقد ترأسها الدكتور غانم قدوري الحمد، وقُدِّمت فيها ثلاثة بحوث:

البحث الأول: للدكتـور أكمـل الدين إحسـان أوغلو، وقـد تتبع فيه مسـيرة **"المصحف المنسوب إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان، المحفوظ بقصر طوب قابي، من خلال ملاحظات تاريخية وكوديكولوجية"**، استخلص فيهـا أن المصحـف ليس من المصاحـف الأولى التي أرسـلت إلى الأمصار، بسبب جودة خطِّهِ وإعجامه، بالإضافة إلى الزخارف التي يحتويها؛ كما تطرق

إلى المجهودات التي بذلت لنشره، والتي تمثل حلقة مهمة في سلسلة دراسة تاريخ القرآن الكريم.

أما البحث الثاني فكان بعنوان: **"أثر رخصة الأحرف السبعة في تدوين النص القرآني"**، للدكتور سالم قدوري الحمد، وتناول فيه مقدار أثر رخصة الأحرف السَّبعة في كتابة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ، وخليفته من بعد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ثم بعد ذلك بيان أثرها في الرسم العثماني.

أما المحاضرة الثالثة بعنوان: **"أنظار في حديث إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف"**، فقد ألقاها الدكتور بشار عواد معروف، وتتبع فيها روايات هذا الحديث، واختلاف العلماء حول معناه، هل يتعلق الأمر بسبع قراءات، أم سبعة أنحاء، أم سبع لغات، أم سبعة أوجه من المعاني المتفقة المتقاربة ولكن بألفاظ مختلفة، ورجَّحَ الرأي الأخير منها. ثم بيَّنَ أن المصحف الشَّريف دُوِّنَ في عهد أبي بكر الصِّديق، وتمت إعادة نسخه في خلافة الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه على حرف واحد، وأن كل المصاحف التي خالفت رسمه نُسخت، ودخل بعضها في القراءات الشَّاذة.

وقد تلت هذه الجلسة مجموعة من المناقشات والردود العلمية، تركز أغلبها حول ضرورة إعادة قراءة الآثار الصحيحة الواردة في وصف هذه المرحلة.

أما الجلسة العلمية المسائية الثانية، فتولى رئاستها الدكتور عبد الله الغُنيم، وتميزت بإلقاء ثلاثة بحوث:

البحث الأول بعنوان: **"النقل الشفاهي للقرآن الكريم ومنهج النقد التاريخي"**، للدكتور عبد الحكيم بن يوسف الخليفي، الذي حاول فيه بيان أن

النقل الشفوي لم يكن هو الوسيلة الوحيدة لحفظ القرآن الكريم، بل كان للكتابة دور رئيس في ذلك، وبين تهافت رأي من يرى ضرورة تطبيق مناهج النقد التَّاريخي على القرآن الكريم، كما طُبِّقَ على الكتب المقدسة في العهدين القديم والجديد.

أما البحث الثاني فكان بعنوان: "تاريخ المصحف الشريف من الشفاهية إلى الكتابية: دراسة نقدية، كوديكولوجية للمدرسة الاستشراقية"، للدكتور كريم إفراق أحمد، وذكَّر فيه بالمحاولات العديدة للمدرسة الاستشراقية لترويج أباطيل مشوهة عن الإسلام عامة، وعن القرآن الكريم خاصة، وغياب الردود العلمية الرَّصينة على هذه الأباطيل، وأكدَّ على ضرورة التَّصدي العلمي لهذه الأباطيل، كل من مجال تخصصه.

الدكتور سامي محمد سعيد عبد الشكور

أما البحث الثالث فكان بعنوان: "القراءات من زمن النشأة حتى عصر ابن مجاهد، ورد شبهات الدكتور فرنسوا ديروش حولها"، للدكتور سامي محمد سعيد عبد الشكور، وتتبع فيه المحاولات التي بذلها ديروش للطعن في تدوين القرآن الكريم، وضرورة الرجوع إلى القراءات التي تم إلغاؤها بعد هذه المرحلة، وحاول الردَّ على هذه الشبهات.

أما اليوم الثاني فعرف عقد جلستين علميتين:

الجلسة العلمية الأولى، التي تولى رئاستها الأستاذ صالح شهسواري، وتميزت بمشاركة ثلاثة أساتذة باحثين هم: الدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، والدكتور عبد الله الخطيب، والدكتور قاسم السامرائي.

تناول الدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس في بحثه **"الحواشي النقدية للقرآن الكريم في فجر مشروع الكوربيس كورانيكوم"**، وذكر فيه

بالمراحل التاريخية لهذا المشروع، وأهم أقطابه، والذي يهدف لإيجاد نسخة القرآن الكريم التي كانت متداولة قبل جمعه وتدوينه.

الدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس

أما البحث الثاني بعنوان: "القراءات الاستشراقية للقرآن الكريم أنموذج مشروع المدونة القرآنية كوربيس كورانيكوم"، فكان من إلقاء الدكتور عبد الله الخطيب، الذي تناول بعض افتراءات المستشرقين التي أسقطوها على القرآن الكريم قبل هذا المشـروع وخلاله، وذكر نشـأته، والمراحل التاريخية التي مر منهـا، والأهداف التي يسـعى إلى تحقيقها، واقترح وسـائل الـرد عليه، وختم بحثه ببعض التَّوصيات التي يقترحها.

أما البحث الثالث، للدكتور قاسم السامرائي، فكان بعنوان: **"دقة الاختبار الكربـوني *C14* في توريـخ الرُّقوق القرآنيـة وعلاقته بالطُّروس"**، وسـعى فيه لإثبات دقة التأريخ الإشـعاعي لرقوق المصاحف القديمة، وذلك باسـتعمال تقنيـة التحليـل الكربوني المشـع *C14*، مقارنة مـع الأسـاليب التقليدية التي كانت تعتمد في تأريخ هذه الرُّقوق.

تلتها مناقشة علمية، صبت معظمها حول ضعف الردود الإسلامية العلمية على دراسات المستشرقين للقرآن الكريم.

الدكتور قاسم السامرائي

أما الجلسة العلمية المسائية، فقد ترأسها الأستاذ محمد ادريوش، وتميزت بتقديـم محاضـرة الدكتور إدهـام محمد حنش التـي كانـت بعنوان **"المنهج**

الجمالي لدراسة المصاحف المخطوطة"، ودرس فيها الجوانب الجمالية والفنية المتعلقة بالمصحف الشريف، وفي مقدمتها الخط والضبط.

تلت هذه المحاضرة جلسة مفتوحة مع الدكتور بشار عواد معروف، والدكتور غانم قدوري الحمد.

شدد الدكتور بشار عواد معروف في كلمته على أن القرآن الكريم قد دوّن كاملاً في عهد أبي بكر الصديق بعد معركة اليمامة التي استشهد فيها كثير من حملة القرآن الكريم، بإشراف الصحابي الجليل زيد بن أبي ثابت، وهو شاب حافظ ذكي بجمع القرآن؛ فجعل زيد يتتبع القرآن، يجمعه من العُسُب واللخاف والعظام وصدور الرجال.

الدكتور غانم قدوري الحمد

وفي خلافة عثمان، نسخ زيد الصُحُف التي جمعها زمن أبي بكر في المصاحف، ثم عممت هذه المصاحف الأمهات على الأمصار الإسلامية. ونبه الدكتور عواد إلى أهمية التعبير عن هذه المرحلة بمصطلح **"نَسْخ"** المصاحف، لا جمعها، لأن الأخير يوهم بأن القرآن الكريم كتب بعد ٢٠ عاماً من وفاة رسول الله ﷺ، وهو غير صحيح. وأضاف أن صنيع عثمان قد تكلل بالنجاح ونسخت آلاف النسخ من المصحف، حتى ذكر الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) وجود أزيد من مليوني نسخة من المصحف العثماني في زمنه. وختم الدكتور عواد كلمته بالإشارة إلى أن الحملات المناوئة للقرآن الكريم ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة قدم الإسلام نفسه؛ وأكد على ضرورة تجنب الردود الإعلامية الشعوبية، وأن تكون المجلات والمؤتمرات العلمية هي الطريقة المثلى لعرض هذه الردود والنقاشات المعززة بالعلم والحجة. أما الدكتور

غانم قدوري الحمد، فقد أثنى على البحوث المقدمة، وأكّد على ضرورة إعطاء المصاحف القديمة المخطوطة حقها من البحث والتمحيص، وبين أن الباحث في علوم القرآن يُفيد منها في خمسة علوم أساسية مرتبطة بالمصحف، هي: علم الرسم، وعلم الضبط، وعلم القراءات، وعلم الوقف والإبتداء، وعلم عدد الآي. وذكر كيف أنه قبل أربعين عامًا، لما أراد الإطلاع على مصحف جامع الحسين المنسوب لعثمان بن عفان لرسالته عن رسم المصحف، منع من ذلك ولم تفد الخطابات والرسائل في تغيير هذا الموقف التعسفي. أما اليوم، وبسبب الثورة التي يشهدها مجال رقمنة ونشر المخطوطات، فقد صار هذا المصحف وغيره متاحًا للباحثين. ونبه الدكتور الحمد بأن **«كل مصحف مخطوط له قيمة علمية لأنه يمثل مرحلة معينة من تاريخ رحلة المصحف الطويلة؛ قام عليه علماء وخطاطون، ومزخرفون، وقراء حتى أنجزوا هذه النسخة، فكل مصحف له قيمة علمية في الدراسة»**. وذكر الحمد أنه جمع بحوثًا جديدة عن المصاحف المخطوطة في كتابين له، الأول أسماه (علم المصاحف)، والثاني (علوم القرآن بين المصادر والمصاحف). وأكد على ضرورة أن تقوم الجهات والمؤسسات في العالم الإسلامي بجمع المصاحف المخطوطة، وفهرستها، وإتاحتها للباحثين والدارسين، وإقامة المعارض القرآنية، وإصدار المجلات التي تعنى بهذا الجانب من الأبحاث. وختم الأستاذ غانم الحمد كلمته بالتشديد على أهمية ترجمة آخر الدراسات الغربية في مجال المصاحف المخطوطة إلى اللغة العربية. وشكر مؤسسة القرآن، التي وضعت أول لبنة في هذا المشروع بتنظيم هذا المؤتمر، مع رجاء أن يكون متلوًّا بمؤتمرات أخرى لدراسة قضايا علمية غاية في الأهمية، أثيرت في هذا المؤتمر.

وسعيًا في تحقيق أهداف المؤتمر؛ وبعد عرض أبحاثه وأوراقه من خلال جلسات علمية وورش عمل متخصصة، خلص المشاركون إلى التوصيات التالية:

١- أن تقوم مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بنشر بحوث هذا المؤتمر على نطاقٍ واسع، خصوصًا في الأوساط العلمية المتخصصة، والعمل على ترجمتها إلى اللغات الأجنبية.

٢- أن تقوم المؤسسة بتبني مشروع العناية بالمصاحف المخطوطة، ودعم وتشجيع مشاريع البحث العلمي في هذا المجال، مع إنشاء موقع إلكتروني خاص للتعريف بهذه الدراسات، وإعداد بيبليوغرافيا شاملة للدراسات القرآنية، سواء في الشرق أو الغرب، وإتاحتها على قاعدة بيانات.

٣- إنشاء مركز علمي خاص في تاريخ المصاحف المخطوطة، موازٍ لمشروع «المدونة القرآنية»، برعاية مؤسسة الفرقان، ويعقد صلات قوية مع المتاحف ودور الكتب في العالم، لمحاولة جمع المصاحف المخطوطة المبكرة بصورة رقمية، على أن تتم فهرستها فهرسة علمية تحليلية، وإتاحتها للباحثين والدارسين.

٤- تنظيم مؤتمرات وندوات ودورات دولية علمية خاصة في مجال المصاحف المخطوطة، والتعريف بقيمتها العلمية والتاريخية والجمالية، وتتبع جهود المستشرقين حول النص القرآني، وذلك في رحاب مؤسسات ومراكز علمية تضمن متابعة واسعة للباحثين والدراسين.

٥- تنسيق جهود مؤسسة الفرقان مع مؤسسات علمية أخرى تعمل في نفس المجال (كمركز تفسير للدراسات القرآنية في الرياض)، للعمل على

الإرتقـاء بمسـتوى هذه الدراسـات، وتنظيـم مؤتمر ثاني لهـذا الموضوع، مع تدارس محاور أخرى لم تناقش في هذا المؤتمر.

٦- دراسة القواميس والموسوعات والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والمكتوبة باللغات الأجنبية، والرد على ما فيها من شـبهات تخالف ما اتفقت عليه الأمة، ردًّا علميًا رصينًا دون تعصب.

٧- أن تعمـل المؤسسـة علـى إصـدار كتـاب أو مرجع في تاريـخ القرآن الكريم مـن وجهة نظر الإسـلامية، وترجمته إلى اللغـات الأجنبية، ليخاطب العقلية الغربية، ويضع الصورة الصحيحة لذلك التاريخ بين أيديهم.

٨- إصدار موسـوعة علمية خاصـة لعلوم القرآن الكريـم وترجمتها إلى اللغـات الأجنبية، لتعريف العالـم بوجة النظر الإسـلامية في القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم.

مجلة تدبر

مجلة تدبر



رابعًا: المُلَخَّصاتُ باللُّغةِ الإنجليزيّة

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientific and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Volume II,Issue number 4:Ragab 1439 AH, April 2018

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(ص: ٢٩)

TADABBUR MAGAZINE Index:



25 SR

1658-7842

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number 4; Rajab 1439 AH, corresponding to April 2018

تمت الترجمة في مركز أصول العالمي

مركز أصول العالمي

Osoul Global Center

www.osoulcenter.com



Tadabbur Magazine

365 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Info@tadabburmag.sa

+966503072333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur’an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur’an.
2. Teaching methods of in-depth understanding the Qur’an.
3. Deduction from the Qur’an.
4. Objectives of the Qur’an.
5. The inimitability of the Qur’an.
6. The superior excellence of the Qur’an style.
7. Qur'anic themes.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur’an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur’an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur’an.

Editorial Board:

Consultative Committee

1. Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
2. Prof. al-Shaid al-Bushikhi, Chairman, Board of Directors, Mubdi�であ Foundation for Studies and Research, Morocco.
3. Prof. Muhammad ibn Fawzan al-Umar, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
4. Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.
5. Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.
6. Prof. Ahmad Khalid Shukri, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.
7. Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri, Supervisor, Chair of the Qur'an and its Studies, King Saud University, Riyadh.
8. Prof. Badr ibn Nasir al-Badr, Professor, Faculty of Usool al-Deen, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
9. Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.

Conditions for Publication

One: material to be published:

The magazine aims to provide a forum for researchers all over the world to publish their academic studies in the area of in-depth understanding of the Qur'an, provided that such research reflects originality and conforms to the ethics and methodology of academic research.

The magazine will publish material that has not been already published in Arabic, in any of the following areas:

- Original research
- Academic debate
- Summaries of academic theses of distinction
- Reports of academic seminars and conferences.

Two: Format guidelines

1. Studies must not be more than 50 pages or less than 25 pages, 17x24 cm, including abstracts in Arabic and English, as well as a bibliography.
2. Two centimetres margins should be left on all four sides of the page, with single spacing between the lines.
3. For Arabic, the font adwa-assalaf should be used, size 16 for the research itself, 12 for footnotes and the abstract, and 11 for figures and tables.
4. For English, Times New Roman should be used, size 12, and size 10 for the footnotes, abstract, figures and tables.

5. Qur'anic verses cited should be written as in the electronic copy published by King Fahd Complex for the Publication of the Qur'an, size 16, not bold.

6. Footnotes should be page by page, with separate numbers for each page. Footnotes should be automatically, not manually, entered.

7. Every submitted contribution should be accompanied by the following details in both Arabic and English: The title; the author with his or her biodata; the author's contact details; themes of his or her previous research.

8. The abstract should not exceed 250 words, and should include: the theme of the contribution, its aims, methodology, main findings and recommendations. Special attention should be given to the writing of abstracts.

9. Every abstract in Arabic and English should give at the end no more than six key words that clearly identify the topic and the main issues it addresses.

10. Contributions must be free of grammatical mistakes.

Structure of contributions

Submitted contributions should be structured according to the requirements of academic research, in the following order:

1. The introduction should define the subject matter, its limits, objectives, methodology, strategy and plan.
2. Literature review, if any, and what the submitted research adds.
3. The submitted research should address certain inter-related aspects, in accordance with the research plan.
4. Each aspect should address a particular topic that forms a part of the overall theme of the research.
5. The submitted research should be written in proper academic style, free of grammatical mistakes, and with accurate citations.
6. A proper conclusion should be added, which includes the main findings and recommendations.
7. Footnotes citing works of reference should follow the proper standard used in Islamic and Arabic language research: "The work; the author; volume; page". E.g. *Lisan al-Arab*; Ibn Manzur; 2/233. Quoted Qur'anic verses should be followed in the main text by the name of the Qur'anic surah and the number of the verse. E.g. (Women: 55)
8. References should be added at the end of the research according to the following system:

i. If the reference work is a book: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the editor, if any; the edition number, city of publication, the publisher, year of publication. E.g. *Al-Jami' al-Sahih*; al-Tirmidhi, Abu Isa

Muhammad ibn Isa; edited by Ahmad Muhammad Shakir, et al; 2nd edition, Beirut; Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 2004.

ii. If the reference work is an unpublished dissertation: the title of the dissertation; the author's surname; the author's first name(s); the degree for which it is submitted (Masters or Doctorate); the country; the faculty; the university; year of submission. E.g. *Ya'qub ibn Shaybah al-Sadusi: Atharuh wa Minhajuh fi al-Jarh wal-Ta'dil*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; M.A. Saudi Arabia; Faculty of Education; King Saud University; 1418 AH.

iii. If the reference work is an essay published in a periodical: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the periodical; place of publication; volume and number; year of publication; pages in the periodical x-xx. E.g. *Imam 'Affan ibn Muslim al-Saffar wa Minhajuh fi al-Talaqqi wal-Ada' wal-Naqd*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; Majallat Jami'at al-Qasim [Al-Qasim University Magazine]; Islamic Studies Section; al-Qasim. Vol. 3, No. 1; 1431 AH; pp. 35-85.

iv. Certain abbreviations should be used where entries are unavailable. These are:

n.p. where the publisher is not mentioned

n.e. where the edition is not mentioned

n.d. where the date of publication is not mentioned.

- To submit a contribution through the magazine's website or by post implies that the author confirms that the research was not published anywhere else and is not, and will not be, submitted for publication elsewhere until it has been peer-reviewed by the magazine.

- The Editorial Board has the right to decide, on initial reading, whether it should be sent for review or rejected.
- The author is entitled to receive summaries of the reports of the reviewers so as to make the necessary amendments and to respond to any points that he or she finds unacceptable. The Editorial Board has the final say with regard to any ensuing dispute between the author and the reviewers.
- Authors will receive a letter to inform them whether their contributions have been accepted for publication in the magazine or a letter of apology if the contribution is rejected.
- Authors may publish their research that are published in the magazine after six months of the date of the magazine, but in any future publication, they must mention its publication in the magazine.
- Submission of a contribution through the magazine website or its email constitutes acceptance by the author of the magazine's conditions for publication. The Editorial Board determines the priorities of research publication.
- Views expressed in the published contributions reflect the views of the authors, and they are not necessarily shared by the magazine.
- The magazine adopts the University of Chicago referencing system in citing foreign sources.
- The author of a published contribution is given five copies of the magazine number in which his or her research is published.

No. (1)

Means of Self-Purification in the Qur’an

Lubna bint Khalid ibn Muhammad al-Arfaj (1)

Abstract

Objectives:

This paper aims to shed light on the concept of self-purification and its importance as highlighted in the Qur’an. It will also try to explain its benefits. It will outline the means of self-purification mentioned in the Qur’an, relating these to the aims and objectives of the Qur’an in an inductive and deductive reasoning approach.

The paper finally gives an outline of the most important conclusions, including:

One: Great importance is attached to self-purification among the general objectives of the Qur’an. It has always been one of the main objectives of the messages of prophets.

Two: Self-purification has multiple benefits for the one who does it, and these are reflected in a person’s strength of faith, as well as his present life and the life to come.

(1) Lubna is a Ph.D. student in the Department of Qur’anic Studies at the Faculty of Advocacy and Islamic Fundamentals at the University of Umm al-Qura, Makkah. She obtained her Masters degree at the same faculty, editing Abu Bakr Muhammad ibn Ali al-Edfawi’s book, *al-Istighna’ fi Uloom al-Qur’an*, focusing on the commentary of verses 9: 81 through 10: 24.

Three: As clearly mentioned in the Qur'an, there are nine means of self-purification, which are:

I. Belief in God's oneness;

II. Implementation of God's rulings;

III. Prayer and God glorification;

IV. Recitation of the Qur'an; reflection on it; learning and understanding its lessons;

V. Repentance of sin;

VI. Charitable donations;

VII. Stating the truth and refusal to barter it for any price;

VIII. Refraining from self praise and justification;Refusal to follow Satan's promptings.

The paper concludes with outlining two ways of identification to help the reader.

Key words:

purification, self-purification, personal manners, self-education, means of education, heart disease.

No. (2)

Applied Reflection Skills

Abstract

Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Professor, Department of Tafseer and Qur'anic Studies,

Islamic University, Madinah

Reflection is an interactive process of study that has well defined steps and stages. It aims to produce an intellectual and practical effect of the Qur'anic verse you wish to study and reflect upon. There are several approaches, means and skills that may be found helpful in a positive process of reflection on the Qur'an.

This paper, 'Applied Reflection Skills', describes a number of practical ways of reflecting on the Qur'an together with illustrative examples. It is hoped that these will constitute a starting point that helps in developing one's skills in reflecting on the Qur'an. A gradual application of these skills should, with God's help, be sufficient to make a person ready to reflect on the Qur'an.

My search failed to find anything written on the subject. Faced with the difficulty of giving an academic description of practical skills and the need for careful accuracy in such a study so as to ensure that identified skills remain free of deviation and outlandish elements, I have tried to deduce such skills from theoretical studies. I then trained myself

and others to implement them and discovered that they were very effective on all those who participated in such training. Hence, I have written this paper to present to my teachers and colleagues, praying that it will be of benefit. I praise and thank God for enabling me to write and explain these skills. I have identified seven main skills that Muslims need to apply in their reflection on the Qur'an.

One: Self preparation. This means taking suitable steps in order to be mentally ready to reflect on a particular verse.

Two: Identifying the question. This requires a careful look at what a particular verse says and its effect.

Three: The means that help to find the answer, or answers, to the question.

Four: Finding interlinks between the meanings included in the verse. The means used in skill number three should help in this.

Five: Widening the area of reflection. This means that students should not focus all the time on a particular point. They should look on the Qur'an in total, and on life and its need for divine legislation that combine comprehensiveness and perfection.

Six: Revision. In one's reflection on the Qur'an, the process must remain within certain controls. One must always consider whether one's reflection is on the right course or not.

Seven: Dissemination and education. One should look at what one has gathered from reflection on a particular verse and consider how to retain it and how to teach it to others.

All these skills are arrived at through personal study. Neither their number nor the name given to each was intended in advance. It is hoped that they will be further studied and consolidated so that they may be better implemented and prove to be more effective, God willing.

It is hoped that these skills will be the nucleus of some practical programmes and applied courses, enabling Muslim individuals and communities, everywhere, to better reflect on the Qur'an, as their own educational standards, time and circumstances permit.

This paper reflects personal endeavour in this very important subject. What is right and correct in it is achieved by God's grace, and whatever is faulty or wrong is due to my own shortcomings and I seek God's forgiveness.

Key words:

reflection, applied, skills, preparation, question, means, interlinks, widen, revision, dissemination.

No. (3)

The Qur'anic Approach to Voluntary Work: A Basic Study

Muhammad ibn Abdullah al-Amir, Ph.D.

Faculty Member at the University of al-Qasim[1]

Abstract

I have endeavoured in this paper to define the concept of volunteering, linguistically and as used by Islamic scholars, sociologists and various international agencies. I explain institutionalised voluntary work, which is predominant in our world as it is adopted and financed by large organisations and governments. I outline the advantages of such institutionalised voluntary work. I then lay down the basis of voluntary work as mentioned in the Qur'an, listing the Qur'anic verses that specifically use the word 'voluntary' before adding the verses that refer to the idea of voluntary work. I add a brief explanation of these verses, so as to make their meaning clear without dwelling too long on that. I follow that with practical examples of voluntary work mentioned in the Qur'an and undertaken by prophets or devout people who personally did voluntary work.

(1) M.A. thesis entitled: Manners and Morality in the Islamic Encyclopaedia: a critical study.
Ph.D. thesis entitled: Michael Cook's book: *Commanding Right and Forbidding Wrong in Islamic Thought*: an analytical and critical study.

The final part of the paper outlines the main conclusions identified by my research, such as:

1- The Qur'an encourages voluntary work in several verses, showing it as one of the best reward-earning good actions;

2- The area of voluntary work is very broad, unlimited to any particular model. It incorporates all that serve people's interests; and

3- Voluntary work is a method of training which encourages people to give. I then list some recommendations which I believe will help the development of voluntary work within the Muslim community.

May God bestow peace and blessings on Prophet Muhammad and his household.

Key words:

Principles of voluntary work outlined in the Qur'an, Qur'anic evidence in support of voluntary work, Qur'anic examples of voluntary work, goodness, dutifulness, financial support.

No. (4)

The Qur'anic Approach to the Presentation of Opponents' Suggestions and its Response: An Analytical Study

Ali ibn Humayd al-Sinani, Ph.D.

Associate Professor at the Faculty of Qur'anic Studies

Islamic University, Madinah

Objectives:

1. Presenting the Qur'anic method of stating its argument and evidence to refute the objections of its persistent opponents;

2. How to benefit by the Qur'anic presentation of opponents' suggestions, within the field of Islamic advocacy. The stubbornness faced by advocates of Islam is a normal attitude. Therefore, advocates must remain firm, unperturbed by the stubbornness of their opponents;

3. Recognition of the nature of opponents' attitude who persist with their falsehood, regardless of all the clear evidence put to them;

4. Highlighting the stark difference of attitudes of believers and their opponents when clear evidence is presented. Believers find their faith strengthened, while their opponents go further away from the truth, unwilling to admit it.

The paper focuses on the Qur'anic approach to the presentation of opponents' suggestions and their refutation,

adopting an inductive methodology in citing and analysing its material, giving it suitable headings. The paper starts with a foreword that defines the verses that includes such suggestions. It shows that signs and miracles were given as an act of God's grace, so that people would recognise the truth. The paper concludes with a presentation of its main findings, including:

IX. There is no successful way of convincing stubborn opponents. They adamently refuse every argument, because they are not in search for the truth. Hence, giving them more evidence is of no use.

X. God is very merciful to those stubborn opponents. He gives them respite and does not inflict immediate punishment on them. That He does not act on their suggestions is an aspect of His grace.

XI. Prophet Muhammad's companions had pure hearts. When they recognised the truth of the Islamic message, they immediately accepted it, stating no conditions. They did not request any miracle as a condition for their acceptance of the divine faith.

XII. The paper highlights the impudence of those stubborn opponents in their attitude to God. It does not behove anyone to set conditions for believing in the truth. The proper attitude is to appeal to God to guide one to the truth and follow it. God knows what is best for His servants.

XIII. As presented in the Qur'an, God's comments on those suborn opponents' suggestions clearly show that they had no right to make such suggestions.

XIV. The only one of suggested miracles that was granted was the repast. It was given to them as they requested. When they disbelieved, despite having it, they deserved a most severe punishment that was not dealt to any other community.

The paper provides comprehensive indexes.

Key words:

The Qur'an, suggestion, people of earlier revelations, stubborn opponents, miracles, rejection, examples of verses stating suggestions, persistence, denial, refutation of argument.

Table of Contents